

الحاج أحمد سهوم

الملحون المغربي

من منشورات « شؤون جماعية »
صحيفة الجماعات المحلية بالمغرب والبلديات العربية والدولية

● الطبعة الأولى : نونبر 1993

طبع منها 3000 نسخة

حقوق الطبع محفوظة لمؤسسة

« شؤون جماعية »

الفهرس

6

تقديم : ثمرة الاحتضان .

7

موجز عن حياة المؤلف

9

المقدمة

15

الفصل الاول : فنون الملحنون الثلاثة

☆ "لمبيت" أو الملحنون العمودي

☆ "مكسور جناح" أو الملحنون المرسل

☆ "السوسي" أو النثر الفني في الملحنون

☆ "السرابا" أو الاغنية الملحونة

☆ اصطلاحات تقنية مطبوعات .. غروبيا .. سارحا ..

65

الفصل الثاني : أغراض الملحنون

☆ "التوسلات الالهية" بين الذهن والشعور والتصوف

☆ "المدائح النبوية" بين العقل والوجدان

☆ "لوصيات" بين الدين والدنيا والمجتمع والناس

☆ "الربيعيات" أو شعر الطبيعة في الملحنون

☆ "العشاق" في العاطفة والغزل ، والنسيب والتشبيب

☆ ملحنون الغربة ، والرحلات والمراسلة

☆ "الساق" خمرات الملحنون ، والرمزية الصوفية

☆ "الترجما" أو القصة الملحونة

215 .. الفصل الثالث : بديعيات الملحنون ، تضمين - تجريد - جناس ..

☆ وأخيرا ما معنى كلمة ملحنون ؟

تمرة الاحتضان

لا يحتاج الاستاذ أحمد سهوم الى تقديم .. كما لا يحتاج الملحن الى تعريف، فقد ظلّا ملازمين لبعضهما ما يزيد عن أربعين سنة، بليّلاتها ونهاراتها، حتى أصبح الواحد منهما لا يذكر في غيبة الآخر.

وإذا كان عمر الملحن يقاس بعمر الأمة المغربية، منذ أن رأت نور الشمس، فإن شخصيته واغواره وسحر بيانه... ما كان لها أن تتجلى في شفافياتها، لو لم يقيض لها الله فنانا مبدعا، وبحاثا مقنعا، كالشاعر أحمد سهوم. فلقد كافح الرجل كفاحا مريرا منذ مطلع الخمسينات، لكي يكون اليوم للملحن هذا الحضور الواسع في حياتنا اليومية، وعبر أرجاء البلاد كلها، ببورتاتها، وأنديتها، وأن يحوله الى سمر للفقراء، وجليس للأغنياء.

ولا ريب أن مدينة الصويرة كانت محظوظة يوم انتقل إليها علم من أعلام الملحن، واختار الإقامة فيها مواطنا صالحا، وعبقريا مثقلا بالاحلام والهموم المقترنة بمحنة الميلاد والنشوء والارتقاء. فلعل الصويرة، بما تحمله من دلالات تراثية وشاعرية، وما تمتاز به من سكينة وحوار داخلي مع التاريخ، ومع الانسان، كانت، كقطع من الاحجار الكريمة، قد ترسبت في وجدان هذا الشاعر، بأزقتها الضيقة، وحصونها الجبارة، ودفتها الذي لا يضاهى، فبقيت في قرارة الكأس الى أن حان الوقت المناسب.

وإذا تقوم اليوم مؤسسة «شؤون جماعية» باحتضان أستاذ الملحن والمنتج الاذاعي الشهير، ساعية الى نشر كتابه «الملحن المغربي» الذي كتبه في رحاب الصويرة، فإنها بذلك تكرم الملحن ورجاله في شخص أحمد سهوم، وتؤكد مساهمتها في حفظ هذا التراث، بنفس القوة التي تدافع بها عن مجموع التراث الوطني والحضارة العربية الأصيلة. إن هذا العبقري الأصيل القادم من واحات تافيلالت، عبر همس القرون، وخطر الحضارات، أصبح جزءا من تراث الصويرة، بما أسهم به من تجديد انتمائها للملحن، وكتابة تاريخها الفني.

فله الشكر والتقدير... ونرجو الله أن يوفقه في مواصلة مسيرته الفنية الطموحة، حتى يعم فضلها على مدينتنا وعلى مملكتنا السعيدة

أحمد هناوي

مدير جريدة «شؤون جماعية»

هوجز عن حياة المؤلف



... ولدت عام 1936 بغاس الجديد ، من أمي عائشة بنت العربي ، الملقبة بـ « الغصية » .. ومن والدي سيدي محمد بن علي الفيلالي .. غير أنني لا أتذكر جيدا ملامحه ، وإن كنت اسمعهم يقولون عنه بأنه كان عازفا ماهرا على الكمان لأغاني المراسوي (العيطة) .. وأنه كان يتوفر على مخزون لغافي . وعندما توفي لم يترك وراءه من متاع الدنيا سوى « الغصية » ، وأربعة ذكور ، هم : حسان ، والعربي ، وعبد العزيز ، الذي لم يعيش طويلا ، وأحمد سهوم

(آخر المصران) ، وأختنا جمعة .. والذي أتذكره أيضا هو أن عائلتنا كانت فقيرة جدا .

كانت بجانب دارنا امرأة ميسورة الحال ، لكنها لم تكن تتجيب أطفالا ، ولما كانت أمي على علاقة وثيقة وطيبة بهذه السيدة ، فقد ألتفتني ، ذات يوم ، تحت رحمتها ، ولا أدري ما إذا كانت أمي قد أهدتني إياها ، أم أجرتني لها ؟

و هكذا فرض علي أن أنشأ في بيت غير بيتنا ، وبين أهل ليسوا هم أهلي ، بعيدا عن أمي وإخوتي . وكان زوج السيدة الميسورة يعمل سائقا لحافلة المسافرين ، يربط فاس بتافيلالت ذهابا وإيابا ، فيضطره عمله هذا إلى أن يتغيب عن داره أربعة أو خمسة أيام ، وليس بها سوى زوجته و خادمتها و هذا الطفل أحمد سهوم . ومع الأيام اعتدت هذه السيدة إلى طريقة ذكية تخفف بها من وحشتها وفراغها .

كانت . بفطرتها . مولعة بالفن والادب ، رغم أنها لم تكن قد حظيت بنصيب من التعليم والثقافة .. ومع ذلك فقد جعلت من دارها منتدى فنيا وثقافيا أشبه ما يكون . « صالون مي زيادة » في المشرق .. وكان هذا المنتدى قبلة لرواة العنترية ، والأزلية ، من أمثال « أبا الحمار » الذي كان يروي في كل لقاء فصلا من أزلياته ، ويترك الفصل الآخر للجلسة القادمة ، حرصا على التشويق كما كان يرتاده العازقون والمطربون ، من أمثال الكمنجاتي البارح حصاد النشار ، والذي تتلمذ على يديه مشاهير فاس ، كاللنان محمد عمور المودن .



في هذا الجو ترعرع الفنان أحمد سهوم . عندما كانت تأخذه الخادمة كل يوم إلى المسجد لحفظ القرآن ، وتعود به مساء ليجد النار وقد امتلأت بكل أصناف الرجال المولعين ، وبالمجاهيب والندراوش وعشاق طرب الملحون . وقد عرف هذا المنتدى بـ « دار زبدة المراكشية » .. أما أحمد سهوم فكان يومئذ يلقب من طرف الصغار والكبار بـ « حبيبة ولد زبدة » !

بالنهار ينصرف إلى حفظ القرآن في المسجد ، وفي الليل ينخرط في حفظ قصائد الملحون وغنائها بين زمرة من المهوسين بالملحون والعازقين على الكمان ، وبين رواة عشاق العنترية والأزلية والمجاهيب !

هل كان فن الملحون قدرا مقدورا لهذا الطفل منذ نعومة أظفاره ؟

يبدو أن تقلبات الحياة ، وستين التشرد لم تنجح في انتشاله من هذا المصير . فقد صادف ذات يوم ، عندما كان يقضي بعض قصائد الملحون ، أن سمعه السيد ادريس العلمي ، وهو يومئذ من هو في شعراء الملحون .. فأعجب بصوته ، وقرر إسناده قصائده إليه ليغنيها بصوته . ومن يومها أصبح ادريس العلمي شيخ أحمد سهوم في الملحون .



... هذا فصل مختصر من حياتي ... في أعقابها بدأت تطرأ على نفسي تحولات خطيرة وغامضة . لم أعرف كيف أصبحت فجأة أكره الحياة عند هذه السيدة . فعندما فتحت عيني ، وجدت نفسي خارج أسرتي ، منفيا عن أمي وإخوتي ، أخضع لمراقبة

صارمة بين محور المسيد ودار زبيدة المراكشية . كنت محروما من اللعب ومن حرية الأطلال ، وكان إخوتي هنالك طليقين سعداء . كانت زبيدة المراكشية امرأة مصونة وقورة لا يحوم حولها الشك .. ذات أخلاق عالية ممتازة .. غير أنها كانت تعيش فراغا قاتلا ، تيسر لها أن تملأ بما هو مفيد . كانت شغوفة بالاستماع الى الموسيقى والى تبادل الافكار ... حتى أنها اكتسبت ثقافة لا بأس بها من خلال جلسات السمر .. وبدأت تتلقن دروسا شفوية في الاخلاق وفي الملحون وفي الموسيقى .

الذين يتذكرون فاس في ذلك التاريخ ، لا يزالون يتذكرون بيوتا أخرى على هذه الشاكلة ، إما وراعا نساء مثل «بطر الشلعة» ، وإما رجال كسيدي محمد الحمري الذي كانت داره ملتقى للشيوخ والشعراء والكتاب ورجال الحركة الوطنية ، ذلك أن حياة المغاربة آنذ كانت تسودها عادات التكاثف والتضافر والتعاون في الامور الدنيوية والدينية .



لم يطق أحمد سهوم مواصلة العيش في دار زبيدة المراكشية .. لكنه لما أراد العودة الى بيته الأصلي رفضه هذا الوسط بقسوة وفظاظة ، معتبرا إياه غربيا .. ف يرجع الى الدار الثانية مكسور الجنان ، فتقابلته السيدة المراكشية بالعنف ، انتقاما من هروبه من بيتها . و تكررت رحلة الكر والفر المأساويتين بين الدار الراضة والدار القاسية ، الى أن عيل صبره ، فقرر الهجرة بعيدا عن الدارين معا ... وهام في الارض على وجهه طريدا شريدا ، مدة عامين كاملين ، بين دروب فاس ، ومكناس ، ومراكش ، وتادلة ، وسلا ... منتقلا بين حوانيت الحرازة ، حيث كان يكسب عيشه اليومي .. وقد أفاده ذلك كثيرا في الاختلاط بالصناع التقليديين ، الذين كان بينهم شعراء وفنانون ومفكرون وسياسيون .

لقد تعلم أحمد سهوم داخل السور بفاس القديمة ، وبالضبط في حي مولاي عبد الله ، المبادئ الاولى لحرفة الحرازة في دكان الحراز محمد الطالب . وفي هذا الدكان كان يجتمع الناس من مختلف المستويات والاهتمامات ، يتبادلون الفن والعلم والافكار الوطنية ، وجديد الاخبار المحلية والدولية ، فكنت تجد بهذا الدكان الامراء ، من أمثال الأمير مولاي الامين ، والأمير مولاي مصطفى الحافظي ، والأمير مولاي عبد السلام ولد مولاي عثمان . الخليفة السلطاني بفاس يومئذ ... وكنت تجد الى جانبهم العلماء والفقهاء .. وكان يتردد عليه المرحومان علال الفاسي ومحمد بلحسن الوزاني ، قبل أن تفرقهما السياسة .

كان ذلك بين سنوات 1945 و 1947 قبل سفر المرحوم محمد الخامس الى مدينة طنجة سفرة المشهورة . في تلك الفترة التحق أحمد سهوم بمدرسة القرويين .. لكن سلطة الملحون عليه كانت قوية .. فقد ترسبت في وجدانه كأمواج جارفة .. ولم يشعر طالب القرويين إلا وهو محاصر من كل جانب بالملحون ، يقرؤه ويفسره ، باحثا عن مصادره وروافده ، منشغلا به الى درجة التصوف .

هكذا بدأت رحلة أحمد سهوم مع فن الملحون

من حوار أجرته معه

جريدة « شؤون جماعية »

في عددها لشهر يناير 1993



الحمد لله رب العالمين .

والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين ، وعلى آله وصحابه أجمعين .

«إن التنكر لتراث الاجداد جنائية وعار ، والامة التي لا تعتز بتراثها ، ليست جديرة بالاعتبار .

ونحمد الله على أن لنا تراثا .. وحضارة .. وتاريخا في العمران والعلم ، والادب والشعر والطرب .

وفي الشعر والطرب ، لنا الموسيقى الموروثة من الاندلس ، ولنا الملاحون الذي تاصل من بيئتنا القديمة ، وطبيعتنا الخاصة .

وهذا الملاحون يحق لنا أن نتدارسه ، ونعرف به ، ونؤرخ له ونستخرجه من ظلماته المظلمة ، بيد أن الحكم على الشيء ،

يستلزم إدراكه . .. »

بهذه الكلمات صدر لي أحد أساتذتي الاجلاء ، أول مقال كتبته عن الملاحون في الخمسينات ، ونشرته مجلة الاذاعة الوطنية التي كان يشرف على تحريرها يومئذ ، إنه الانسان الفاضل الكريم ، الطيب القلب ، الاستاذ عبد الله شقرون ...

وإذا أصدر هذا الكتاب الذي أكتبه في أوائل التسعينيات بنفس الكلمات التي صدر بها مقال الخمسينيات ، فلان هذه الكلمات كانت مبعث فخر واعتزاز بالنسبة لي ، بل ورافقتني أزيد من ثلاثة عقود ، كورقة عمل ، لا أتحرك إلا في إطارها ، ولا أصعل إلا وفق مقتضياتها .

والحق أنه لا يمكن لأحد أن يقدر هذه الكلمات حق قدرها ، إلا إذا كان قد بلغه خبر ما عانيتها يومئذ ، وأنا أحاول أن أجعل لجنة البرامج الاذاعية توافق على إذاعة ركن "الادب الشعبي" ولو مرة واحدة في الاسبوع ... وبعض أعضاء اللجنة يقول : "ماذا يمكن أن يكون في هذا الملاحون حتى نخصص له برامج إذاعية ؟ ... والبعض الآخر يتساءل في سخرية لأذعة : "وأش هذ الملاحون هو ذاك اللي كايدبروا به لحلاقي ؟" في هذه الفترة بالذات ، وأنا أتجرع كؤوس الخيبة والهوان والذل ، يطلع مقالتي الاول في مجلة الاذاعة الوطنية .. وقد الفتحه هذا الانسان الممتاز ، المدعو عبد الله شقرون بقوله : «إن التنكر لتراث الاجداد جنائية وعار ، والامة التي لا تعتز بتراثها ليست جديرة بالاعتبار» وانطلق ركن "الادب الشعبي" ، وانطلقت بعده إلى الآن برامج وبرامج "مع التراث" كل عشية ، ملحون ، طقطوقة جبيلية ، مرساوي ، حصبواي بروال .

و"مع الاغاني كل صباح" و "البيت السعيد" و "مشاهد باسمه" والبا مساعف "والبرنامج التلفزيوني "التراث الحي" واطلالات على التراث " وإبداعات وإبداعات ... كانت هذه الكلمات بالنسبة لها كالضوء الاخضر الذي يؤذن ببداية الانطلاق .

هذا من الكلمات التي صدرت بها هذا الكتاب ...

أما الكتاب فيمكن اعتباره بداية الطلب ، كما يمكن اعتباره نهاية الارب ... بداية الطلب بالنسبة للباحثين والدارسين وكل المهتمين ، لانه اليخت الذي يمكنهم الابحار به في كل بحار الملاحون ، والعودة منها بالف خير وسلامة ، وهو يخت متقدم الصنع ، ويقدر حتى على الفوص إذا لزم الامر .

ونهاية الارب بالنسبة لعشاق الملاحون وهواة ، بل وحتى بالنسبة للقارئ الذي يقرأ قصد الاطلاع ، أو الذي يقرأ من أجل

الفرجة أو المتعة ...

فالنصوص الكاملة التي نشرتها تحت مساقط ضوء شاملة ساطعة ، وفي مختلف الموضوعات التي تناولتها في هذا الكتاب وصل عددها إلى الأربعين ، والمقطوعات التي تعتمد الوحدة العروضية ، أو الأبيات التي ترجع إلى الملحون العمودي القديم ، والتي سقتها للدلالة هنا وهناك ، يصل عددها إلى الألف . أما الشروح التي وضعتها للمصطلحات التقنية وغير التقنية ، قصد تقريبها إلى الأذهان ، أما التحليلات التي أرفقتها ببعض غرر قصائد الملحون لتوصيلها إلى أعماق القلوب ، فذلك كله وغيره مما لاداعي لذكره في هذه المقدمة ، قد جاء ولك الحمد فوق الوصف .

لقد أتمت هذا الكتاب على ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

* الشكل في فنون الملحون

الفصل الثاني :

* مضامين الملحون

الفصل الثالث :

* فنون البلاغة في الملحون

وبما أن بحث الشكل بأدق تفاصيله لا يهم إلا القارئ المهتم أو القارئ المتخصص ، أو على الأقل المتتبع ، وهم قلة جد قليلة وبالأخص في موضوع هذا الكتاب ، فقد أرتأيت أن أتناوله ببعض التفصيل لا بكل التفصيل ، وذلك لأخلص سريعا إلى مضامين فنون القول في الملحون إلى المتعة .. إلى الفرجة .. إلى التحصيل .. إلى شؤون الفكر ، ومجالات المعرفة ، وقضايا الثقافة .

وهكذا ، فقد تناولت الشكل باختصار لا إفراط فيه بسبب للقارئ العادي السأم أو الضجر ، ولا تفريط يفوت على الدارس أو الباحث فرصة تتبع ميكانيزمات الشكل في سائر فنون القول الملحون .

تتبع أوزان القصائد التي لا تعتمد إلا الصدر والعجز فقط إلى أن فاق عددها عدد أوزان الخليل ، فقابلتها بها .

وتتبع القصائد التي يتكون البيت الواحد فيها من ثلاثة اشطار ... فأريمة ... فخمسة ، إلى أن بلغت العدد الكافي ، فقابلته بشعر الفروع والفصون من موشحات وأجزال وماشبه ...

وعند الفراغ من ملحون النغمات الإيقاعية التركيبية ، التي تتبنى عليها الألفاظ لتشكل هذا السلم أو ذاك ... انتقلت إلى شعر الوحدات العروضية ، "مكسور جناح" وقابلته بالشعر الحر ، أو المرسل ، ثم النثر الفني في الملحون ، "السوسي" وأخيرا الأغنية الملحونة أو «السرايا» ، وبطبيعة الحال لم أغفل الاصطلاحات التقنية الأساسية التي لها علاقة وثيقة بالشكل في كل فنون القول الملحون .

وفي الفصل الثاني حددت الموضوعات الرئيسية التي تعامل معها الملحون في الماضي والحاضر ، وتناولت منها سبعة أغراض هي :

" التوسلات " " المدائح " " الوصيات " " الربيع " " العشق " " الساقى " " الترجمة " ، على أن أتناول الباقي في الجزء الثاني من الكتاب إن شاء الله .

أما الفصل الثالث والآخر ، فهو فصل بلاغة الفصيح ، وكما هي في فنون القول الملحون ، بما فيها البديع ، جناس ، اشتقاق لزوم ما لا يلزم الخ .. الخ ..

ويبقى الكتاب في مجمله كتاب الشعر الملحون ، وليس كتاب شعراء الملحون

فإننا وإن كنت أعلم أن " الشاعر ابن بيئته " وأن التاريخ له لا بد منه لم أعتد الكتب التي أشارت إلى بعض شعراء الملحون كالاعلام والاعراف في الماضي ، ولا الكتب الخاصة بالملحون كالقصيدة والمعلمة في الحاضر ولم أستأنس بالمستشرقين الذين تناولوا الملحون ، وإنما اكتفيت فقط بالإشارات التي أجدها في القصائد نفسها ، والتي تحدد زمان ومكان الشاعر بما لا يقبل الشك .

فعلت ذلك حتى لا أجهض التراجم المستفيضة التي هيأتها لكتاب " اعلام الملحون " أولا ولكي لا أفوت على القارئ فرصة التمتع بأكبر عدد ممكن من النصوص الكاملة ثانيا ، ولأنني لا أريد لذاك الانسياب العفوي السلس أن يتعثر بين كل حين وآخر في فقرات من هذا الكتاب وأخرى من ذاك ، فإن أنا أفصحت قبلت واستطعت أن أجعل القارئ يحس بروعة هذا التراث وجماله وكماله وشموليته ، فذلك ما أتمناه وأصبو إليه وإن أنا قصرت فافعلت . وانتهى القارئ من القراءة لي كمثل ما بدأ ... ف ... العذر ... العذرا والكمال لله على كل حال .

أحمد محوم



فنون القول في الملحون

✱ فنون القول في الملحون ثلاثة ✱

- 1 / الشعر العمودي ، ويسمى "لَمِيَّتْ"
- 2 / الشعر الذي حاولوا تحريره من الاوزان العمودية ويسمى "مَكْسُورْ جَنَاحْ"
- 3 / النثر الفني ، ويسمى "السُّوسِي"

وسنحاول في هذا الفصل إن شاء الله ، أن نعرف بشكل كل فن من هذه الفنون على حدة

- 1 / الشعر العمودي الذي يسمى "لَمِيَّتْ" يتكون من أربع "مَرَمَاتْ"

- 1 - "المَرْمَا" المثنية
- ب - "المَرْمَا" الثلاثية
- ج - "المَرْمَا" الرباعية
- د - "المَرْمَا" الخماسية

ولكل مَرْمَاً من هذه "المَرَمَاتْ" الأربع "قياسات" ، سوف نستعرض منها ما يكفي للدلالة عليها ، إنما قبل ذلك لا بد من وقفة قصيرة أمام هذه التسمية "المَرْمَا" و "قياساتها" .

ربما لا يخفى على أحد أن فن الملحون نشأ في ربوع سجلماسة ، وبما وترعرع في كل من مراكش ، فاس ، مكناس ، سلا أي في أحضان الصناعة التقليدية ، التي كانت ولا تزال متمركزة في هذه المدن

ولا غرابة ، والحالة هاته ، أن تكون جل المصطلحات التي استعملتها مدرسة الملحون القديمة ما هي إلا من عطاءات الصانع التقليدي ، ومنها بطبيعة الحال هذا الاصطلاح الذي وقفنا عنده "المَرْمَا" و "قياساتها" .

ذلك لأن «المَرْمَا» تسمية تطلق على الآلة الصناعية التقليدية المختلفة الحجم والشكل والتي يستعملها الحار والدَرَّاز ، كما تستعملها "الطَّرَازَة" و"النَّسَاجَة" .

وكذلك «الْقِيَاس» لأنه وكما يقال «كُلْ مَرْمَاً وَقِيَاسَاتُهَا» فكما أن لكل من "الحَرَّار" ، و"الطَّرَازَة" ، و"الدَّرَّاز" و"النَّسَاجَة" مَرْمَاً خاصة ، و«قياسات» تخص تلك «لَمَرْمَاً الخاصة» ، ولا تستعمل في غيرها ، كذلك لكل مبدع من مبدعي الاوزان - بَن حُسَيْنَ الجَدِّ ، بَن حُسَيْنَ الحَفِيدِ ، حَمَّادُ الحَمْرِي ، وَلَدُ بُوَعْمَرِ المَغْرَابِي ، المَصْمُودِي ، مَنِيرْدَ - مَرْمَاً خاصة ، و«قياسات» تستعمل في تلك «لرمما» ولا تستعمل في غيرها ، ومع أن إنشاء «لرممات» توقف منذ حوالي 1780 ، إلا أن لقياسات «ظلت

تلتحق بهذه «لَمَرَمَاتُ» إما من بعض مجدي الملحون - سيدي قنور ، « بَنَعْلِي » بَنَسْلِيمَانُ ، « السِّي التَّهَامِي وَإِذَا مِنْ فَنُونِ القول المحلية في هذه الجهة أو في تلك - إلى يوم الناس هذا ، وسوف تنعقب هذه « الْقِيَاسَاتُ » بقدر لا إفراط فيه ولا تفريط ويرحم الله العبقري الجريئ سيدي محمد ولد بوعمر مبدع « مكسور جناح » إذ يقول

- المَعَانِي هِيَ الطُّيُورُ -

- وَالْقَفُورُ مَنْ لَمَرَمَاتُ -

- وَالْقِيَاسَاتُ -

- وَالْمَسَادُ -

- الْقَافِيَاتُ -

- أَحْ أَنَا ...

سيأتي معنا ذكر هذا الرجل الفذ عند تناولنا للقسم الثاني من اقسام الملحون أو هو الفن الثاني من فنون القول الملحون أما الآن « وبعد هذه الوقفة القصيرة قصد توضيح إصطلاح « لَمَرَمَاتُ وَالْقِيَاسَاتُ » نشرع في تتبعها الواحدة تلو الأخرى

١٠ « لَمَرَمَاتُ الْمُثَنِّيَّةُ »

يطلق إصطلاح « لَمَرَمَاتُ الْمُثَنِّيَّةُ » على سائر الإبداعات الشعرية الملحونة التي تقتصر في أبياتها على الصدر والعجز فقط ، أو بإصطلاح أهل الملحون « لَمَرَمَاتُ وَالْفُطَا »

الْوَرْدُ وَالزَّهْرُ فِ غَصَانُو وَشَجَارِ وَالنَّخْلُ وَاطْيَارُ

ايسْبَحُو لِسَيِّدِي رَبِّي وَالْمَافُ : قَلْبُ كُلِّ غَدِيرِ

هكذا تمضي القصيدة ، الصدر والعجز فقط ، من البداية الى النهاية ومع ان التصريح في الشعر الملحون ليس مكانه هذا الفصل ، وإنما مكانه « البديع » من فصل « فنون البلاغة في الملحون » مع ذلك اريد ان الفت الانتباه الى ان القافية في الشعر الملحون ، تستمر في مكانها من الصدر والعجز الى نهاية القصيدة وليس في العجز فقط كما هو الحال في الشعر الفصيح

☆ فَصَلِ الرَّبِيعَ نَاسِجَ حُلَا فِيهَا عَقُولُنَا تَحْتَارُ

مَا هِيَ مِنْ الْوَيْرِ مَا هِيَ مِنْ صُوفٍ أَوْ مِنْ لَحْرِيرِ ☆

- ★ حُلَا مِنْ الضِيَا لَمَلُونُ مَا هِيَ صَنَعَتْ شَيْءَ حَرَارُ
- ★ امْتَبَتَا وَمَاشِي بِالْجَوْهَرِ أَوْ بِالذَّهَبِ لَمْنِيرُ
- ★ اللَّهُ عَلَّ الْقَلْبَ الْمَحْرُوقُ إِلَى اتَّجِيبَ لَوْ الْإِبْصَارُ
- ★ نَظَرًا مَنِ الْحَرَا جِ الْخَضْرَاءُ وَتَخَمَّرُوا بِلَا تَخْمِيرُ
- ★ اللَّهُ عَنِ النَّفْسِ إِلَى تَاهَتْ فِي شَارَحِ النُّوَارِ
- ★ وَنَفَاسُ وَاسْقَا الْإِنْسَايِمَ لَمَعَطَرًا بِكُلِّ عَبِيرُ
- ★ اللَّهُ عَنِ الرُّوحِ الَّتِي خَلَّخَهَا السَّمْعُ بَيْنَ خَضَارِ
- ★ مَنْ حَيْثُ جَابَ لَيْهَا الْإِنْتِقَامُ أَمَّا وَزَانُ فَرَقِ الطَّيْرِ

هكذا هي القافية في الشعر الملاحون ، تستمر في مكانها من الشطرين معا مهما تعددت أبيات القصيدة
ولنعتبر هذا الوزن الذي قامت عليه رباعية الحمري «القياس» الاول من «لَمَرَمًا المَثْنِيَّة» والغالب على الظن أن واضح هذا
القياس : هو الشيخ الجليل مولاي عبد الله بن حسين الجد ذلك لانه ليس هو صاحب القصيدة .

- وَصَفَ الْهَوَى وَعَتَوْ خَبَرُوا بِهِ الْكُتُوبُ

- صَفَى نَعْدَلِيكَ حَسَابُ عَدَاوُ

- عَلَى لَلِّي سَوَّلَ بَجَهَانُ

- وَجَالَ مُحَالَ فَنَرَشَانُ

- عَلَى اسْتَانُ

- لَلِّي رَادُ

- مَعَ مَرَادُ

فهذه القصيدة هي للحفيد وقد ساند بها ولد بو عمر شكلا ومضمونا ، كما سيأتي بيان ذلك في الحديث عن نشأة
«مكسور جناح» الذي نشأ بعد وفاة بن حسين الجد بأزيد من نصف قرن . نعم ابتكر بن حسين الجد «لرما المثنية» ،
و «لرما الثلاثية» ولكنه لم يعرف «مَكْسُورُ جَنَاحُ» ولا سمع به . ونعم قصد القصيدة الملاحونة ، ولكن للمناجاة للإلهية ،

والامداح النبوية ، والوصايا الدينية والاجتماعية وليس للحب والهوى والغرام

على كل حال كتب ابن حسين الجد في هذا القياس :

☆ لله تَبُّ يَارَاسِي وَرَجَعْ لِلْفَنَى الضَّوِّيَّانِ

يَزَاكَ مَنْ الْغَفْلَا وَقَصَلَ مَا بَيْنَ كُلِّ زَيْنٍ وَشَيْنِ ☆

وكتب فيه تلميذه «حمادى العمري» الربيعية الانفة الذكر ثم جاء ولد بوعمر فكتب :

☆ الْعَاقِلُ الْفَطِينُ إِلَى كَانَ مَعَ رَبَائِعِ الْحُمَاقِ

هُوَ يَكُونُ الْاحْمَقَ وَالْحَوْمَقَ عَاقِلِينَ بِالتَّحْقِيقِ ☆

وتبقى إبداعات ابن حسين الجد ، وحماد العمري ، وولد بوعمر وابن أحسين الحفيد ، هي كل ما في هذا «القياس» من العصر السعدي ، إلى عهد الملك الجليل مولاي سليمان العلوي ، لكن ابتداء من هذا العهد بدأ العمل بهذا الوزن من جديد ، إذ جعله ابن علي ، ولد أوزين «قياس» لشوقيته التي لازمتها :

☆ صَلُّوا عَلَى الصَّدِيقِ الصَّادِقِ جَدِّ الْأَشْرَافِ نُورِ الْعَيْنِ

إِمَامِ الْأَنْبِيَاءِ بَلْقَاسَمَ مَحْبُوبِ رَبَّنَا الرَّحْمَانَ ☆

وكتب فيه الحاج محمد بن مسعود الازموري هذه الاستغاثه :

☆ أَيَا سَرِيعِ الْأَغَاثَةِ وَقْتُ مَا سَتَاغَتْ الْمَضْطَرُ

وَلَا اللَّيْ يَغِيثِ الْمَضْطَرِ إِلَّا الْعَالَمُ بَ : حَالُو ☆

وكتب فيه ابراهيم السوفاني هذا المديح النبوي :

☆ رَحِمَا لِكُلِّ مَا فَ : الْأَرْضُ وَشَفِيعَنَا فِ يَوْمِ الْعَرْضِ

وَاللَّهُ وَأَعْنُو بِالْمَعْطَى حَتَّى حَبِيبَتَا يَرْضَا ☆

ويستمر العمل بهذا الوزن وتكثر فيه القصائد ، الى أن يأتي مولاي علي العلوي . فيكتب فيه سنة 1954 أروع قصيدة عرفها الملحون النضالي ... إنها «حورية» ، والمرأة هنا رمز للحرية والانتعاق :

☆ أَنَا اللَّيْ سَبَّاتِ الْقَلْبِ وَغَقْلِي وَدُوحِ دَاتِي حُورِيَا

عَنْهَا نَمُوتُ بِهَا نَحْيَا يَمْتَى نَعُودُ . ؟ يَمْتَى يَا لَخَوَانِ ☆

اتفقنا على اعتبار هذه «لرما» هي الاولى من بين سائر «مرمات» الشعر الملحون . وأن هذا الوزن أول «قياس» في هذه «لرما» بقي أن أضيف أن هذا «القياس» يقوم على عشر حركات في الصدر ومثلها في العجز «القياس الثاني» من «لرما المثنية» يقوم على تسع حركات في الصدر ومثلها في العجز ويسمى قياسي مشرقياً ، لأنه ليس من إنشاء أهل الملحون ، وإنما هو أحد الأوزان المحلية في الأدب الشعبي بالمغرب الشرقي ، وسوف يأتي معنا ذكره عند تناولنا لبعض المصطلحات التقنية «لمشريقي» لغروبي «لمطيلعات» «السارحة» «السرابية» وما شابه . ويبدو أن ولد بوعمر ، هو أول من كتب في «قياس مشرقياً» ...

☆ هَاقَا وَهَنِّي رَتَّحْ وَدَتَّاحْ يَا الْمَلَّاحْ

عَشَّشْ وَعِشْ .. وَعِيشْ فَارِقْ اشْحَاحَا ... ☆

طبعاً لا نستطيع ذكر كل ما في هذا الوزن من قصائد ، ولو بالعناوين . لأن عدد قصائده تربع عن الالف قصيدة ، وباستعراض بعض ما للشاعر أو اثنين من قصائده في طبع المشرقي ، تبين استحالة الاتيان بكل ما كتب فيه الشعراء ، من عصر ولد بوعمر إلى زماننا هذا ، فمثلاً سيدي عبد القادر كتب فيه «دُرْتُ الْكَوَاكِبْ»

☆ يَا مَشِيْمَمَ لَعَوَاتِقْ يَا سَرَّاجَ الْاَهْدَابْ

يَا الشَّمْسُ الْمَحْجُوبَا دُرْتُ الْكَوَاكِبْ ☆

وكتب فيه «المزيان»

☆ جَدُّ وَعَطْفٌ وَشَفَقٌ بَرِّضَاكَ يَا الْمَزِيَّانْ

عَفْ وَسَمَحٌ لِيَسِيرَ هَوَاكَ يَا لَهَاجِرَ ☆

وكتب فيه «التائية»

☆ لَعَبَ مَنْ غَيْرَ شَطَّارَا فَوْقَ رُؤْسِ حَرْبَاتْ

هَكَذَاكَ ابْنَادَمْ مَتَلَتْ فِي عَشْرَتُو ☆

وكتب فيه «الدار»

☆ أَشْ مَنْ عَارَ عَلَيْكُمْ يَا رَجَالَ مَكْنَّاسْ

مَشَاتْ دَاوِي فَحَمَاكُمْ يَا أَهْلَ الْكِرَائِمِ ☆

وكتب فيه « الشافي »

★ يَا شَافِي بِحُكْمَتِكَ حَالُ كُلِّ مَضْرُورٍ

شَفِي عَاقِلٍ دَاتِي مَنْ دَ الْوَجَاعُ نَبْرًا ★

وكتب فيه « إدريس الأكبر »

★ يَا حَفِيدَ الْمُصْطَفَى يَا الْقَوْتَ لَهْمَامُ

غَثًّا يَا مُوَلَايَ إِدْرِيسُ يَا لِكْرَائِمِ ★

وكتب فيه « التوسل »

★ يَا الْوَاجِدَ بِالصُّرْخَا عِنْدَ ضَيْقَتِ الْحَالِ

جَلَّ مُوَلَايَا عَنْ شَبَةِ الْمَثَالِ عَالِي ★

وكتب فيه « مدرسة الصوفية »

★ تَاجِرَ بَغِيرٍ بِضَاعَةٍ بِالْفَضُولِ يَتَهَامُ

كَيْ دَخَلَ يَخْرُجَ حَدَّ شَطَارَتُو يَسَاوَمُ ★

وكم من مديح للاولياء ، وكم من اجتماعيات ...

ونجد - ودائما على سبيل المثال لا الحصر - السي التهامي لدغري يكتب في "قياس مشرقى" «العرصة» :

★ يَا عَرَصَةَ صَوْلِي صَوْلِي بِطَيْبِ الْأَطْيَابِ

سَاكِنَكَ سَيِّدِي وَلَدُ السَّاكِنِينَ طَيِّبًا ★

ولقصيدة "الربيع"

★ جَادَ يَا مَحْبُوبِي فَصَلَ الرَّبِيعَ بِرُخَاءِ

مَا بَقِيَ غَيْرَ اللَّهِ وَرَأَاهُ لِلنَّزَاهَا ★

وقصيدة : "الجن"

★ مَا لَ جَفَنِي يَبْكِي بِالدَّمْعِ لَيْلَ وَأَنْهَارَ

★ مَا لَ جَفَنَ حَبِيبِي سَاحِي مَنَ الدَّمُوعِ

وقصيدة : "لام مرشوق"

★ لَا يَعِيدُ لِفِرَاقِ الْمَعْشُوقِ يَا لِعِشَاقِ

★ بَعْدَمَا عَتَقْنِي تَعْنَاقِ لَامَ مَرَشُوقِ

وفي هذا الوزن كتب متيرد أصدق قصائده العاطفية ، ولا أقول الغرامية أو الغزلية لا العاطفية كما سنرى في فصل الاغراض والموضوعات :

★ فَاطِمَةُ شَرَعَتْ لَكَ مَعَكَ بَيْنَ الْارِيَامِ

★ وَأَشْ الْحَبِيبُ يَكْفِي بِالْجَفَا حَبِيبُ

ولشعراء آخرين قصائد كثيرة في موضوعات مختلفة ، بل الشعراء الذين ذكرتهم لهم قصائد أخرى لم أذكرها ، إن هذا الوزن بالذات يسمونه "لحويط لقصير" ، لانه من السهولة والبساطة ، بحيث يستطيع أن يكتب فيه الاقل من ناظم ، فضلا عن الناظم الممتاز ، والشاعر الفحل .

"أقياس مشرقى" في الملحون كالرجز في الشعر الفصيح ، وليس من بين شعراء الملحون من لم يكتب فيه خمس قصائد أو ست ، بل إن منهم من لم يكتب طوال حياته إلا في هذا الوزن مثل لهويتر ، والحاج اعمار ، فما عرفنا لاي واحد منهما أية قصيدة في أي وزن آخر .

"القياس" الثالث من لهما المثنية "كتب فيه عبد القادر العلمي" حجوبة 8 + 12

★ شَفَقِي مَنَ حَالِ اللَّيْ هَوَاكَ تَدْبِلُ لُونُو وَسَفَرَتْ وَرَقَّتُو يَا حَجُوبَا

★ تَعْلَمِي وَتَحْقِي بَيْنَ غَوْضِكَ مَا كَانَ حَبِيبُ

كتب فيه التهامي لدخري "الصبرحي"

★ غَنَمَ صَبُوحِي يَا نَدِيمَ وَسَطَابِ رَضِيعِ الْكَاسِ وَالْأَطْيَارِ فُ مَغْنَاهَا

★ لَا تَرْتَا يَا سَاقِي وَكَبْ وَدَا رَيْي سَمَاحُ

وكتب فيه "الدبجور"

★ شَوْفَ الشُّكَايَا ، شِي شَكَا بَحْبُو ، شِي بِالْفُرْقَا ، وَشِي بَعَشَقُو وَغَرَامُو

★ شِي مَنَ الْجَفَا ، شِي جَايِبَ الْهَدِيَا يَرْحَلُ وَقِيمُ

وكتب فيه " لغوي " المرسول :

- ★ خَبَّرْنِي يَا مَرْسُولَ عَنْ سَرَّاجِ أَعْيَانِي وَأَشْمَنِ أَنْهَارِ نَظْفَرِ بُوَصَالُو ★
★ عَرَّاضُ الرِّينِ أَنَا عَيْدٌ وَمَوْلَايُ الْفَتَّانُ ★

وكتب فيه : " الجليلي لمحيي " الخلال :

- ★ خَلْخَالَ عَوِيشًا دُرَّتِ الْبَهَا فِي مَكْتُوبِي يَا وَلِيْفَ دُرَّتُو وَمَشَالِي ★
★ كَيْفَ الْمَعْمُولِ إِلَى اتْسَالِنِي مَوْلَاتِ الْخَلْخَالِ ★

وكتب فيه " الميساوي الفلوس : " الدملج :

- ★ دَمْلِجْ زَهِيرُو سَابِغِ الشَّقَرِ كَانَ فَ جِيْبِي يَأْهَلِ الْهُوَى وَمَشَالِي ★
★ بَاشْ اَنْجَاوَبْ مَنْ اللَّيِّ اتْسَالْ عَنُو سَابِغِ الْاَشْفَارِ ★

وكتب فيه : " مولاي قنود البلغيثي " زبيدة :

- ★ صَلِّ بِحُسْنِكَ وَبِهَآكَ يَا كَمَالَ سُرُورِي سُودَ النَّيَّامِ وَلَفِي زُبَيْدَةَ ★
★ اللَّهُ يَزِيدُكَ يَا سُرُودَ رُوحِي عَزَا وَتَمْجِيدَ ★

لا أريد أن أقول وأعيد . . مع كل مجموعة من كل قياس - عبارة " وقصائد أخرى كثيرة لعدد من الشعراء وحسبي أن أسجل هنا للمرة الأولى والآخرى - أنني لا أستعرض من قصائد كل "قياس" ، إلا بمقدار قطرات قليلة من بحر زاخر فالقصد ليس الاحاطة بكل ما في "القياس" من إبداعات ، وإنما التعرف فقط على "لزمات وقياساتها"

القياس الرابع ، ونحن دائما مع لهما المثنية 8 + 9

فيه " هنية " للزمودي :

- ★ أَنْتِ الْخَطْفَانِي مَنِّي يَا لَا لَاهِنِيَا ★
★ رَفَّقِي بِحَالَتِي وَتَهْلَايْ وَحَاسِنِي مَعَايَا ★

فيه ابتهالات ل : ولد ارضين :

- ★ مَوْلَايَ جِيْتِ قَاصِدَ بَابِكَ نَرْجَاكَ يَا لَغَانِي ★
★ لَكْرِيْمٌ مَا يَزِدُ الطَّالِبَ ، جُوْدُو مَعَا احْسَانُو ★

فيه قصيدة "الحب" لابن سليمان :

★ أَنَا الَّذِي شَقَّانِي قَلْبِي بِالْحُبِّ يَا أَهْلِي ★
★ وَالْحُبُّ طُولُ عُمْرِي مَتْنُ مَا صَايَبَ الْمُقَالَ★

فيه للتهامي لدغري "الغاليا"

★ أَنِّيَا مَزَاوَكْ مَنْ ذَا الشُّرْبَا الدَّاهِيَا ★
★ لَقَبَيْتُ الصَّدْرَ حُوزِيْنِي وَتَكَائِسِي عَلِي★

وفيه للحاج إدريس "الياسمين"

★ فُوحِي بِطِيبِ لِمَحَاسِنِ يَا مَشْمُومُ كُلِّ زَيْن ★
★ أَنَا فِ عَارِ ذَاكَ الْخَدِّ الذَّهَبِيِّ وَمَسْكُ خَالِكَ★

وفيه ل: بلعيد السوسي :

★ جَنَّانُ السَّبِيلِ الْجَلَسَا يَا مَنْ بَغَا الزَّيْن ★
★ يَمْرُخُ الْأَهْذَابُ أَوْتَرَاتُحَ جَوَارِحُو شُؤْيَا★

القياس الخامس 8+ 8

كتب فيه المغراوي ثناء للملك العلوي مولاي اسماعيل :

★ هَزَّنِي رِيحُ الشُّوقِ وَقَلَّتْ فِيكَ يَا سَرَ فَهَانِي ★
★ عَلَى اسْلَامَا يَسْتَعِدَّنَا بِالْمَقَامِ فِي فَاسٍ مَعَانَا★

وفيه لابن سليمان : الوردة :

★ لَا تَلُومُونِي فِي ذَا الْحَالِ جِيتْ نَشْهَدْ وَنُودِّي ★
★ يَا عَنُولِي فَ: الرُّوحُ سَبَابِي خَالَ فِ وَرْدَةِ★

وفيه للفقيه لعمري "السلبية" - كما سماها شيخنا الجليل سيدي إدريس العلمي " :

☆ شَوْفْ وَسَكْتُ وَسَمِعَ تَبَقًّا عَزِيزَ غَايَتِ لَمْعَرَا ☆

☆ وَلَا تَقُولْ عِلَاشْ ؟ وَكَيْفَاشْ ؟ بَاشْ ؟ وَلَسَانَكَ حَقَرُو ☆

وفيهِ للمداني التركماني " الحقيقة "

☆ يَا لَلْأَيِّمِ خَلِّي الْعِبَادَ كُلَّ وَاحِدٍ فِي حَالُو ☆

☆ الشَّهَادَا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ تَكْفِي مُوَلَاهَا ☆

وفيهِ للحاج أحمد الغرابي " الشريعة "

☆ يَا لِدَاْعِي بِالْعُرْفِ صَنَعِي لِهَلِ الْعَلَمِ فَمَا قَالُوا ☆

☆ الشَّهَادَا مَنْ غَيْرِ أَعْمَالٍ لَيْسَ تَكْفِي مُوَلَاهَا ☆

القياس السادس 9 + 8 كتب فيه " الازمودي "

☆ شَاهَدَتِ النَّارُ عَنْ خُدُودِكَ وَعَلَى الْوَجْنَا نَظَرَتْ جَنَّا ☆

☆ شَاهَدَتِ الْمَوْتُ فَ : الْعَيُونُ أُولَفِي امْهَانِي ☆

فيه لمولاي بلنيتي " اصيل "

☆ رَاحَتِ شَمْسُ الْعَشِيِّ وَطَاحَتِ خَلَاتُ انْوَارِهَا تَهَبُّ ☆

☆ يَا سَاقِي بِالْكَبِيرِ غَدْرٌ وَمَلَاهُ كِبَالَا ☆

فيه ل : بوعزا " الكاوي "

☆ أَنَا الْكَارِي بَكَى مَخْفِي ، وَالْكَيْ فَ : الدَّاءُ مَا بَرَّالِي ☆

☆ مَنْ بَعْدَ مَا كُوِّتَ وَهَرِيتْ جَرَّاحِي طَالُو ☆

فيه للحاج أحمد الغرابي " مديح نبوي "

☆ صَلُّوْا عَلَى النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ مُحَمَّدَ خَاتَمِ الرِّسَالَا ☆

☆ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالرُّضْوَانُ عَلَى آلُو ☆

القياس السابع : 7 + 8 *

كتب فيه الامام الحسن العسكاري :

☆ جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبْشَرَ قَلْبُ الْهَائِمِ ☆
☆ وَتَحَلَّى بِالسَّعْدِ حِينَ صَابَ مَنَاءُ ☆

كتب فيه المصمودي "يامنا "

☆ قُولُوا لِيَا مَنَا تَهْلِيلُ الْعُثْمَانِي ☆
☆ مِينَا .. يَا مِينَا مَعَكَ شَرَعُ الْمَلَةِ ☆

وكتب فيه بجيوات "الجبران "

☆ يَا شَوْمَ لِيَعْنِي شَيْءٌ يَصْبِرُ جِيرَانِي ☆
☆ جِيرَانِي لَقَدَرْتُ عَيْبَ الْجِيرَانِ ☆

وكتب فيه بهزيان "المحبوب "

☆ مَحْبُوبُ خَاطِرِي مَنْ فَقَدْتُ وَعِندَإِلِي ☆
☆ عِندَإِلِي لَعَلَّيْتُ مَا انْعَمَ بِوَصَالِ ☆

وكتب فيه الحاج إدريس بنعلي "الصاحي "

☆ يَا صَاحُ لِيَمَنَّا وَأَنْتَ عَاشِرُ صَاحِي ☆
☆ وَيَرَأَيْقُ لَعْدَامَ طَافَحَا بِالرَّاحِ ☆

وفيه لابن علي ولد أوزين "الشماثل الحمدي "

☆ أَجِي تَشَاهِدُ السَّرَّ الْمُحْمَدِي ☆
☆ وَشَمَائِلُ شَلَا تَحْدَثُهَا لَعْدَادُ ☆

القياس الثامن : 8 + 4

كتب فيه متيرد "لبابة "

★ طَارَ بَجْفَاكَ صَوَابِي ★

★ يَا لِي تَهْتِي تِهْ كَثِيرْ لِبَعْتَايَا لُبَابَا ★

وليه شوقية لولد أريزين :

★ الصَّلَاتْ عَلَى النَّاقِي ★

★ سَيِّدْنَا مُحَمَّدْ جَدَّ الْأَشْرَافْ مَنْ جَانَا بِالْحَقْ ★

وليه لابن سليمان "سلطان المشور"

★ يَا هَلْ الزَّيْنُ الْفَاسِي ★

★ صَافِرْ مَجْمَعَكُمْ وَيَا يَغْوُوا السَّلْطَانُ الْمَشُورْ ★

وليه للتهامي المدغري "حصان"

★ سَالْ عَوْدِي عَنْ وَعْدِي ★

★ يَبَاتْ يَرْثِي وَيُضِلْ مَعَا اللَّجَامْ مَسْكِينْ اِيَكْدْ ★

القياس التاسع 6 + 7 كتب فيه بنسليمان "غصن الخيزران"

★ كُنْتُ وَيَا قِي فَانِي ★

★ يَا رَاحَتْ الْخَوَاطِرْ يَا غُصْنُ الْخَيْزِرَانْ ★

وكتب فيه النجار "المعزاة"

★ نُورُ الْحَقِّ السَّامِي ★

★ صَلَّى عَلَيْهِ رَبِّي وَعَلَى الْوَسْلَامْ ★

وليسيدي عبد القادر العلمي "البستان"

★ سَعْدُ الْكَلْبِ الْهَانِي ★

★ سَعْدَاتْ مَنْ فَانُوا مَرْتَاخْ مَنْ الْحَانْ ★

وليه حالية العمري :

☆ زَخْرَفَ رَوْضَ جَنَانِي ☆

☆ وَشَمَنْ جَنَانَ فِيهِ اللَّيْ فِ قَلْبِي الْآن ☆

"القياس" العاشر 6 + 11 لمل أول قصيدة فيه هي ل: بن حساين الحفيد

☆ صَلَّى اللَّهُ عَلَى الصَّادِقِ الثَّاقِي ☆

☆ مُحَمَّدٌ أَشْفِيعُ الشَّافِعِ إِمَامُ الْإِنْبِيَاءِ رَاكِبُ الْبَرَّاقِ ☆

وليه لسيدى عبد القادر العلمي :

☆ قَالَ الْمَرْتَانُ صَيْفٌ لِي زِينِي ☆

☆ وَمَدَحَ امْحَاسِنِي كَيْفَ يَمْدَحُوا نَاسَ الْغَرَامِ بِدُورِ الْحَسَنِ ☆

وليه للحاج إدريس "خمرية"

☆ مَنْ ذَرَا يَكْمَلُ فَرْحِي وَسَلَوَانِي ☆

☆ وَيَعُودُ فِي مَكَانِي سَاقِي غَانِي ضِيَاءِ عِيَانِي ذَاتَ الْحَسَنِ ☆

كان عليّ أن أكتفي بهذا القدر من تلمّزاً المثنية وقياساتها، إلا أن الخاطرة التي خطرت في خاطري تستلزم الاتيان بطائفة أخرى من قياسات هذه "لرما"، ولو بنموذج واحد لكل قياس، حتى لا أسجل هذه الخاطرة إلا وأنا في غاية الاطمئنان عن نتائجها

القياس الحادي عشر 5 + 6 والنموذج "رد الولها" ل: ولد بوعمر

☆ أَهْلُ الْبَنَاهَا حَمًا قُورِدَ الْوَلْهَا ☆

☆ مَنْ شَعَا .. مَنْ شَعَشَعُوا الْكَامِلُ الْبَنَاهَا ☆

القياس الثاني عشر 3 + 6 والنموذج لابن سليمان

☆ أَمَا مَنْ كَلْظَمَ ☆

☆ صَحَّتْوَ كَانَتْ لَوْهِي الطَّامَا ☆

القياس الثالث عشر النموذج لسبيدي حلال العلوي

★ رَضَعْتَ الْغِيَالَ فَتَدِّي ★

★ وَكَبَّرْتَ فَ: الْقَلَاعِي فَ: الدَا ★

القياس الرابع 5 + 7 النموذج من شعر ولد أديين

★ صَلَّيْ عَلَى النَّبِيِّ فَ: اللَّيْلُ أَوْ النَّهَارُ ★

★ تَنْظُرُ وَيَا بَصَرَ أَوْ بَلْبَصِيرَا ★

القياس الخامس عشر 5 + 8 النموذج من شعر اليوسفي

★ أَنَا اللَّيْ نَظَرْتُ غَصِيْنَ الرِّيحَانَ ★

★ فَتَحَ الْوَرْدَ الْفِيلَالِي عَلَى فَنَانُو ★

القياس السادس عشر 6 + 8 والنموذج للتهامي لدغري

★ شَدُّ أَسِيدِي وَمَأْنَكْ ★

★ بِيَدِيكَ زَوْجُ مَتَكْ لِيَهْ أَشْ عَلِي ★

القياس السابع عشر 7 + 6 والنموذج من شعر الناصري

★ أَنَا لِفَرِيبْ فِي بِلَادَاتِ النَّاسِ ★

★ مَفَارِقُ وَطَانِي وَحِبَابِي مَعَاوَنَاسِي ★

القياس الثامن عشر والنموذج من شعر مولاي عبد الرحمان بوقطيب ، وهو من الاوزان الراقصة بالنظر الى

نوع إيقاعاته " 4 + 4 "

★ شَعَلَاتْ فَ خَلَوْتِي مَنَارَا ★

★ وَاللَّيْلُ فَ: حَلَكْتَ اللَّيَالِي ★

وكذا القياس التاسع عشر $11 + 11$ " والنموذج من شعر مولاى الحبيب العبار :

★ الزَيْنُ الزَيْنُ مَا نَنْوِزُو لَوْ كَانَ يَطْوُقُونِي لَمَحَالُ ★

★ ياكوينا اللي خطفت أو من فوق لعود ديك مولات الخال ★

هو أيضا من الاوزان الراقصة التي تشيع المرح في النفوس ، فتنتقل من "التحيرا" أي التواجد مع الايقاعات الحضارية ... إلى شيء من الترويح مع أوزان الايقاع الراقص

" القياس العشرون " والنموذج من شعر بلمواني $4 + 6$:

★ رِدْفُ : لَمَحَاجِي حَاجِي ★

★ مَا عَلَحَجَا مُحَاجَا ★

القياس الواحد والعشرون $4 + 5$ والنموذج من شعر ناصر الدكالي

★ سَأَلُوها لَأَشْ غَادَ يَأْلُو ★

★ سَأَلُوها لَأَشْ تَابَعَاهُ ★

ونختم هذه الاوزان بما يسمى " العمودي " $6 + 6$ والنموذج من شعر الجيلالي متيرد .

★ هَذَا فَصْلُ الرَّبِيعِ فِي رَبِيعِ الْخَيْرِ ★

★ مَوْلِدُ حَبِيبَتَا أَحْمَدَ شَارِقِ الْأَنْوَارِ ★

هذه بعض "قياسات" "لرما المثنية" و "لرما المثنية" وكل "قياساتها" سواء منها ما ذكرت أو ما لم أذكر لا تمثل إلا ربع ثلث الملاحون أي أن مدرسة الملاحون تستطيع أن تقابل بحور الخليل بن أحمد الفراهيدي ، بل وتضاعف عددها بـ "قياسات" "لرما" واحدة فقط هي "لرما" "الاولى" "لرما المثنية" .

وقد سبق القول أن فنون القول في الملاحون ثلاثة . الشعر العمودي ويسمى "لمبيت" والشعر المتحرر نسبيا ويسمى "مكسور جراح" والنثر الفني ، وقد أطلق عليه إسم "السوسي" وسبقت الإشارة أيضا إلى أن الشعر العمودي في الملاحون "لمبيت" يتكون من أربع "مرمات" ، و"لرما المثنية" التي استعرضنا "قياساتها" واحدة من أربع ، وبها وحدها تقابل مدرسة الملاحون سائر بحور الشعر العمودي وزيادة . أما الثلاثة أرباع الباقية من "لمبيت" أعني "لرما الثلاثية" و "لرما الرباعية" و "لرما الخماسية" فهي تقابل كل شعر الفروع والاضغان من موشحات ، وأجزاء ، وطلائق ، وما شابه .

ولا يفوتني أن أذكر هنا "أدب الطفولة" ، ففي الاستسقاء مثلا وعندما يردد الكبار "اللهم أسق عبادك وبهيمتك ، وأنشر

رحمتك ، وأحيي بلدك الميت .

يردد الشباب والفتيان

هَـا السَّبُّوْلَا عَطَشَانَا غَيْثَهَا يَا مُوَلَانَا

ويستجيب المجيب جل جلاله ، ويرحم عباده بالامطار ، وتعم الفرحة ويتسابق الاطفال إلى ساحات الاحياء ... وهم يرددون :

أَشْتَا تَا تَا تَا تَا أَوْلَادُ الْحَمَامَاتِ
الْمَعْلَمُ بُوَزْكَرِي طَيْبُ لِي خُبْرِي بِكَرِي

أو يرددون :

أَشْتَا صَبِّي صَبِّي وَالرِّزْقُ عَلَى رَبِّي

وهي كلها مرددات على وزن واحد ولا يتغير الوزن إلا إذا انخرط الجنس الآخر (البنيات) بلعبة (حيناً)

أَحِينَا الْمَحِينِينَا
حِينَا صَبَاتُ عَلْنَا
حِينَا فَايْنُ بُوْعَزَا
حِينَا مَشَا لِلْسُّودَانِ
حِينَا يُجِيبُ اللَّبَانِ

أما ربات البيوت لهن أيضاً أذبهن النسوي الذي يعتمد الصدر والعجز فقط

الْعُودُ الْمَرْبُوطُ الرَّبِيعُ قَدَامُو مُوَلَايَ الْحَسَنِ يَزِيدُ فَا : يَامُو
بَيْنَا وَبَيْنَ الْجَامِعِ رِيحَتُ الْجَاوِي وَأَيَا مُوَلَايَ عَبْدَ اللَّهِ يَا الْمَكَوِي
هَكَذَا خَلْقُهُ أَمَالِيهِ الْمَلْحَا وَالسَّرُّ عَلَيْهِ

ويظهر وزن الاطفال : أَشْتَا تَا تَا تَا تَا مرة أخرى ، في مظاهرات الافراح بمناسبة رجوع محمد الخامس طيب الله ثراه

مَلِكُنَا وَاحِدٌ مُحَمَّدُ الْخَامِسُ
الْإِسْتِغْمَارُ إِلَى قَبْرِهِ بَنُ يَوْسُفَ إِلَى عَرْشِهِ

وأدب الطفولة كالأدب النسوي ، كلاهما يحتاج الى عناية خاصة ليس هذا مكانها على كل حال . وقبل أن أنتقل الى "لرمات" الموالية . . لابد من الإشارة إلى أن من ضروب المستحيل محاولة تتبع نشأة الأوزان ، ورصد تطورها ، وارتقائها ، وتحولاتها من نمط إلى آخر . وكل ذلك يتم في فصل من كتاب :

نستطيع أن نثبت مثلا أن مولاي الشاد - وهو من الذين شاهدوا نهاية الحكم السعدي . وقيام الدولة العلوية الشريفة - أنشأ هذا الوزن :

رِيَّاحُ الْيَنْبُوعِ هَبْتُ فَ : هَازِ الْأَرْضِ وَخَيْرَهَا نَبْعُ

وأن ولد بو عمر . . حوله إلى "رياعي" بإضافته لشطرين آخرين في قصيدة "بأها"

غَارُوا الْبَوَاهِي مَنْ بَهَا مِنْ لَا لَبَّاهَا شَبِيهَ

مَوْلَاتِي بِأَهَا زِينَهَا صَانُو سِرِّ الْجَاهِ

ويكتب الشعراء في وزن مولاي الشاد الذي يعتمد الصدر والمعز فقط كما يكتبون في وزن "بأها" الرياعي الاضطراب إلى أن يأتي بنعلي ولد أرزين - في العقد الثالث من عهد السلطان العلوي المصلح مولاي سليمان - فيحول الرياعي إلى ثلاثي في قصيدته "أطلال المدن"

لَوْ كَانَ تَنْفَرَمَ يَا حَمَامَ انْفَرَمُوا الْمَدَا الْفَائِتَا

وَاللِّي شَفَقْنَا فِي زَمَانَا مَا شَافُوهُ انْجَالُ

ويأتي لحبابي في عصر الحسن الاول ، فيعود بالوزن إلى ما كان عليه أيام ولد بو عمر . ولكن بإضافة حركات في الشطر الثاني والشطر الرابع تلأثمه جدا جدا .

قُـوْلُو الْخَنَائَا يَا تَرَى فَ : الْعَاهِدُ تَبْقَى ثَابِتَا

صَانَتْ بِحَمَالَهَا حَيَاتِي رَاحَتْ رُوحِي الصَّائِلَا عَلَّ لَبْدَرُ بَنْعُوتُ

ويأتي بن ريسول ، وهو من المتأخرين ، تتلمذ عنه شيفي وأستاذي وولي نعمتي سيدي إدريس العلمي رحمه الله . فعاد بالوزن إلى عصر نشأته الاولى ، وكما أراده مولاي الشاد :

يَأْمَنْ هُوَ مُسَلِّمٌ فَ : النَّبِيَّ وَوَلَادُ وَقَوِيْ امْحَبَّتِكَ

أستطيع أن أثبت مثل هذه التحولات في كل أوزان الملحون . إنما ليس في فصل من كتاب أريده "بداية الطلب" بالنسبة

للباحثين والدارسين ، و "نهاية الارب" بالنسبة للمؤمنين والمؤمنين ... وكتاب هذا شأنه لا ينبغي لمصنفه أن يفرق في موضوع على حساب الموضوعات الاخرى ، خصوصا وانها كثيرة ومتشعبة أي الموضوعات ، وتلزم الاحاطة بها جميعها ولو باختصار شديد .

"ب" (لرما الثلاثية وقياساتها) :

ثلاثية لان البيت الواحد يتركب من ثلاثة اشطار : "الصدر والعجز ، والدليل" بخلاف لرما السابقة التي كان البيت في كل قياساتها ... يتركب من "صدر وعجز ... فقط

القياس الاول كتب فيه مولاي عبد الله واحساين "وصايا لقمان" * (9 + 9 + 9)

أَرَأَيْتَ نُوْحِيكَ كَيْفَ وَصَى وَلَدُ لُقْمَانَ وَنَتَّ تَصِفِي كَيْفَ مَا صَنَعَا وَلَدُو لُبَيَّانِي
وَتَوْصِي بُوَصَايَتِي الْمَرْوِيَّ قَوْمَ آخَرِينَ

وفيه للتهامي المدغري قصائد كثيرة اذكر منها "حكاية زنجية"

مَا اعْظَمَ ذَاكَ الْيَوْمَ فَاشَ صَدُو نَاسِي وَمَشَاوَا تَرْكُونِي نَوَاحَ فَا : الرَّسَامُ قَلْبِي كَاوِي
يَحْسَنُ عَوْنُ اللَّيِّ امْضَاوَا نَاسُو مَنْ بَعْدَ كَوَا

وفيه للسعداني قصائد وقصائد اذكر منها "المشموم"

جَاتَ لِعُنْدِي مَا عَرَفْتُهَا فِيدِيهَا "مَشْمُومٌ" أَوْ مَشْمُومٌ انْضَرَّتْ فِي وَجْهِهَا بَنِيَامِي
وَاحِدٌ لِلتَّقْبِيلِ زَايِدٌ عَلَى النُّخْرَا وَالشَّمِّ

وفيه لبنتلي المسفيوي "الطومويل" الثانية.

سَعْدِي زَارْتَنِي حَبِيبَتِي الْغَزَالُ أَمْ اِدْلَالُ وَتَنْزَمُنَا بِالْجَمِيعِ وَرَكَبْنَا طُومُوْبِيلُ
وَتَسَارِينَا بِالْجَمِيعِ فَالِدُنِّيَا عَرْضُ وَطُولُ

وفيه للحاج احمد الطرابلسي مديح نبوي :

يَا عَيْنَ الرَّاحِمَةِ الرَّاحِمَةِ يَا قُرَّةَ الْاَنْيَامِ يَا قُرَّةَ الْاَنْيَامِ جُدِّي يَا بَحْرَ التَّعْظِيمِ
يَا بَحْرَ التَّعْظِيمِ وَالْفَضْلُ يَا عَيْنَ الرَّحْمَةِ

"القياس الثاني" من "لرما الثلاثية"

فيه للحاج أحمد بنمسعود الازمودي "لطومة"

شَفَّتْ الشَّمْسُ وَشَفَّتْ الْقَمَرُ وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ فِي خُدُودِ غَزَالِي فَطُومُ
شَمْسُ الْحُسْنِ أَلَالُ الطَّامِ رَوَّنَقُ السَّرِّ عَنْ جَمَالِكَ يَا حَلَامُ

وفيه ل: التهامي لدغري "النحلة"

صُولِي يَا شَامَةَ الضَّرِيفَةِ وَزَاهِي وَغَنِي وَدَنَدَنِي نَغْمِي عَلَى الْاوتَارِ
مَا مَنَّاكَ فَضَّةً وَلَا اَتَبْرَ يَا بَنْتَ الْمَلِكِ فِيكَ هَمَّةٌ وَتَجَارَةُ

وفيه للحاج ادريس "الكاس"

أَسَاقِي لَمْدَامَ صَبْغٍ نَحْكِي لَكَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ كَاسِ رَحِيقِ الْمَسْطَارِ
قِصَّةٌ وَعَجُوبَةٌ وَتَرْجَمَةٌ صَارَتْ لِي الْبَارِحُ امْعَا جَلَّاسِي

وفيه لادريسي العلمي "مديح نبوي"

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا الْمَاحِي مُحَمَّدُ يَا شَرِيفَ الْأَسْمِ سَيِّدَ لَمْلَاحِ
يَا مَنْ بِكَ النَّاسُ فَرَحَةٌ مَنْ شَهِدَ بِكَ نَالَ رَبْحًا وَصَلَّاحًا

"القياس الثالث"

فيه لابن طي ولد اريزين "زنوبة"

يَا بَدْرَ مَا غَطَّاكَ حِجَابُ فِي نَجَايَا شَمْسِ النَّهَارِ السَّعِيدِ يَا زَنْوَبَةَ
شَاقِقُ اشْشُوفَكَ يَا زَيْنَبَ

وفيه للحاج ادريس "حبيبة"

يَا لَلِّي زَيْنَكَ زَيْنَ عَجِيبَ عَالَجِينِي بِرَضَاكَ أَرْوَحُ رَاحَتِي حَبِيبَةَ
مَا ابْحَالَكَ عِنْدِي مَحْبُوبَ

وفيه للحاج أحمد الغرابلي "الصورية الصوفية"

كَبِّ لِّلْسَاحِي كَاسَ الرَّاحِ يَا لِسَاقِي رَادَفَ لَوْلَا تَكُونُ فِيكَ جَحَاحَةٌ
حَضَرُوا فَ : الْغَيْبَةُ يَرْتَاحُ

القياس الرابع من "المرما الثلاثية..."

فيه أحمد بن سليمان

نُبْكِي عَلَى دُنُوبِي وَصَلَاتِ أَوْقَاتِي يَوْمَ الْهَوْلِ وَظَلَمَةِ الْقَبْرِ
بَدَلْ يَارَبِّي سَيِّئِي بِالْحُسْنَةِ

وفيه ل : التهامي المدغيري

الْأَلَّا زَهْرُودُ أَزْهَرِي وَزَهَارُودُ بِكَ رِيَاضِي فَأَيْخُ الزَّهْرِ
صَوْلِي صَوْلِي يَا غَزَالِي زَهْرَةٌ

وفيه لنفس الشاعر

أَنَا عَشِيَّتُ الْجُمُعَةِ شَابَ شَبَابِي مَلَكْتَنِي عَزَبَةٌ وَشَابَةٌ
مَنْ شَاهَدَهُمْ مَا اسْتَحَى بِشَبَابِهِ

واقرب منه " اثلاثة زهوة ومراحة " لنفس الشاعر

اَثَلَاثَةٌ زَهْوَةٌ وَمَرَاةٌ بِهِوَاهُمْ مَا أَنَا سَاحِي
رُكُوبُ الْخَيْلِ وَالْبَنَاتِ وَكَيْسَانُ الرَّاحِ

"لمرما" "الرباعية" وقياساتها

تتدرج في هذه "لمرما" كل القصائد التي يشتمل البيت الواحد منها على أربعة أشطار غير متوازية، أي أن الأشطار الأربعة التي يتكون منها البيت الواحد ، لا بد وأن يكون فيها الشطر الطويل والشطر الأطول ، والشطر القصير ، والشطر الأقصر . ذلك لأن القصيدة المتوازية الأشطار ، وإن كانت رباعية فمكانها "لمرما المثنات" وليس "لمرما الرباعية" اقراوا معي مثلاً هذا البيت من قصيدة الحاج أحمد الغرابلي .

صَلَّى اللّٰهَ عَلَيْكَ يَا شَفِيعَ الْعِصَاةِ الْهَادِي يَا عَيْنَ التَّعْظِيمِ وَالْهَدْيِ
يَا مُحَمَّدُ خَاتَمَ الرِّسَالَةِ يَا نُورَ اَتَمَّ اِدْيِ فَصَلَاتِكَ سَطْوَةٌ وَفَايِدَةٌ

فهذا البيت وإن تركب من أربعة أشطار ، لا يعتبر إلا مثنى " متكرر إذ أن الوزن كما تلاحظون واحد : الصدر الاول على وزن الصدر الثاني والعجز الاول على وزن العجز الثاني ، وكذلك الحال في قصيدة الشهداء ل : بن مخلوف .

مُحَمَّدُ يَا نُورَ تَعْدِي صَلَّى اللّٰهَ عَلَيْكَ ابْدَا
عَدَا النُّحْلَةَ الَّتِي اَتَسْدِي تَعْمَلُ شَهْدَةً فَوْقَ شَهْدَةٍ

وكذلك وصية الحاج ادريس :

لَطْفَ اللّٰهِ يَغْمُ يَا لِسَاهِي وَطَلْبُ رَبِّي سَلَامَتُكَ
اَلَى رَدَّتِي تَغْنَمُ اَوْ تَعْلَامَا بَيْنَ النَّاسِ دَرَجَتِكَ

وللشاعر الصوفي الكبير الحسني العراقي في هذا المثنى المتكرر :

جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبْشَرَ قَلْبُ الْهَائِمِ وَتَحَلَّى بِالسَّعْدِ حِينَ صَابَ مَنَاءُ
اَنْكَى الْحُسُودِ وَظَفَرَ بِالْعَزِّ الدَّائِمِ وَاصْبَحَ يَتَمَخَّرُ فِي ثِيَابِ هَنَاءُ

وله ايضا في " المثنى " المتكرر ، وعلى وزن آخر

اَنْسَى بِحَبِيبِكَ كَلَّشِي وَجَمَعَ فِي ذَاتِهِ هَوَاكَ
وَشَكَرُ مَعْبُودِكَ مَنْ ضَحَى بِالْقُدْرَةِ يَهْدِيكَ

كل هذه القصائد وغيرها مما شاكلها . . هي من "لرما المثنوية" اما "الرما الرباعية" هي التي يشتمل البيت الواحد من قصائدها على أربعة أشطار غير متوازية كما سبق القول . وإليك نماذج منها للدلالة عليها .

"لرما الرباعية وقياساتها"

القياس الاول : حب حبيب الرحمان... للجيلالي امتيرو

صَلُّوْا عَلَى الْعَدَنَانِ مَنْ جَانَا بِالْبَيَانِ
فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ طَهَ مَفْتَاحُ الْكُونِ

القياس الثاني : "مديح نبوي" للنجار

جَلَّ الصَّلَا مَهْدِيَّةٌ عَلَى النَّبِيِّ مَزِيدِيَّةٌ وَعَلَى الْأَزْوَاجِ وَانْصَارُوْهُ
وَعَلَى الْأَسْبَاطِ وَعَلَى الشُّرَفَاءِ الْأَحْرَارِ وَعَلَى الرَّهْمِزِ بَنَتْ الرَّسُولُ وَعَلَى هَذَا الرُّومِ

القياس الثالث : ... حجویة لابن علي زكوب الخيل والبنات وكيسان الراح

يَا لِي زَيْنَكَ فَاقِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْبَرْقَ فَالْأَحْبَابَ صَلَّيْتُ بِحُرُوفٍ عَجَابُ
صَبِيحُ لَجَوَابِي عَالَجِينَا بِالزُّورَةِ يَا لَرِيمِ حَجُوبِيَّةُ

القياس الرابع : "الشهادة" ل: بنسليمان

يَا صَاحَ زَارِنِي مَحْبُوبِي يَا مَسْ كُنْتُ صَائِمُ
مَهْجُورُ كُنْتُ مَدَّالِي
شَهْدَةٌ قَطَعْتُ وَجَنِيَّتِ الْوَرْدُ كَالْوُ كَلَيْتِ رَمَضَانُ
يَا حَنِيْبُ الْخَسَاطِرُ يَاكَ الْمَرِيضُ يَقْطُرُ ؟

القياس الخامس : "طامو" لعبد القادر العلي

طَامُو يَا بَهِيْجَتِ الْخُدَادَةِ يَا الْحُرَّةَ الْمُنْكَادَةَ يَا غَايَتِ التَّمْجِيدِ
دِيرِي لَعَا شَفَقَكَ مَرَانُو يَنْكِي بِكَ كُلُّ حَسْبُ وَدُ

القياس السادس : "قاضي العشاق" ل: التهامي المدغري

أَقَاضِي قِصَّةَ جِرَاتِ لِي مَعْتَاهَا مَا جِرَاتِ لِحَدَفَ : نَاسُ لِفَرَامُ
مَحْبُوبُ لِيكَ دُعَايِي وَحَلَفَ لَا مَنُتَانِي

القياس السابع : "خروج" ل: بنسليمان

من يوم ريتها دراجة ماوسنت داجي
ونالطلوع هلالها نرتجي رانا في عار للاخروج

القياس الثامن : "المحبوب للحاج فضول"

محبوب القلب زارني يا مَسْ يَا عَشْرَانِي وَأَصْلَنِي الرِّسَامُ وَنَكَى جَمَعَ الرُّقْبَابُ

صَائِلٌ مَا بَيْنَ قُرَآنُ سِيدِي بُوُجْنَةُ مَنَكَلَةُ

القياس التاسع : "فارحة ل : التهامي لدغري

دَاسِيْنِي تَحْتَ الْخَلَالِ بَيْنَ دَرُوعِكَ لَمَلَاخِ وَاللَّبَّةُ وَالسُّدُوحُ
وَنَهَيْدَاتِكَ تَفَاحَةُ خَفْتُ اَيْشُوفُونِي عَيْنُكَ يَجْرَحُونِي يَا فَارْحَةَ

القياس العاشر : "النواح" لابراهيم السوفاني .

نُوحٌ غَزَالِي طَلْحُحُ مَنْ جِيْبِي فِيهِ صَلَاحِي
كَيْفَ اَنْدِيرُ إِلَى اَتْسَالِنِي مَوْلَاتُ الدُّوْحُ حَبِيْبَةُ قُوْتِ الرُّوحُ

هذه عشر نماذج من "اقياسات لمرا الرباعية" اثبتتها للدلالة على القياسات الرباعية الحقيقية . والتي هي غير متوازية الاشطار

طبعاً لم أسجل كل قياسات لمرا الرباعية ، لاتقادي التطويل ولم أشر إلى القصائد التي هي على وزن القصائد التي هي على وزن القصائد التي أثبتتها والتي تعد بالعشرات .

"لمرا الخماسية وقياساتها"

لمرا الخماسية هي "لمرا" الاخيرة في "ملحون الابيات" الشعر العمودي في الملحون وقياسات لمرا الخماسية هي آخر قياسات هذا القسم من اقسام الملحون الثلاثة :

1- البيت 2- مكسور جناح 3- السوسي

فبالمرمة الخماسية وقياساتها ننهي قسم "البيت"

القياس الاول فيه للجيلالي امتهرد "الطير المفقود"

طِيرٌ اَمْشَالِي وَلَا عَرَفْتُهُ فِينْ مَشَى سَابِغُ الْاَشْفَارِ
فَدَفَدَ بَجَوَانَحُوْ وَطَارُ تَجْمَعْنِي بِهِ يَا الْمَوَلَى
طَالَتْ بِالْوَحْشِ غَيْبَتُوْ

وجاء التهامي لدغري ، فكتب فيه " فارحة المنشوبة" ولكن بالتزام تام بالقافية في كل شطر من الاشطار الخمسة التي يتكون منها البيت الواحد

سَلَّتْكَ بَبْهَاكَ يَا الرَّايْحُ مَا لَكَ سَكْرَانُ نُونُ رَاَحُ
وانا عقلي معاك راح بَايْتُ مَنْ لِيَعْتَ الْجَرَايْحُ
سَاهَرُ وَالنَّاسُ رَايْحَةُ

ثم عاد وكتب فيه وينفس الالتزام : "زايدة"

أَنَا الْمَشْرِي بِلَا مَزِيدٍ وَاللَّائِمُ فَ : الْمَلَامُ زَادُ
بِمَلَامُو حَرَمَنِي الزَّادُ كَفَ اللُّومَانُ لِيْنِ زَايْدُ
يَبْلِيْكَ بِحُبِّ زَايْدَةَ

وكتب الشعراء الكثير في هذا القياس وبالالتزام تام بالقافية في سائر الاشطار الخمسة ، لكن عندما جاء الحاج ادريس تساهل في القافية ... وعاد با "القياس" الى نمط "الطير المفقود" للجيلاني متبردا .

أَنَا فِي عَارِ قَامَتِكَ يَا رَأَيْتُ الْهَمَامُ فَ : اللَّطَامُ
لُوجِيْبَةً لَا لِلَّ الطَّامُ رَفَقِي بِي وَحَنَ وَعُطْفُ
يَا أَبُو دُوَّاحُ فَاطِمَةَ

الشطر الاول لا يخضع لقافية ، وكذلك الرابع

وعلى هذه الشاكلة عاد فكتب فيه :

أَسَادَتِي أَوْلَادُ طَمَّةَ بَرَضَاكُمُ عَالِجُوا الْحَالُ
يَا نَاسَ الْجُودِ الْافْضَالُ أَنَا فِي عَمَارٍ لَّالُ
فَطِيْمَةُ الرَّاهِنُ رَا الطَّاهِرَةَ

بل هنا تساهل أكثر فأكثر على كل حال لا أريد أن أستمر مع هذه الاشياء التقنية التي قد لا تهتم بها الا فئة قليلة من الناس وأكتفي بهذا الجرد لقياسات لومما الخماسية .

القياس الثاني من لومة الخماسية

هَاجُو الْافْكَارُ اللَّائِمُ يَبْلِيْهِ يَبْلِيْهِ بِالْهَجَرِ مَنْ لَا ذَاقَ الْحُبِّ مَا عَذُرُ
جَائِحٌ نُونٌ قَرَارُ مَا هَزُو رِيْحُ جَمَارُ زَاْفَرَةَ

السلوانية لبلقاسم ، وفيه أيضا قامت لَعَلَمٌ وقصائد أخرى

القياس الثالث فيه لابن علي : "خروج"

يَا قُمْرِيَّةُ لَبْرُوجُ يَا يَقُوْتَةُ فِي تَاجُ يَا الرِّيمُ خَدِيْجَةُ

زُدُّنِي يَا نَعْتُ الدَّرُوجُ يَا بُوسَالْفُ خَلُوجُ

القياس الثالث من "لوما الخماسية" فيه للكنوز "الرقاس"

عَوْلُ يَا رَقَّاسُ بِالرُّضَا وَحَتَّالُ لُوصُولُ بُوْشْفَرُ قَتَّالُ لِيهَا حَتَّالُ

حَسَنُ بَهَاها الْعَانَسُ الْبَتُّولُ مَا لُومَثِيلُ

بهذه "لوما" نكون قد تعرفنا على شكل الملحون العمودي ، ويسمى "لبيت" بقي لنا أن نتعرف على شكل كل من القسم الثاني "مكسور جناح" والقسم الثالث "السوسي" لتفرغ من الشكل ، وننتقل إلى المضمون ، ونبدأ بـ : "مكسور جناح" إنه لون من ألوان فن الملحون ، أشبه ما يكون بالشعر الحر أو الشعر المرسل في عصرنا الحاضر ، لا يتركب من أبيات كما هو الشأن في الملحون "لبيت" وكما تعرفنا عليه فيما سبق ، بل أن كل قسم من أقسام قصائده وكأنه بيت بذاته ، فهو أي مكسور جناح ، وحدة عروضية تشمل المقطع الشعري كله .

"شكل مكسور الجناح"

الْحُبُّ وَالْهَوَى وَالْعَشْقُ وَنَارُ الْغَرَامِ

مَنْ حَالَتْ الصَّبَا فَ : عَضَايَا قَامُوا

كُلُّ وَاحِدَ دَارَ مَقَامُو

فَ : مَهْجَتِي وَضَحَى بِحَسَامُو

امْعَا اسْنَامُو

هنا ينتهي مكسور جناح ، إذ أن ما سيأتي بعده هو من الشعر العمودي "لبيت"

يَطْلَعْنَ وَيَزِيدُ فَ : الْجَرَاحُ اَعْدَامِي فِيسِي غَرَادَ هَذَا الدَّامِي

غَيْرَ مَلَكْتُ عَقْلِي بِجَمَالِهَا وَغَلَقْتُ عَنِّي بَابَ الْمَرَامَةِ

وكذلك لازمة القصيد ... لابد وأن تكون من الشعر العمودي "لبيت" .

رَحْمِي يَا رَاحَةَ الْعَقْلِ تُرْحَامِي مَنْ جَفَاكَ طَالَ سَقَامِي
كَيْفَ نَبَقَى حَايِرٌ وَنَتِ مُسْلِيَّةٌ رُوْفِي يَا لُغْزَالَ فَاطِمَةَ

فمكسور جناح إذن ... يتعذر من سائر قياسات لمومات السالفة الذكر ، ويتخلّى عن رثابة القافية الثابتة ، لكن في البداية فقط ، أما النهاية : نهاية كل مقطع ، لابد من الرجوع إلى الاصل ، هكذا :

عَيْنِيكَ زَوْجَ كِسَانٍ مَنْ عَتِيقَ الْمَسَامِ
مَنْ ذَاقَ مِنْهُمْ شَيْءٌ يَصْبَحَ هَايِمٌ
وَالْعَطْرُ فَا : الْخَدَّ النَّاسِمُ
وَرَدَّ عَكْرِي تَحْتَ صَوَارِمِ
فَاحِ نَاسِمِ

وَالْمَعْطَسُ طَيْرٌ طَارَ لِي بِمَنَامِي بَيْنَ الْوَرُودِ مَسَامِي
وَالسِّنَانُ صَفَا مِنْ حَبِّ الْغَمَامِ وَالْجِيدُ غَزَالَ خَشَى مِنَ الرَّمَا

هذا مقطع من قصائد مكسور جناح ... بدايته تعذر من الوزن الرتيب والقافية الثابتة ، ونهايته رجوع إليها معا . وسوف لا اكتملك قارني العيبب أن هذا الوزن الثلاثي - سواء الذي في آخر المقطع أو الذي في اللازمة

رَحْمِي يَا رَاحَةَ الْعَقْلِ تُرْحَامِي مَنْ جَفَاكَ طَالَ سَقَامِي
كَيْفَ نَبَقَى حَايِرٌ وَنَتِ مُسْلِيَّةٌ رُوْفِي يَا لُغْزَالَ فَاطِمَةَ

هو "قياس" من "قياسات" لمرما الثلاثية .. ولقد كتبت فيه قصائد وقصائد قبل أن يتحول إلى "مكسور جناح" ... بل قياسات كثيرة تلك التي تحولت الى "مكسور جناح" من كل لمومات التي استعرضناها معا فيما سبق .. من ذا الذي يصدق أن "لغزِيل" للسي التهامي هو على وزن "جَل الصلا مهدية" للنجار ؟ ... حتى أهل ملحون العصر الحاضر لا يعرفون مثل هذه الدقائق .

اقرأوا معي هذا المقطع من قصيدة لغزِيل ل : التهامي المدغري لنلاحظ جميعا .. كما لاحظنا ونحن نقرأ ذلك المقطع من فاطمة للحاج ادريس ... أن بداية المقطع مكسور جناح ونهايته قياس من "لرما الرباعية" يعرف بقياس : "جَل الصلا مهدية"

حَالِي اَعْلَا الْغَزِيلُ يَا لَايْمَ نُونُ حَالُ
 سَهْرَانُ طُولُ دَاجِي نَرْتِي مَنَحُولُ
 فِي غِلَالِ هَوَايَا مَوَحُولُ
 سَاخِلِينَ عَضَايَا لَاحُولُ
 عَادَمُ الْحُولُ
 مَنَحُولُ كَمَ مَنْ حُولُ
 فِي حَالَتِي اَمَبَدُلُ
 غَيْرُ اَنَسُولُ

الى هذا الحد ، وينتهي جانب " مكسور جناح " من المقطع . ويبدأ ما يسمى "الروح" أي الرجوع الى الاصل ، الى الشعر العمودي :

بَاقِي صَنِيفِرْ نُونُ صَنِيَامُ اَوْغَلَلَانُ	عَلَى الْغَزِيلِ يَتَشَرَّغِي بِالصَّنُودِ عِيَانِي
وَحَلَا قِيَسِي مَذْهِيَّةُ	خَلَاتِي خَلَاتِي هَمِيمُ هَايْمَ عَقْلِي مَشْطُونُ
اَشْعَلُ فَ : الصُّنَا نَارُ اَبْلَا نُحَانُ	السَّائِلُ شَافَتْ عَيْنِي غَزِيلُ سَبَّانِي
وَالْعَيْنُ السَّرْدِيَّةُ	مَبْقَانِي مَبْقَانِي اَعْلَا لَهِيْبُ الْخَدِّ الْمَكْنُونُ

وهذا الوزن هو من أوزان ، أي من قياسات لرحم الرباعية ، وفيه قصائد كثيرة من بينها "جل الصلا مهدية" واثبتت لازمتها هنا قصد المقارنة .

وَعَلَا الْاَسْبَاطُ وَعَلَا الشُّرُفَا الْاَحْرَارُ	اَعْلَا النَّبِي مَزْدِيَّةُ وَعَلَا الْاَزْوَاجُ وَأَنْصَارُ
جَلَّ الصَّنُورُ لَمْ يَهْدِيَّةُ	وَعَلَا الزُّهْرَا بَنَتْ الرُّسُولُ وَعَالِي هَزَامُ الرُّومُ

على كل حال "مكسور جناح" هو لون من ألوان التطوير التي وقعت في الأوزان العمودية الرتيبة . وأرى شخصيا أن هذا أول تغيير يقع على الأوزان التقليدية القديمة فيكسر فيها رتبة الوزن من جهة وينقلها من قافية ثابتة الى قافية متحركة من جهة ثانية ، كان ذلك في عهد "بوعمرو" وهو القائل :

"الاشعارُ ف : لَعْقُولُ لَطِيَارُ"

وَالْقَفُوزَةُ فَ : الْقَافِيَاتُ"

و"المَرَمَاتُ"

او "الاقْيَاسَاتُ"

على أن هذا التحرر الكامل الشامل الذي دعى إليه بوعمر ، لم يقبل عليه الناس برمته ، فكانت هذه الوحدة العروضية التي تشمل ماهر مكسور جناح من كل مقطع ، وكانت هذه القافية المتحولة أي التي يسمح للكاتب بتغييرها متى شاء ، إنما لا بد من أن تكون على كل حال ... وشروط منها أن لا تخرج لازمات مكسور جناح على مرمات الشعر العمودي : "لبيت" وكذلك الرواح ... أي نهاية المقطع ... ومنها أن لا تنتهي القصيدة من مكسور جناح إلا ب .. "سارحة" . والسارحة كماسياتي الحديث عنها هي مجموعة أبيات على وزن اللازمة لا تقل عن عشرة أبيات ، وقد تبلغ المائة بيت .. ومنها ... ومنها ... ومنها .

وهكذا لم يتحرر الملحن من قيوده القديمة كما أراد له "بوعمر" وإنما "زاد قيدين على قيود" كما قال "متيرد"

وقد جاء بعد أزيد من مائة سنة مرت على ظهور "مكسور جناح" ، وسيأتي معنا ذكر "متيرد" إذا ما وصلنا إلى "السوسي" . وعندي أن الجيلالي متيرد أحسن بتجربة بوعمر ، وصلته وتفاعله معها ، وعقد العزم على إحيائها، بل وفعل كما سيأتي بيان ذلك في معرض الحديث عن "السوسي" . أما الآن ، فلا يزال أمامنا تصنيف "مكسور جناح" فتعالوا بنا إليه

سبق القول أن من شروط طبيعة العمل في قصائد ... مكسور جناح أن لا تخرج اللازمة عن "مرمات" الشعر العمودي في الملحن ... وكذلك نهاية كل مقطع ونهاية القصيدة أيضا والمتتبع للقصائد مكسور جناح ، لا بد وأن يلاحظ أن سائر مرمات الملحن العمودي حاضرة في مكسور جناح ، بل لا يمكن تصنيف قصائد مكسور جناح ، إلا بواسطة ، ومن خلال اللازمة "رواح" لقسم "السارحة" ، أي الجوانب الخاضعة للوزان القديمة .

أما ما تحرر منه فقد تحرر وانتهى أمره .

ولكي لا أطيل ساكتفي بتقديم نموذج أو اثنين فقط من كل "مرما" من "مرمات" مكسور جناح .



* لمرما المثنية *

فيها قصيدة " عيشة " لابن علي :

اللازمة صدر وعجز .. أي فراش وضأ على حد تعبير أهل الملحون :

★ مَالِكُ يَا لُفْزَالُ تَائِيهَا وَعَلَّاشُ أَخِيَّتِي وَفَاشُ ★

★ بَيْنَ الْبَارِحِ وَالْيَوْمِ طَالَتْ الْغَيْبَةُ يَا عَيْشَةُ ★

هذه هي اللازمة ، وهي كما لا شك لا حظ القارئ الكريم ...

من أوزان الشعر العمودي ... لكن عندما يبدأ المقطع يبدأ بوحدة عروضية ، هكذا :

ـ مَاكَانَ لِي فُ : ظَنُّنِي لَوْ تَفَرَّقْنِي نَعِيشُ .

ـ صَبَرْتُ مَا كَفَى وَقَوَى تَشْـوْأَشِي .

ـ حَالَتِي لَا حَالَةَ رَأْشِي .

ـ هَكَذَا نَبَغِي لِلْـوْأَشِي .

إلى هذا الحد وينتهي جانب مكسور جناح من المقطع ، ليبدأ الرواح ... والرواح هو الرجوع إلى الاصل .

★ بَعْدَ أَنْ كُنَّا لَامَةً مَعَاشِرَةً وَحَنَّا زَوْجَ عَلَى فَرَّاشُ ★

★ نَسِيتِي لَمَحَبَّةِ السَّابِقَةِ وَاللِّي فَاتَ مَشَى ★

★ مَالِكُ يَا لُفْزَالُ تَائِيهَا وَعَلَّاشُ أَخِيَّتِي وَفَاشُ ★

★ بَيْنَ الْبَارِحِ وَالْيَوْمِ طَالَتْ الْغَيْبَةُ يَا عَيْشَةُ ★

ومن هذه لمرما ايضا " غيبة للحاج إدريس " :

ـ أَلَا لِلْأَغْوِيَةِ حُبُّكَ وَهَوَاكَ سَاكُنُ الذَّاتِ .

ـ الذَّاتُ فَانِيَةٌ مَا تَقْوَى لِلْتِيهِ .

ـ وَالْعَقْلُ بِغَرَامِكَ حَزَنَتِيهِ .

- لَأَشْرَ عَلَى لَجَمَارٍ رَمِيَّتِيهِ
- رَحْمِيهِ بِقُبْلَةٍ يَا الْهَاجِرَةَ قَبْلَ يَفُوتِ الْفُوتُ
- يَاكَ تَعْرِفِيهِ الْأَلَاغِيْدُ عِنْدَكَ مَ—وَرُوثُ
- حَاضِي شَرْطُ الْأَدَبِ لَيْسَ يُ—وَتَا
- اَرْضَاهُ فِي رِضَاكَ وَهُوَ قُوَّةٌ مُعَاحِيَاثُ—و
- قِيَهِي وَتِيَهَكَ اِيْوَاتِي
- بِشَهَادَتِ الْقَدِيْدِ وَالْغَبَةِ وَالْجَبِيْنِ وَالْقَبِيْتِ

— اللازمة —

★ قُولُوا الْاَلَاغِيْدَةَ مُوَلَاتِي ★
★ جَدُّ بُوَصَالِكَ عَلَى لَعَشِيْقٍ يَامَ الْغِيْثِ ★

* لَحْمَا الثَّلَاثِيَّة *

اختار لمكسور جناح من "لحما الثلاثية" .. قصيدة مليكة للماج أحمد الغرابلي :

.. اللازمة :

★ اَرَايَةَ الْمَلَكَةِ يَا مُوَلَاتِي الْمَالِكَةَ ★ لِيكَ الْعَبْدُ وَكُلُّ مَا مَلَكَ ★
★ لَا لَنَا مَلِيكَهَ حَمَايَةَ الْمَلِيكِ ★

جانب مكسور جناح من المقطع :

- يَا مَنْ طَلُوْعُ—نَلَاكَ
- يَفْجِي ظِلَامَ الْاَحْ—لَاكَ
- نَحْكِي شَمْسُ—لَاكَ

- لَهْ جُودِي بُوَصَاكَ

- نَتَكِي بِزُودَتِكَ عَدَاكَ

- لَنِّي غَلَامٌ حُسْنٌ جَمَاكَ

- قَبْلَ الصِّيَامِ يَا مَلِيكَةَ وَأَنَا غَلَامٌ مَمْلُوكٌ

- وَمَنْ الْفَرَاقُ مَهْلُوكٌ

الرفاح ... أي الرجوع الى الاصل ... إلى أوزان الشعر العمودي

★ إلى تَزُودَنِي تَتَعَاثَا ذَاتِي الْهَالِكَةَ ★ لَوْ تَجَفِي قَلْبِي يَوَاصِلُكَ ★

★ وَيَلَا دَرْتِينِي بَقَى الْعَارُ عَلَيْكَ ★

* لمرما الرباعية *

نختار لهذه " لمرما " كنموذج " خناتة " ل : لعبابي

★ قُولُوا لَخَنَاتَةِ يَا ثَرَى فَا : الْعَاهِدُ تَبْقَايَ ثَابِتَةً ★

★ مَنْ صَانَتْ بِجَمَالِهَا حَيَاتِي ★

★ رَاحَتَ رُوحِي الصَّائِلَةَ عَلى لَبَنَرٍ بَنَعُوتَ ★

هذا الوزن كما هو الشأن في كل قصائد مكسور الجناح ... وكما سبقنا الإشارة الى ذلك ... كانت فيه قصائد عمودية كثيرة قبل أن يطرا عليه هذا التفسير الجزئي ويتحول الى مكسور الجناح ..

من القصائد الاصلية المرسم " لابن علي ولد أوزين :

★ أَنَا وَالْمَرْسَمُ يَا حَمَامَ مَتَالُثْنَا فَا : الزَّهْوَانَتَ ★

★ الْمَرْسَمُ يَبْكِي عَلَى الشَّمَاعَةِ ★

★ وَنَتَ تَبْكِي عَلَى النَّثَا وَأَنَا عَلى لُفْرَا لَ ★

هكذا كان شكل هذا الوزن ، أبيات رباعية الاشطار ، من بداية القصيدة الى نهايتها ، لكن عندما تحول الى مكسور جناح أصبح على هذا الشكل :

- قُولُوا اللَّائِمِي يَعْذِرُ مَنْ ذَاتُ فَنَاتٍ

- بِهَوَى الْقَاصِرَةِ مَنْ صَدَّ جَفَاهَا

- التَّسَانِيَةُ عَنِّي بَيْنَاهَا .

- السَّالِبَةُ عَقْلٌ مَنْ يَرَاهَا

- وَلَا تَهْـأَـمَهَا

- قَوْلٌ غَدَاهَا

- عَلَى فَوَاهَا

- بَيْنَاهَا شَاطِئَةُ دَهَانِي

- وَنَطَقَ قَلْبِي بِحُبِّهَا بَعْدَ أَنْ كَانَ صَمُوتٌ

إلى هذا الحد وينتهي جانب مكسور الجناح من المقطع ليبدأ الرجوع إلى الاصل

★ نَارِي حَتَاتَةً وَلَا صَبْرَ صَبْرِي فَ : الْعُشَاقُ مَنْ عَنَّا ★

★ وَصَابِرَ مَنْ صَمِيمٌ ذَاتِي بَغْرَامِكَ يَا لَجَافِيَةِ بَعْدَ أَنْ كُنَّا خُوتَ ★

* لمرما الخماسية *

نأتي بالنموذج من وزن قصيدة " سلتك بالله يا الطالب " طبعاً لانأتي بهذه القصيدة كنموذج لانها من الملحون "المبيت" أي

العمودي ، ونحن نريد "مكسور جناح" وعليه فسنأتي بالنموذج من وزن :

"سلتك بالله يا الطالب "بعد ان تحول إلى مكسور جناح

★ اعْطَفَ لِي مَالِكِي بَعْطَفَةً ★

★ وَالْعَطْفَةُ مَنْ اَوْصَافَ سَيِّدِي كَامِلَ الْاَوْصَافِ ★

★ مَاسَرَ الرِّينَ غَيْرَ عَطْفُو ★

★ وَالْعَطْفَةُ سِرٌّ فَ : اللَّـهُ _____ اَفَّة ★

★ وَالْحَالُ اِنْصَافًا ★

هذه هي اللازمة ... وعلى وزنها الخماسي الاشطار قصائد كثيرة ولكنها في مكسور الجناح تتحول الى هذه الشاكلة

- مَا كَانَ لِي فَا ظَنِّي يَنْعَمُ لِي بِأَ الْعُطُوفِ

- وَتَأَفَّ مَا مَضَى قَصُرَتْ فَ: حَقُّو

- وَلَا عَرَفْتُ فَ: يَوْمَ بِحَقُّو

- وَلَا عَطِيتُو شَيْءَ مِنْ حَقُّو

- جَاءَ السُّاقِي

- جَاءُوا ارْقَاقِي

- عَلَى تَفَاقِي

والمبقية مفهومة مما سبق ... يختم المقطع بببيت خماسي الاشطار على وزن اللازمة ، وبه يعود الى الاصل .. هذا هو مكسور الجناح ... مجرد تغيير طرأ على بعض الاوزان الاصلية ... فانكسبها بعض الخفة والرشاقة .

واستمرت الكتابات في المدرستين معا : مدرسة الملحون العمودي ومدرسة مكسور الجناح الى أن جاء الجيلاني لمتيرد في عهد الملك العلوي سيدي محمد بن عبد الله .. ففعل مثل ما فعل "بوعمر" أي حاول تحرير الكتابات الملحونة ليس من قيود الوزن الرتيب والقافية الثابتة فحسب ، ولكن من قواعد مكسور الجناح أيضا فهل نجح امتيرد فيما فشل فيه بوعمر من قبل ؟ أبدا بل أضاف بمحاولته تلك .. مدرسة ثالثة اصطلح الناس على تسميتها فيما بعد بالسوسني ..

★ حَرَّازُ كَافَرُوْا نَصْرَانِي ★

★ شَتَّوْى وَصِيفَ كَايْرَعَانِي ★

حَاضِي حَرِيسَ ، كُلَّ مَا كَانَتْنِي يَرِييُوْ ، وَخَزُوْبُوْ عَدَاوَا عَنْ خَزُوْبِي وَالْبَابَ اللِّي افْتَحَتْ لِيْه اِيَسْتُوْ .
حَرَامَ مَا ابْغَايْتَعَامَا . حَتَّى حَبِيْبَ مَا هُوَ عَنَّا . مَتْلِي .. يَكْرَهْنِي مِنْ قَلْبُو وَجَوَارْحُو وَدَاخِلْ دَاتُوْ
وِيَلَا اِيَشُوْفْنِي يَتَكَحَّلْ بِمَحَاوِرِ الْعَمَا وَيَزِيْدُ كُتُوْبَ اَوْتَفَاقٍ وَتَوَلَّيْ تَقَلَّ مِنْ الرِّصَاصِ عَنَّا ، شَوْفَةُ
وَحْدَةٍ يَكْرَهْنَهَا فَ: خِيَالِي ... يَسْقَلْ جِبْهَتُوْ ... يَعْكُذُ الْعَبْسَةُ فَ: خَلَقْتُوْ ... وَيُوَلِّي قَلْبُو ظِلَامَ
وَأَقْسَى مِنْ صِلْدِ الصَّمِّ لَيْسَ يَرْطَابُ وَلَا يَلْيَانُ ... مَا يَحْنُ وَلَا يَشْفَقُ مِنْ عَيْدِ رَبِّي .. وَعَرَفْتُوْ مِنْ
زَمَانٍ دَامَرُ مَتَمَادِي مِنْ سَلَالَتِ الْكُفَّارِ .

اللازمة

حَرَازُ لَا لَأَلْرَسَامُو جِيْتُو قَلْبُو نَصْرَانِي كَيْفَ عَارَفُو غَدَارُ بَاقِي سَلَالَتِ الْكُفَّارُ . هكذا أنشأ الجليلي امتيرد هذا النمط من فن الملحون . وهكذا كتب فيه كل الذين جاؤا من بعده

بدأ الشاعر المقطع البيت شعري موزون مقفى :

★ حَرَازُ كَافِرٌ وَنَصْرَانِي ★

★ شَتَوَى وَصَيْفُ كَايْرَعَانِي ★

هذا البيت الاول من كل مقطع في كل قصائد هذه المدرسة دائما على هذا الوزن .. لكن ماسياتي بعده ما هو إلا نثر نعم فيه سلاسة .. ولا يتمثر انسيابه ، وبين الفاظة تناغم، ولكنه لا يخضع لنغمات إيقاعية تركيبية معينة كتلك التي في الملحون العمودي، ولا لوحدة عروضية متفق عليها، كالتي في مكسور جناح اللهم إلا ما كان من مطالع المقاطع وخواتمها . ونهاية القصيدة ولازمتها فلا بد لكل ذلك من أن يكون من الملحون العمودي . تماما كما هو الحال في مكسور الجناح ، وكما سبق تبياناه ، بل لا يمكن تصنيف قصائد هذه المدرسة : مدرسة السوسي ... إلا بانتساب اللازمة

قد تكون اللازمة ثلاثية فتتسب إلى "لرما الثلاثية" وقد تكون رباعية ... فتتسب إلى "لرما الرباعية" وهكذا . فمثلا كنا مع الشاعر الذي أنشأ مدرسة السوسي في أول حراز كتبه فيها وكانت اللازمة هكذا .

★ حَرَازُ لِلْأَلْرَسَامُو جِيْتُو نَصِيْبُ قَلْبُو نَصْرَانِي كَيْفَ عَارَفُو غَدَارُ ★

★ بَاقِي سَلَالَتِ الْكُفَّارُ ★

فهي إذن تتسب إلى "لرما المثنية"

وفي "الزطمة" وقد كتبها على نفس النمط . أي في المدرسة الناشئة : مدرسة السوسي نجد أن اللازمة ثلاثية أي تتسب إلى : "لرما الثلاثية" .

★ جَانِي بِشَارُو جَانِي يَاكَ عَطَانِي صَحَّتْ الْخَبَارُ أَوْشَرْنِي بِالْوَصَالِ ★

★ هَامُو صَيْفُ لِي كِتَابُ ★

هذه هي لازمة الزطمة أما المقطع فهو ككل مقطع من كل قصيدة في هذه المدرسة مدرسة السوسي

★ هَامُو صَيْفُ لِي كِتَابُ ★

★ مَحْبُوْبِي صَيْفُ لِي كِتَابُ ★

☆ قَرَيْتُو نَجْبَرَفَ : الْجَوَابُ أَمَحْبُوبِي يَا رُوحَ رَاحَتِي : يَا مَنْ لِيكَ الرُّوحُ شَايِقَةٌ ☆

حِينَ أَيُوصَلُكَ يَا رَبِّيعَ قَلْبِي مَرْسُولِي قُمْ لَا تَغِيْبَ ، وَاجِي حَتَّى

أَنْشَاهُكَ وَتَشَاهِدَنِي ، بَارَتْ الْحَيَالُ أَبْدَيْتْ أَنْخَمَ .

وهكذا . وهكذا إلى أن ينتهي المقطع بـ "الروح" أي بالرجوع إلى الأصل إلى الوزن والقافية بعد أن كنا مع النثر اللغوي الجميل السلس الذي لا يخضع في انسيابه لا لوزن ولا لقافية ولا تظفره إلا تقطيعات النطق السليم ، وكيف ينبغي أن يكون في فن القول الدارج وهذا ما نسميه في حضيرة المحون "لفصالة" أي فن اللقاء

وكنتي بالجيلالي امتيرد رحمه الله . كان قد رأى بفراصة المومن أن شاعر المحون سيتحول مع السنين والاعوام إلى ذلك المثقف العضوي الذي ينقل المعرفة من مبدعيها ليوضحها ، ليسهلها وبالتالي لينقلها إلى عامة الناس بلغتهم ، بتعبيراتهم بما عرفوا من معاني ، وما ألفوا من تمثلات . ولذلك ابتكر جازاه الله بكل خير . هذا النمط الذي تيسر معه الحكمي ، واستقام به السرد وتجمع لنا فيه مع مرور الأيام ، والسنون والاعوام الشيء الكثير والكثير جدا من ألوان المعرفة وفنون الثقافة ... كما سيلمس القارئ الكريم في فصل المضامين .

نعم إن الجيلالي امتيرد أراد لهذه المدرسة "مدرسة السوسسي" ، غاية اليسر ، ومنتهى البساطة فانت لا تجد داخل المقطع أي أثر للقافية لا ثابتة ولا متحركة بل وحتى السجعة لا يقبلها إلا إذا كانت عطوية ، تأتي من تلقاء نفسها . أما أن تبحث عنها وتجري وراءها فلا لكن الذين جاؤا بعد الجيلالي امتيرد حتى الآن ، فعلوا في هذه المدرسة مدرسة السوسسي ، مالمعه الذين كانوا قبل الجيلالي امتيرد في مدرسة مكسور الجناح .

كما سيلحظ القارئ الكريم من خلال النصوص الكاملة التي سننشرها بين يديه في فصل المضامين ، والتي سنراعي في اختيارها أن تكون مستوعبة لكل أشكال وأنواع وألوان المدارس الثلاث "لمبيت" "مكسور جناح" "السوسسي" وحسبي الآن أن أسجل أن مدارس المحون الثلاث ، قد اكتملت نشأتها ، وبدأت مدارج الترقى ، على عهد السلطان العلوي الصالح المصلح ، سيدي محمد بن عبد الله ، أي أن كل الذين جاؤا بعد هذا العهد عهد سيدي محمد بن عبد الله إلى يوم الناس هذا ، وإن كانوا ابتكروا وأبدعوا ، ولونوا ونوعوا ، فمن داخل هذه المدارس الثلاث ، "لمبيت"

"مكسور جناح" "السوسسي" ووفق أصولها وقواعدها .

نعم توجد مدرسة رابعة هي مدرسة الاغنية الملحونة وليس القصيدة الملحونة الاغنية المقطوعة الخفيفة التي تقتصر إلى أن تصل في أدائها إلى دقيقتين وإذا طالت فلا تتعدى الخمس أو الست دقائق إنها "السرابة" ورحم الله من أطلق عليها هذا الاسم : "السرابة" فهي سرب من الاوزان يتلاحق بسرعة فائقة وفي انسجام بديع رائع ومع أنني لا أريد أن أجهضها بإشارة عابرة في هذا الكتاب الذي أردته للقصيدة الملحونة مبنى ومعنى وليس للاغنية مع ذلك أضع بين يدي القارئ نموذجا أو اثنين من هذه "السرابات" أي الاغنيات الملحونة على أن أفرد لها ماشاء الله من صفحات بعد فراغي من هذا الكتاب مباشرة وسيعلم الناس أن عاجلا ، أو أجلا أن الاغنية الملحونة التي كتبت قبل ما لا يقل عن ثلاث مائة سنة هي

احسن بكثير مما يكتب اليوم بل لا وجه للمفاضلة ، أو المقارنة بين الاغنية الملعونة القديمة ، والاغنية الشعبية المعاصرة

★ اعْلَاشْ اَمَحْبُوبْ خَاطِرِي تَجْفِينِي ★

★ الْجَافِينِي وَعْلَاشْ الْجَفَا ★

★ حَبِيبُكَ مَنْ خَاطِرِي وَلَا رَدَّتْنِي ★

★ وَلَا وَصَلْتَنِي قَاصِيتْ مَا كَفَى ★

★ خَالَفْتَنِي فَ: الْوَعْدَ بَاشْ وَأَعْدَتْنِي ★

★ وَكَأْتَمْنِي يَا شَارِدَ الْعَفَا ★

قَالَتْ نَاسُ الشُّعْرُ قَوْلُ وَافِي

زَيْنَ بِلَاتِيهِ صُورَتُو تَعْدَا ف

وَالْخَيْرُ صَاحِبُو يُغْرَافُ

★ عْلَاشْ؟ عْلَاشْ؟ عْلَاشْ؟ يَا الْجَافِي ★ رَدَّتْ قَلْبِي شَغُوفٌ ★

★ مَا ظَنَنْتُكَ بِالْخَيْرِ مَا تَكْـفَـافِي ★ يَاسْمَرَا جِ الْحُرُوفُ ★

★ وَاللَّي نَاوِي بَزِيَارَتُو يَوَافِي ★ مَا كَابِرَتُو الْخُوفُ ★

★ خَلَيْتِي عَيْنِي مِنَ الشَّقِيقِ شَوَافَا ★ نَعَايْنُ السَّرَافَةِ ★

★ مَنْ صَاحِبُ الْعَفْوِ ★

★ يَجْمَعُ شَمْلِي بِكَ خَاطِرِي يَتَعَاَفَا ★ الضَّرُّ يَتَشَاَفَا ★

★ رَبِّي يَخْفَقُو ★

★ تَكَبَّتْ فَ: اغْضَا نَارَكَ النَّازِفَا ★ أَبْدَيْتْ فَ: الْأَفَةِ ★

★ وَعَدِي نَصْرَفُو ★

★ يَأْمَا أَفْوَانِي كَانُرُوحْ كَالْحُوتْ بَلَامَا فِي مَعَاظِنْ وَنَشْفُوا ★

وَبَحْبُكْ الْأَعْضَا سَخَفْ ————— وَ

★ ذَنْبُ الْعَشِيقْ وَأَعْرَ مَا زَالَ يَنْوُورِيكَ ★

★ أَيَا جَافِي خُوفِي عَلَيَّ ————— كْ

★ وَأَفِينِي وَأَفِينِي وَكَمَلْ الْمَقْصُودْ ★

★ وَاللّٰي جَوَادْ يَاكَ تَجْ ————— وَدْ

★ لِلّٰهْ وَأَشْرُ قَلْبِكَ حَجْرَةً ، وَلَّ حَدِيدٌ ، وَلَّ زَبْدَةٌ كَلَيْتَ بِالْجَفَا وَالْهَجْرَةَ

خَلَيْتَ لِيكَ مَوْلُ الْجُودِ

هذه هي "السراية" وهي كما - أسلفت - سرب من الاوزان ينسرب أمامك في استرجاع بديع وبسرعة فائقة وهذا السرب من الاوزان يختار بعناية من كل أقسام الملحون الثلاثة "لمبيت" "مكسور جناح" "السوسي" وهكذا فإن كل "سراية" على حدة، لابد وان تشمل كل مدارس الملحون، لايفه الذكر - وكمثال لذلك هذه "السراية"، فقد بدأ صاحبها - ونحن في حضيرة الملحون، لا نعرف أصحاب السرايات كما يعرف اصحاب القصائد - ذلك أن أصحاب القصائد يوقعون قصائدهم، أما أصحاب السرايات فلا - ربما استقطاع بعض السهاء التعرف على بعض أصحاب السرايات بأشياء معينة، سوف أشير إليها في فصل المضامين فقلت إن هذه "السراية" بدأها صاحبها بثلاثة أبيات على وزن من أوزان "لرما المشية" في الملحون لمبيت - أي العمودي - ثم أردف للابيات العمودية الثلاثة وحده عروضية كنتك التي هي "مكسور جناح"، ثم جاء بوزن من "لرما المشية" يختلف عن الأول فصاع فيه ثلاثة أبيات أخرى، ثم انتقل بنا الى "لرما الثلاثية" في ثلاثة أبيات - وأردف وحده عروضية ثانية - وختم سطره يقوم على السجع - كما هو الحال في السوسي، وقد سبق تبياناه

لِلّٰهْ وَأَشْرُ قَلْبِكَ حَجْرَةً ، وَلَّ حَدِيدٌ ، وَلَّ زَبْدَةٌ كَلَيْتَ بِالْجَفَا وَالْهَجْرَةَ

وهكذا تكون أقسام الملحون الثلاثة حاضرة في كل "سراية"، ومعالجة في الايضاح أضيف النموذج التالي - وأترك القارئ الكريم يلمس بنفسه هذه الحقيقة - حقيقة أن كل "سراية" على حدة لابد وان تشير في شكلها الى كل مدارس الملحون الثلاثة: مدرسة الملحون العمودي، "مدرسة مكسور الجناح"، "مدرسة السوسي".

وبهذا النموذج أنهى الحديث عن شكل "السراية" أي الاغنية الملحونة القديمة، أما المضامين - أما القيم الشعرية منها أو التعبيرية - أما ما فيها من تجارب إنسانية حية، أما أسراب الصور والروى والاختيلة فكل ذلك مكانه فصل

المضمون "وليس فصل الشكل".

★ شَـاَيْنَ كُتِبَ الْعَالَمَ عَنْ جِبْنِ ابْنِ أَدَمَ ★

★ مَايَمَحِي وَعَدُو مَلَامَ ★

★ قُولُوا لَذَاكَ الْـلَايَمَ سَلَّمَ تَمَشِي سَالَمَ ★

★ مَنْ طَعَنَ سَيُوفَ النِّيَامَ ★

★ مَايَهْضُوكَ غَوَارِمَ مَا لَسْتُوكَ حِسْوَارِمَ ★

★ مَا دَقَّتِي كَأْسُ الْقَدَامَ ★

★❖★

★ مَا بَاتَ رَقِيبُكَ مَنْ ضَنَّاكَ خَايَفَ ★ مَا نَاكِتِي حَسُودَ ★

★ مَا حَزَّتِي بِيَدِكَ سُودَتِ السَّوَالِفَ ★ مَا عَنَّقَتِي نَهْودَ ★

★❖★

- عَـايشَ هَـايمَ -

- وَاهِيَا الْـلَايَمَ -

- يَكْفُـاكَ الْيُسُومَ -

- لَا تَعُودَ تَلُومَ -

- وَلَا تُبْـُوحَ بِالْمَكْتُوبِ -

- أُمَامَنَ امْنَاكَ لَامُؤَ -

- التَّبَاوَا بِالْفَرَامَ وَهَامُوا -

- وَيَقَاوَا لِلْهَوَى خَدَامُؤَ -

- وَرَضَاوَا سِيرَتَ حَكَمَامُؤَ -

- يَسْتَاهَلُوا الْـلَّي لَامُؤَ -

سَعْدَانَتَا نَهَارَ تَجِينَا تَوَقَّتَ الْهَلَالُ وَتَزْهِينَا . وَبَطَّاسَتْ

اشْتِيَّةُ تَسْقِينَا . طَلَّعَتْ الْبَدْرُ مِينَةَ

هذه هي الاغنية الملحونة ، أو "السراية" ، كما سماها الاوائل ، أما طبيعة العمل فيها ، أما الخصوصيات التي تختلف بها عن القصيدة ، فذلك ما سنتطرق إليه في الفصل القادم إن شاء الله ، أما الآن فتعالوا بنا لنعالج ما تبقى لنا من شؤون الشكل في فن الملحون "مطيلعات" مثلا أو "عروبيات" أو "سارحة" أشياء صغيرة من هذا القبيل ولكن لابد من التعريف بها ولو باختصار شديد لأنها تسمى الشكل في جوهره .

يقولون "مطيلعات" ويقصدون بالاصطلاح تلك الابيات الخفيفة التي تتخلل جل القصائد ، وتكون عادة في غير وزنها ، الابيات التي يقصدون بها تكسير الرتابة وتقادي الملل ، هذه الابيات المخالفة لوزن القصيدة ، والتي أرادوا بها الترويح ، حتى لا يسأم المستمع ، يجعلونها عادة في بداية كل مقطع من القصيدة ، ومن هنا جاءت التسمية "مطيلعات"

نقول بالعربي الفصحى مثلا "مطلع القصيدة" أو "مطلع السنة الهجرية" جاء أهل الملحون الاوائل الى لفظ "مطلع" فنطقوه بالتصغير وقالوا "مطيلع" ، وبما أنهم سوف لا يقصدون به البيت الواحد ، بل أبيات قد تصل الى ثلاثة أو أربعة أو حتى خمسة جمعوه فقالوا "مطيلعات" إشارة الى أن هذه الابيات لابد وأن تكون أصغر من أبيات القصيدة وأخف وأقدم أثر عثرنا فيه على "مطيلعات" هو للمصمودي ، ويرجع تاريخ المصمودي الى عهد الملك العلوي المولى اسماعيل

☆ قُولُوا يَا أَمَنَةَ تَهْلِيلُ الْعُثْمَانِي ☆ مِينَةَ يَا مِينَةَ مَعَكَ شَرَعُ اللَّهِ ☆

هذه هي لازمة أقدم قصيدة وجدنا فيها هذه "مطيلعات" ومطلعها :

☆ مِيرَ الْفَرَامِ خَرَقَ حَشَايَا وَدَهَانِي ☆ جَرُّ عَنِّي كَيْسَانَ مَنْ هَمُومَ بِلَاةَ ☆

☆ حَتَّى حَرَارَ قَوْتِي وَالنُّومَ جَفَانِي ☆ يَا نَاسِي لَأَمَنْ يَفِيدُنِي بِنَوَاهِ ☆

☆ وَاللِّي هَوَيْتَ مُحَالٌ يَكُونُ هَوَانِي ☆ بَدَلْنِي بِالْفَيْرِ لَا حَنِي مَوْرَاهِ ☆

قصيدة المصمودي هاته ، هي على هذا الوزن من بدايتها الى نهايتها لكنها وإبتداء من المقطع الثاني تظهر فيها أبيات ... في غير هذا الوزن ... وفي غير هذه القافية أيضا .

☆ صِيْفَطْتُ لِلْفَزَالِ بَرَاتِي ☆ مَرْسُولِي مَشَى نَهْرَاتُو ☆

☆ قَرَأَهَا حُرُوفُ أَيْيَاتِي ☆ قَبِضْتَ الْكِتَابَ رَمَاتُو ☆

☆ قَالَتْ لَوْ بَصُومَ سَنَاتِي ☆ بِي لَا ضَفْرُفَ : حَيَاتُو ☆

ويعد هذه الابيات الثلاثة ... يعود الى وزن القصيدة وقافيتها .

☆ مَنْ ذَا النَّهَارَ مَا يَتَصَوَّرُ فَ مَكَانِي ☆ وَلَلِّي لَا عَشُوْ بُكِي أَنْتَاوِيَاهُ . ☆

..الى آخره

ولكي أوضح أكثر أقدم لك المقطع الثالث بـ " مطيلعاته " لتكشف بنفسك الفرق بين " لطيلعات " والوزن الاصلي في كل مقطع من القصيدة :

☆ ف : الْحَيْنَ قُلْتُ يَا مَرْسُولِي ☆ تَرَكَ النَّوَّاحَ وَرَجَعَ إِلَيْهَا ☆
 ☆ شَكِي لَهَا .. وَكُنْ فَضُولِي ☆ لَا بُدَّ حَاجَتِي تَقْضِيهَا ☆
 ☆ بِسَادِرَ لَا تَكُونُ مَثُولِي ☆ وَنَا بَشَّارَتَكَ نَعْطِيهَا ☆
 ☆ وَلَلُّ لَعْنَدُولِي بَكْتَابِي ثَانِي ☆ نَقَرُ بَابِ الدَّارِ صَابِهَا تَرْجَاهُ ☆
 ☆ بِالشُّوقِ بَاكِيًا بِالدَّمْعِ الطُّوفَانِي ☆ وَكْتَابِي مَحْلُولٌ فَيَدَهَا تَقْرَاهُ ☆
 ☆ مَرْسُولُ مَا لَكِي قَالَتْ هَذَا جَانِي ☆ أَهْلًا بِسَلَامٍ وَتَائِيَةً لِلَّهِ ☆

ربما أتينا بالنص الكامل لهذه القصيدة عند بحثنا لـ : لشعر المراسلة في الملحون " المهم أن "لطيلعات" ظهرت أول ما ظهرت في العصر الاسماعيلي ومن ذلك العهد وهي تتنوع وتترين ، شأنها في ذلك شأن سائر أشكال فن القول في الملحون ، نبهت عنها عند سيدي عبد القادر العلمي ، فنجدها في الساقبي مثلا ثلاثية .

يَا مَنْ دَرَى شَتْلَاقَا بُونَجَلَاتُ غَسَاقَا
 وَكَيُوسُ مَذَامِي يَنْوُقُ
 صَالٌ بَطْبِيعُ شَفَاقَا وَأَطَافَا وَلَبَاقَا
 يَخْجَلُ مَنْ شَوْفُ الرَّمُوقِ
 وَحَنًا زُوجَ رَفَاقَا وَالْخَمْرَ دَفَاقَا
 فَ : دَوَاحِلُ غُمُقِ الْغُمُوقِ
 فِيكَ الشُّوْفُ عَشَاقَا وَبُوصَالُكَ نَتْرَاقَا
 رَافَا يَا شَمْسُ الشَّرُوقِ

هذه هي "لمطيلعات" ولا بد أن يفتح بها كل مقطع ابتداء من المقطع الثاني من القصيدة وهي بطبيعة الحال ليست على وزن القصيدة والقصد أن لا تكون على وزن القصيدة . إذ الغاية منها تكسير الرقابة باستمرار حتى لا يتسرب الملل لا للملقي ولا للمتلقى وتحمل "لعروبيات" محل "لمطيلعات" في بعض الاوزان ، و "العروبيات" هي على هذه الشاكلة

هَلْ يَأْمَنُ دَرَى هَمُومٍ قَلْبِي تَتَجَلَّى لَمَّا يَتَدَرَقُوا وَجَاعِي وَيَرْزُلُوا
مَا تَبَقَى تَاكِبَةٌ عَلَى قَلْبِي دَبْلًا وَالْقَصْدُ الَّذِي طَلَبْتَ تَضْفَرُ بِوُصُولُوا
نَسْتَيْقِظُ لِلْسُرُورِ مَنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ لَا حَاسِدٌ لَا رَقِيبٌ نَخْشَى مَنْ قَوْلُوا
نَحْمَدُ رَبَّ السَّمَاءِ وَنَسْجُدُ لِلْقَبْلَةِ وَنَقُولُ الْيَوْمَ عَادَ صَادَقَتْ قَبُولُوا
عَانتَنِي قُوَّتُو وَصَارَخَنِي حَوْلُوا

وبانتهاء "لعروبي" ب : "الرَدْمَا" أي الشطر المفرد يعود الشاعر الى وزن القصيدة الاصلية .

مَا اِنْتَأَشِي غَايِبٌ نَرْجَاكَ يَا الْجَلِيلُ وَلَمَّا اِنْتَأَشِي عَاجِزٌ تُعَذِّرُ يَا الْمَوْلَى
قَرِيبٌ حَاضِرٌ نَاضِرٌ مَعْطَى حَسَانِكَ جَلِيلُ تَقْدَرُ تَشْفِي مَنْ ذَاتُ الْعَبْدِ كُلِّ عِلَّةُ
الْبَدَانِ ضَعِيفَةٌ وَالْحَمَلُ جَائِرٌ ثَقِيلُ وَالْخَلَائِقُ مَا تُعَذِّرُ حَالُ مَنْ التَّبَلَا

إلى آخر المقطع .

إلا أن "لعروبيات" . وقد استوردتها العواضير من البوادي وبالضبط من نواحي الغرب . لم تستعمل فقط كمطيلعات خفيفة للتنوع داخل القصائد ، وإنما استعملت أيضا كأوزان لمقطوعات قد تطول الى أن تصل لمائة بيت ، وقد تقصر حتى لا تتعدى البيتين أو الثلاثة وهكذا أصبحت "لعروبيات" هي المجال الرائع لصياغة المعنى الجميل ، والتمثل البديع والخاطرة العجيبة ومع أن هذا الفصل لا يبحث المضامين ، وإنما يبحث الشكل ...

مع ذلك لا بد من تقديم نماذج من "لعروبيات" التي تتداول بين الناس وحدها وليس داخل قصائد أقرأوا معي مثلا هذه الخاطرة .

مَنْتُ الْعُمُرُ فِي كَلَامِي لِلْكِبَّةِ وَالْكِبَّةُ رَأَى زَاوُطُهَا مَوْزَ الْحِيطِ
أُورَاسُ الْخِيطِ خَرَجُوهُ مِنَ النُّكْبَةِ السَّدَايَا نَاوِيَا فَ : الْغَزَلُ يَشْبِيطُ

مَا قَطَنَاتُ إِمْتَى وَصَلَهَا رَأْسُ الْخِيطِ

هذا هو كعروبي ينتهي بانتهااء الفكرة ، أو الضاطرة ، أو الانفعال المفاجئ ، أو الحالة الشعورية الطارئة . لا يجرأ الى مقاطع لا يحتاج الى لازمة ... ليس عليه أن يأتي بعدد معين من الابيات .

تَمَلِّي تَمَلِّي بِصِيرَتِي قَلْبِي يَنْسَخُ مَا فِي عَمِّ الْغُيُوبِ طُولُ الدَّاجِ نَسِيخُ
وَالْفَكْرُ قَرَاوِمًا قَرَاهُ بَدَأَ يَرْسَخُ عَمِّ الْبَشَارِ فِي عَمَاقِي عَمِّ رَسِيخُ
مَنْ طَلَّ عَلَيْهِ لَازِمٌ يَنْفَسَخُ وَيَسِيخُ

ليس في جبلي من لم يستمع الى هذا الوزن وهو في المهد . أو على ظهر أمه ، أو في أحضانها

رَآرِي رَآرِي .. يَاسَكَّاتُ الدَّرَارِي سَكَّتْ لِي أَوَّلِيدي يَا نَعَمَ الْبَارِي
النُّوْضُ انْشُوفْ لَأَشْ مَحْتَاجَةٌ دَارِي

كان يستعمل هذا الوزن في كل نواحي الغرب ولا يزال ، في توديع العروسة وهي تغادر خيام أهلها متجهة إلى خيام زوجها ... وتتخلله كلمة "رؤ" وحرف "تا" يتكرر وفق نغمات ايقاعية متفق عليها .

وَأَخِيَمْتُ بُوْكَ الْغَادِيَا خِيَمْتُ بُوْكَ وَأَصْدِيَّتِي خَلَاصٌ وَأَشْ جَرَاوُ عَلَيْكَ

على كل حال استعمل هذا الوزن لهذا الغرض كما استعمل للامداح النبوية ، ومناقب الهادي بنعيسى ومن أراد أن يستمع الى شيء منه في عصرنا الحاضر ، فليذهب في المولد النبوي الى "مكناس" ويقصد ضريح سيدي بنعيسى ، ويبحث عن حلقات "غرباوا" في فناء الضريح . وسوف يستمع الى إبداعات في هذا الوزن ، وكيف تلقى أصوات شجية من الجنسين تخفقها العبرات ... وتتلاحق فيها الشبهات .

هذا وإن كعروبيات في بعض جوانبها ، لمن أصدق المراجع وأوثق الوثائق في مجال التاريخ لشعراء الملحن والتعرف على بيئة كل واحد منهم ، وظروف حياته ، وكل ما يتصل به من قريب أو من بعيد .

ذلك لا نهم اختاروا أن يتراسلوا فيما بينهم ، ويسألوا عن أحوال بعضهم ، بهذه العروبيات ، وليس بالقصائد أو السرايات ، بل أن بعضهم جعل من "العروبيات" شبه مذكرات ، يسجل فيها الاحداث والوقائع سواء منها التي عاشها هو أو التي عاشها غيره ، وشاهدها أو حدثه عنها .

خلاصة القول أن سجل "العروبيات" يبق هو السجل العاقل بأعرب المفاجآت ، وأروع المعاني والتمثلات ، وامتع الطرائف والمستملحات والدعابات ويحتاج وحده الى أكثر من كتاب لتوثيقه كما ينبغي التوثيق بل أن منظومة واحدة من منظوماته المطولة كابجدية بوخريس ، أو نونية مرفق تحتاج الى كتاب :

أَلِيفُ الْأَسْمِ الْأَعْظَمُ نَائِرٌ لَأَلَاءِ بِهِ اسْتَفْتَحْتُ قَرَبَ أَمْنٍ هُوَ نَائِي

لَأَتَتْ عَلَّ الْخَيْرِ وَالْخَيْرِ أَمْرَانِي

بِأَلْكَ تَبْقَى فَرِيدٌ بَيْنَ النَّاسِ غَرِيبٌ أَتَقَرَّبُ يَأْخُو الْغُرَبَا لَغَرِيبًا

وَنَتَامَا بَيْنَهُمْ لَمَوْنَسٌ لَحْيِيْبٌ حَاضِرٌ وَتَتْ فَرْ عَزَّ حَالَاتُ الْغَيْبَا

هَبْ نَسِيمَ الصَّبَاحِ بَرَاوِيحَ طَيِّبَا

وهكذا تمضي أبجدية بوخرخيص من حيث الشكل : حرف الالف ببيت واحد وديل حرف الباء ببيتين وديل . . حرف التاء بثلاثة أبيات وديل ، وهكذا يمضي الرقم في التصاعد . الى أن يصل في حرف الياء الى أزيد من ثلاث مائة بيت أما مضامين المنظومة فهي لا تكاد تغفل عن أي شأن من شؤون الدين أو الدنيا ، ولكن بشاعرية رفيعة جدا جدا لكم يعجبني عندما يوظف الامثال العامية في هذه المنظومة الجميلة :

النَّفْسُ الْخَامِدَا أَشْ كَاتَعْمَلْ بِهَا ؟ الْيَدُ الْبَارِدَا عَلَى الزُّنْدِ كَوِيهَا

لَا تَحْفَرْ شِي لَخُوكُ حَفْرَا فِي جِيهَا أَنَا خُوفِي عَلَيْكَ لَا تَوْقَعْ فِيهَا ☆☆☆

أما السارحا هي باختصار : الخاتمة التي توضع لا بداعات "مكسور جناح" و "السوسي" والتي لا بد وأن تكون من أوزان "الملحون العمودي" : "لمبيت"

ذلك لأن إبداعات "مكسور جناح" وإبداعات "السوسي" . كما سبق وأن رأينا . تبتمد في شكلها عن "الملحون العمودي" ولكنها في النهاية لا بد وأن تعود إليه بأبيات مطولة تسرح ، وتسرح حتى لا تكاد تنتهي

وأجترئ المقطع الأخير من "طير بنسليمان" وهو من "مكسور جناح" والسارحة التي تصل القصيدة بغوزان الشعر العمودي . وما اخترت قصيدة "الطير" بالذات إلا لأن "السارحا" التي تأتي في آخره هي أقصر سارحة من بين سائر "سوارح" "مكسور جناح" حسب ما بلغ علمي .

المقطع الأخير من طير بنسليمان

مَنْ لَا يَكُونُ فَارَسٌ مَا يَنْخُلُ لِلزَّحَامِ

قُولُوا لِمَنْ دَعَا بِالْعَلَمِ الْمَوْهُوبِ

يَعْتَبِرُ ... وَيَقْصُرُ .. وَيَتُوبُ

جَايَحَارِبٌ مَا طَاقَ حُرُوبِ

رَاحَ مَقْلُوبٌ

رَضًا لَهْرُوبٌ

وَنَظْفَى مَصْبَاحُ

السَّقِيَّةِ الْوَعْدِ الْمَفْضُوحِ

الى هنا وتنتهي الوحدة العروضية التي قام عليها المقطع . لتبدأ السارحة وهي في أحد أوزان "لرما المشية"

كُلْ حَرْبٌ عَقِيدَ الْعَلْفَا ذَرَاوَنِي صَبَّاحُ فَ : الْوَعْدَا رَاكِبٌ شَلَوْ جَمُوحُ
كُلْ مَنْ شَالَا وَيَحُوهُانَ بِالْفَعْرِ وَسَلَاحُ كَانَ عَاشٌ نَتْرَكُو مَشْبُوحُ
بِالشَّجَاعَا يَشْهَدُ لِي كُلٌّ مَنْ فَخَرَبَ .. سَلَاخُ فَ : الْغَرَبُ ، وَسَوْدَانُ وَشَلُوحُ
الطَّالِبِ طَيْرٌ عَلَا مَعَا الْاَطْيَارُ وَرَاحُ فَيَدْنِي وَأَشُّ الْيَوْمِ يَرْوَحُ

ذلك هو شكل السارحة وهذا هو مكانها . تختم بها عادة ابداعات "مكسور جناح" و "السوسي" وهكذا يمكن القول : أن "السارحة" صلة من الصلوات الثلاث ، التي توصل "مكسور جناح" و "السوسي" بالمدرسة الام مدرسة الملحون العمودي كما تركها بنحسين وجماعته "الرواح" ، اللازمة وأخيرا ، "السرحا" ، سنرى في فصل الاغراض أن سيدي عبد القادر سوف يكسر هذه القاعدة ، ويطلع على الناس بإبداعات "مكسور جناح" من نون سارحة ، بل وسيأتي بعده بنسليمان بإبداعات من "مكسور جناح" ليس فيها لا "رواح" ولا "لازمة" ولا "سارحة" ولكن الشعراء الذين جاؤا بعدهما وصفوا إبداعات الاول ب : "المقروطة وإبداعات الثاني ب . الصياديا وعلا بالمثل الشعبي القائل : أجديد يلوجدا ، والبالى لا تفرط فيه ، تركوا مدرسة بنحسين حاضرة باستمرار ، لا في مدرسة ولد بوعمر "مكسور جناح" ولا في مدرسة "متيرد" "السوسي" أي تعاملوا معها حتى الآن من داخل "لرما" و "القياسات" ولعل آخر اصطلاح يهنا أمره هو : "القياس مشرقى" وهو "القياس الثاني من "لرما المشية" وشكله هكذا .

هَبَّتْ رِيَاخُ الْغَيْثِ عَلَى غَصَانِ الْاَنْوَاحِ سَرَّهَا يَسْرِي سَرَى الرَّاحُ فَالْجَوَارِحُ

سبق القول : أن هذا الوزن من أحد أوزان الشعر الشعبي المحلي في المغرب الشرقي لا أعرف على وجه التحديد متى استقام نظم الملحون في هذا الوزن ، كل ما أعرفه هو أن المصمودي كتب فيه أكثر من قصيدة وكذلك المغراوي ، وكلاهما عاصر السلطان العلوي الحازم ، مولاي اسماعيل الذي كان يعاصره الى جانبيهما ، بل ويلازمه في الحل والترحال الشاعر الفحل بوعثمان ، وهو الذي كتب في مديح مولاي اسماعيل ، مالا يقل عن الف بيت من الشعر . كلها على هذا الوزن الذي تبنته مدرسة الملحون ، كما تبنته مدارس أخرى سوف يأتي معنا ذكرها أو ذكر بعضها على الأقل إنما قبل ذلك لا بد

من تسجيل بعض النماذج من شعر هذا الوزن الذي جاء منه قياس مشرقى وسوف نختار النماذج من شعر رائد المدرسة ... أبو سعيد بوعثمان

يقول عن نفسه :

أَنَا نَا بَقْتُ الزَّمَانِ فَجِيلِي قَدْ
حَامِلٌ رَأَيْتَ هَلْ الشُّعْرُ أَرْيَابَ الْمَجْدِ
شَاعِرٌ عَصْرِي حَقٌّ لَكِنْ خَانَ السَّعْدُ
بُوعَثْمَانُ مَقْصَرٌ لِلْجَاهِدِ فَ : الرِّيقُ
لَلدَّرِ إِلَى غَصَّتْ مَالِي حَدٌّ رَفِيقُ
وَاللِّي خَانُوا السَّعْدَ عَاجِزٌ وَأَشْ يَطِيقُ

يقول في مديح السلطان مولاي اسماعيل :

مُولَايَ اسْمَاعِيلُ الاسْمَاسِيفُ النَّصْرُ
غِيثًا لِّلْمَلْهَوْفِ يَسَا كَنْزُ الْمَدْطَرِ
انْتَى السُّفْرَ الْجَامِعَا الْحُكْمَا كَالدَّهْرِ
سَيِّفَكَ سَرٍّ ، وَمِيمَكَ أَمَانٌ مِنَ الْمَكْرِ
مَنْ بِهِ رَحَا الْحَرْبِ فَ : الْعِيدَانُ تَنُورُ
يَا جَابِرٌ مَنْ شَافَتْ أَرْمَاقُو مَكْسُورُ
فِيكَ عُلُومٌ وَبِكُلِّ مَحْمُودَا مَذْكُورُ
وَعَيْنُكَ عَفْوٌ وَلَا مَكَّ الْيَانَا وَسُرُودُ

ويقول في أخرى عن مولاي اسماعيل أيضا :

يَا عَنَتْرَهَا حِينَ تَنْتَهِيَا لِلْحَزَمِ
يَا حَجْرًا سَعْدَ جَادِبِ الطَّائِفِ لِلنَّمِ
يَاسِيفُ يَمَانِي يَشُقُّ صِلَادَ الصَّمِ
يَا قَسُودَ فِي زَهْرَتُو لِّلسَّمْعِ افْزَمِ
يَا حَاتَمَهَا فِي غُلَاقَتِ سَعْرِ السُّومِ
يَا بَذَرُ زَهْرَلَاخٍ مِنْ قَبْلَا مَتْمُومِ
يَا رَمَحُ ارْدِينِي عَنْ أَعْدَاتِكَ مَشْقُومِ
يَا زَهْلُولُ رَقَطُ إِلَى يَنْحَارِ غَشُومِ

ويقول في أخرى عن السلطان مولاي اسماعيل كذلك :

أَنْتَ الدَّرَا الْوَاسِطَةُ فِي عَقْدِ الْمَهْوِ
يَلْقَى سَيِّتٌ مِنْ خَطَا عَفْوِكَ بِالْمَحْوِ
سَيِّفَكَ يَهْلِكُ مَنْ تَعَدَّى الْوَلَا الْعَفْوُ
نُورِكَ فِي جِيدِ الزَّمَانِ الشَّهْبُ شَعِيلُ
يَصْفَحُ حَلْمَكَ عَنْ كِبَا يَرْغَى الْقِيْلُ
يَسْبِقُ بَطْشَكَ وَبَيْنَ مَالٍ مَعَاةٍ يَمِيلُ

حَتَّى هَارَ الذَّنْبُ عِنْدَ حَسَانِكَ حُلُوْ
مَا يَخْشَى مَكْرَكَ مِنَ الْجِرَانِ نَزِيلُ
أَنْتَ مَتَوًّا الصَّفْحُ فَ: الدُّنْيَا وَالْعَفْوُ
مَا تَحْرَمُ مِنْ فَيْضِكَ الْقَاضِي كَالنَّيْلِ
وَالنَّاكِرَ عَلَيَّ يَسْأَلُ اصْنَابُ النُّحُوْ
يَعْرِفُ جُمَانُ الْمَعَانِي بِالتَّقْصِيْلُ
لَا عَدَمَتُ شَخْصِكَ مَرَاتِبُ دَارِ الزُّهُوْ
وَلَا فَقْدَاتُكَ عَيْنُ فَنَهَارٍ وَفَ اللَّيْلِ

وأخرى ... وأخرى . وأخرى إنما المطولات السبع . وكما تركها بوعثمان غر الشعر الشعبي في كل زمان ومكان
نعم لشاعرنا الممتاز أبو سعيد بوعثمان قصائد كثيرة ومتنوعة إنما كلها على هذا الوزن الذي تحول إلى أيقاعات
حضرارية ملحونة وسمي لمشرقي ...

هَاجَ فِكْرِي وَالسَّائِكُنَ هَاجَ يَا الْحُجَّاجُ لَا تَصْنَوْا حَتَّى تَدْيُونِي مَعَاكُمُ

وهذا الوزن لم يتسرب إلى الملحون وحده . بل نجده في نواحي كثيرة من أرض المملكة : في ناحية صفرو : "المنزل" لبهاليل
ويسمى "خيوان بن يازغا"

كَانْخَمْتُ وَلَكَيْتَ الرَّاسُ كَاغَ خَاوِي كَانَمُوتُ وَسُلْطَانُ الزَّيْنِ كَايْدَاوِي

☆☆☆

كَانْخَمْتُ وَلَكَيْتَ الرَّاسُ فِيهِ لَفَوَاتُ شَحَالُ مَنْ كِيَا فِيَا دِي عَيُونُ لَبْنَاتُ

☆☆☆

نجده في طرب الآلة :

يَا لَوَالِغَ بِالزَّيْنِ إِلَى سَخِيْتِ بِسِيْ غَيْرَ صَبْرٍ قَلْبِكَ دَبَا يَفْرَجُ اللَّـهُ

بل نجد هذا الوزن الذي يسمى "لمشرقي" حتى في الاغنية الشعبية المعاصرة

الْحَبِيبُ اللَّيْ وَالْفَتْوُ مَشَا عَلِيْ مَا نَوِيْتُوْ بَعْدَ الْعَشْرَا يَكُونُ غَدَارُ

والاغنية لمحمد فويتح .

وأنا إذ أقول بقول شيوخ الكرام في انتساب هذا الوزن إلى المغرب الشرقي لا أطرح رأيي . ولا أريد أن أتناقش على الأقل
في هذا الكتاب . والا . فيإمكانني أن أثبت بما لا يقبل الشك : أن هذا الوزن يعود تاريخه إلى قيام الدولة المرابطية . وأن أهل
مراكش . وأهل فاس وأهل تازة كتبوا الجزل المغربي الجيد في هذا الوزن عند قيام الدولة الموحدية . وفي عهد عبد المؤمن بن

علي بالذات ، ثم أن التعامل مع الأوزان المغربية ، سواء في الملحون ، أو في غير الملحون ، لا ينبغي أن يبدأ إلا بعد عملية مسح شاملة لكل النغمات الإيقاعية التركيبية التي تنبني عليها الألفاظ بلهجة هذه الناحية أو تلك ، لتشكيل هذا السلم من الإيقاع أو ذاك .

أعطي ألف قصيدة لمن يستطيع أن يجيب على هذا السؤال هل الجليلي امتيرد هو الذي فتنه وزن قبيلة "أبني احسن" الذي يتغنى به على إيقاعات "المقس" و "البندير" أو هي "الطارا" .

الصلَّاتُ عَلَى النَّبِيِّ وَنَافِي قَلْبِي حَلَاتٌ وَأَمَنْ لَأَيِّغِيكَ يَا لِهَادِي مُوَلَّاكَ

ايشْتَتُو شَتَاتُ

☆❖☆

اشْفِرْ اللَّيْ عَلَيْهِ سَمَاوَا النَّاسِ زَمَانَ بُوَشْفَرْ اشْفَرْ اللَّيْ شَحَالَ مَنْ وَاحِدَ شَدَّ عَلَيْهِ

بِالْفَدْرِ

اشْفِرْ اللَّيْ شَحَالَ يَقْتُلْ وَشَحَالَ يَقْصِفْ الْقَمَرُ مَا نَا مَنْ فِيهِ مَا نَحَادِيهْ مَنْ صَفَرِي النَّا

لَلْكَبْرِ

☆❖☆

بين الصدر والعجز ترديد جماعي "وَأَكَاَلِ الدِّي يَأُوْدِي"

قلت . هل "متيرد" هو الذي أعجبه هذا الوزن من "أبني احسن" فاختاره لقصيدة "الطير"

طِيرْ امْشَالِي وَلَا عَرَفْتُو فِينْ مَشَا سَابِغْ الْأَشْفَارْ

تَجْمَعْنِي بِهِ يَا مُوَلَّى طَالَتْ بِالشُّوقِ غِيِيْتُو

كما أن عند ابن حسن ترديد جماعي هو "وَكَاَلِ الدِّي يَأُوْدِي" بين الصدر والعجز . كذلك عند امتيرد جملة اعتراضية هي "فَدَفْدَ بِجَوَانَحُو وَطَارْ" وأعيد السؤال هل "متيرد" هو الذي اختار وزن "ابن حسن" لقصيدة الطير أم أن "ابن حسن" هم الذين اختاروا وزن "الطير" لشعرهم الشعبي المحلي ؟ كل ما أعرف هو أن ابن حسن وأهل الملحون لا يزالون يبدعون في هذا الوزن إلى يوم الناس هذا ، بل أن أهل الملحون نوعوا فيه ولونوا .

أَنَا الْمُشْرِِي بَلَا مَزَايِدَ وَاللَّيْمَ فَالْمَلَامَ زَادَ : زَايِدَا "للتهامي لدغري

سَلَكْتَ بَيْتَهُكَ يَا لَوَائِيحٍ .. مَا لَكَ سَكْرَانُ نُونُ رَاحَ :فَارِحَا" لنفس الشاعر

أَسَادَتِي أَوْلَادُ طَهْ بَرَضَانَكُمْ عَالِجُوا الْحَالُ :الاشراف" للحاج إدريس بنعلي

دأباً يَعْقُو اللَّهَ عَنِّي وَتَعُوذُ مَلَأَزِمُ الْفَجْرِ . "الخمسة أوقات" ل : أحمد الراس بل أن جدور الوزن الذي أقام عليه الجيلالي امتيرد الحراز . والذي يستعمله حتى الآن من أراد أن يكتب في موضوع الحراز هو من "العيطة الحوزية" ولا أقول : المرساوية ، أو الحصبأوية ، وإنما الحوزية لقد استمعت الى "الشيخة بريكا" سنة 1942 تغني "طالق المسروح" للتهامي لدغري ، وهي من السوسسي ، أي من النثر الفني في الملحون - ولكن بطريقة العيطة ، لا على طريقة الملحون ، ويعد ذلك بسنة . أو هي سنة ونصف استمعت الى الشيخة العرجونية تغني "الَهَادِي يَا الَهَادِي" بطريقة العيطة ، وهي أيضا ملحونة وطى وزن طالق المسروح فأبدعت كما لم تبدع الشيخة بريكا . مع هنكتها وتجربتها وتمكنها من العزف على الكمان ، كذلك قال "حماد النشار" وهو أستاذ "المرشال" في العزف على الكمان ، ولماذا الرجوع الى الوراء وبيننا المهدي بلعباس يغني سائر إبداعات النثر الفني على أنغام وإيقاعات العيطة الحوزية الى يومنا هذا ، وإذا مات . متعه الله بالصحة والعافية وطول العمر . مات آخر أمل في إعادة ربط الصلة بين الملحون والعيطة كما كانت من قبل .

يكفي هذا القدر من الايضاح فيما يتعلق بالشكل في فنون القول الملحون ، وننتقل الآن الى المضمون





اغراض الملحون

* أغراض الملحون *

أغراض الملحون عشرة:

الموسلات الالهية ، والامداد النبوية ، والوصايا الدينية والاجتماعية "تربيعيات" العشاقية ، الساقية ، الرحمة ، لعراض ، الهجاء ، الرثاء ، وسفر عن هذه الاعراض ، أو عن بعضها على الأقل - موضوعات وموضوعات ، ربما ضاعت هذا العدد ، مثلاً نجد في التسولات الالهية موضوعات أخرى مثل "الخيرة" و "لعنة المعنونة" و "لعن الموت" وهي الامداد النبوية نجد الشعر الملحمي المويل النفس تدرك "خير" ، المندوق ، أما الوصايا فكلها مفاديات أما الربيعيات فهي شعر الطبيعة في الملحون ، وفيه كل ما في الطبيعة المغربية من بدائع الحسن ، وروائع الجمال .

وتبقى كل هذه الاعراض وما ينسب عنها من موضوعات قديمة جدا جدا بالنظر الى ما آل إليه أمرها في الملحون المعاصر . وقد اجتهد أصحاب أخرى بل وظهرت عراض وموضوعات لا عهد لنا بها في الملحون القديم

عن قصيدة الملائكة وقد كتبها ادعاسي المراكشي الشيخ الحسن مشغور سنة 1930 . التي قصيده "البقيم" وهي التي كتبها المراكشي السلوي عبد المجيد وهي سنة 1976 .

في هذه العقود الأربعة ، ظهرت عراض وموضوعات ، تصاعد ، لعراض والموضوعات القديمة أصغاعها تصاعدها فعرشيات مولانا محمد الدامس التي "فتحتها الدج الحسن مشغور بقصيدة ملائكة" وصلت في عيد عرش العنصرى 1952 الى أريد من أرمع مائة قصيدة "تسميها جميعها عند الواحد المصغوري" وكان يقرأ منها - في حضره شيخنا رحمه الله - بعض القصائد من حين لآخر .

أما عن مولانا محمد الدامس صلب الله أثره - فحدث عما كتب فيه من ملحون بصري ولأمرح ، وحسب أن تسجل هنا أن القصر الملكي بالرباط ، قد تحول في أيام المنفى إلى أطلال :

يَبْكِي فِيهِ الْجَامُودُ وَالتَّقَافُحُ* عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الْعِيسَاوِي الْقُلُوسِ

كَايْنِكُيَا أَشْجَارُ وَمَنْ أَظْهَرُ* وَأَنْهَرُ لَا يَغْيِرُ فِيهَا كَفْ وَاسْمِي عَوَا أَوَّلِي

على كل حال كان الشعراء ، أيام المنفى ، يشدون الرحال الى مدينة سلا من كل عوصم الملحون من مديلات من مكاس ، من مراكش ، من هس . وقد كان هؤلاء صوبها كراما يسود إخوانهم وأصحابانهم من أهل الملحون بهذه المدينة العريقة الطيبة سبيبي المامون ، ورايا ، وشعره معصوم عزم . طارز أصحابهم في زدها ، تواركة قصص الكفاء على الأطلال :

يَبْكِي فِيهِ الْجَامُودُ وَالتَّقَافُحُ* عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ الْعِيسَاوِي الْقُلُوسِ

كَايْنِكُيَا أَشْجَارُ وَمَنْ أَظْهَرُ* وَأَنْهَرُ لَا يَغْيِرُ فِيهَا كَفْ وَاسْمِي عَوَا أَوَّلِي

على كل حال كان الشعراء ، أيام المنفى ، يشدون الرحال الى مدينة سلا من كل عوصم الملحون من مديلات من مكاس

من مراكش ، من فاس ، ولقد كانوا ينزلون ضيوفا كراما ببيوتات إخوانهم وأصدقائهم من أهل الملحون بهذه المدينة العريقة الطيبة - سيدي المامون ، بنزايرا ، بوشعرة ، معينو وغيرهم - على أن يصحبوهم في زيارة لـ "تواركة قصد البكاء على الاطلال

جيتك يا قصر الماجدين صبتك خالي مقفور
سكائك جابوني نرودهم لله واين سارو ؟
وأعطيني الاخبار

ويضل يتسائل في شجن ، تماما كما تسأل امرؤ القيس من قبل إلا أن الاطلال غير الاطلال ، والقصد غير القصد والخطب فضيع والامر جلال .

وفي هذه الفترة بالذات ظهرت قصائد أخرى هي زعماء الحركة الوطنية من أمثال بلحسن المرادي وعلال الفاسي ، وعدد الخالق الطريس بل وظهرت قصائد أخرى شبه أسطورية في وصف بطولات أمثال الهداء ، من أمثال الررقطوني ، والفطواكي ، والحنصالي وغيرهم وغيرهم من رجال المقاومة .

صحيح أن بنعلي ولد ارزين عبر عن تضامن المعاربة مع العرب والمسلمين في حملات "نابلون" على مصر "مَا شَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مَصْرَ" وصحيح أن من لا تعرف من هو - لان القصيدة فيها نثر لا تخلو منه نسخة من نسخها - كتب في نهج العلوم والمعارف العربية من مدينة الاسكندرية : "تَهْبُو نَخَائِرُ الضَّاحِ"

ولكن ما كتب خلال هذه العقود الاربعة ، يفوق العصر .

فقصائد "فلسطين" جمع منها الحسن اليعقوبي رحمه الله مائة قصيدة وقصيدة ، وقال معلقا "إنها تعدد حبات السحرة

وقصائد الزعيم التونسي لحبيب بورقيبة "هَرَبَ إِلَيْهِمْ مَنْ سُوَّسَ الْعَرَبِي لِرَادَعِي ، مَكْنَسَ

"خَادُوهُ الْمَاكْرِينَ" مولاي قنور البلغيثي فاس

"لَعَقَابَ حَطَّ عَلَّاءُ لَعْنَامَ الْعَرَبِي مَعِينُو سَلَا

وقصائد جميلة بوحيرد ، وقصائد قراص الفضاء

استسمح ، فلقد استعدت بعض الشيء عن الموضوع ، وعذري هو أن قصائد هذه العقود الاربعة هي السجل الحافل بكل إنجازات الوطنية الصادقة الحقة ، التي واكها رجل الملحون ليس بمعاشينها فقط ، ولكن بتحليلها أيضا

وهي الديوان الذي يعبر بصدق عن تضامن الانسان المعربي - العربي المسلم - مع الاخوة في العروبة - والاخوة في الدين فانا لم أذكر مثلاً قصائد الدعوة الى العلم ، بما فيه التقنية .

اقْرَأُوا الْعِلْمَ صَغَارًا بِهِ تَدْرِكُوا لَمَزِيًّا
الرَّادِيُّ وَمَوْلَاهُ صَانِعُو بِالْعِلْمِ لِلْحَبَارِ
زِدْ جِتْهَدْ وَقَرَأْ

ولم أشر الى قصائد أيام الحرب "البون مثلاً".

نَاسُ السَّرْبِيسِ يَا هَلِي صَبْرًا مَا تَخَافُ مِنْ دَوَّارٍ منعم - مراكش

ولا قصائد "طيفوا الضو".

غَلَقَ الْإِبْنُوَابَ وَالشُّسْرَاجِمَ لَا تَتْرَكُ ضَوْكُ يَظْهَرُ
لَا تَمُطِّرُ عَنْكَ الْكَوَدَ

لم أنتبه الى ما اثاره امر المرأة عند الشاعر المعاصر ذلك لان شاعر الملحون القديم كان يعامل مع "يوم الضحى" لكن شاعر الملحون اليوم يعامل مع التي مراحمه في حافلات النقل الحضري صباح مساء ، لانها كاسحه مثله ويواصل الى جانبه من أجل العد الافضل ، والتوسلات ، والامداح ، وشعر الطبيعة ، كل ذلك وغيره قد تحول ، ولكن الى أحسن الى أروع ، بل الى حيث لا يبقى أي مجال للمعاصرة لذلك لم أدرج الموضوعات الحديثة ضمن الاعراض القديمة ، حتى لا يقع الخلط وحتى نستطيع أن نتعرف على ما كان في الماضي لنرى على ضوئه ما جد في العاضر .

ف "حسيات الملحون المعاصر" وحدها تتباح الى أكثر من كتاب وكذلك أدب المسيرة "والمؤتمرات ، أفريقية كانت أم عربية أم إسلامية .

على كل حال ، كل ما جد في ميوزيق الملحن "سما" في الشكل أو في المضمون ، "سما" له إرثه الله هي الجزء الثاني من الكتاب بالطرح الذي يلائمه وييسره . أما الأثر في الأثر من العشرة وث بركة "سما".



"التوسل" ويجمعونه على : "توسلات"

إنه غرض من أغراض الملحون يشمل قصائد الندم والتوبة ، وقصائد التضرع والاستغفار ، وقصائد التوسل والحمد ، وقصائد الشكر والامتنان

وكم في هذه القصائد من مبادئ وحجة عالة جعلها الصدو عضة باستمرار ، وكم من ابتهالات قلبية رفيعة تركها الشوق صرجه الى الار ، وكم من دواقر ولوامع وسواهم وإشراقات ، وكم من سدادات تحترق الدود ، وتحليقات تعلو فوق الوجود ، فيتلاشى الزمكان ويفنى الشاعر الولهان ، ولا يبقى إلا الملك الديان .

هذا هو "التوسل" الغرض الاقرب الى الارواح والقلوب ، من بين سائر أغراض هذا الفن المحبوب . بل انه رصاص الارواح والقلوب ، فيه تمرح وبه تنتشي .

وليس من بين فحول شعراء الملحون ، من لم يكتب في هذا الغرض ولو قصيدة واحدة على الأقل . وحتى أولئك الذين لم يكتبوا في هذا الغرض قصيدة كاملة . وهم قلة نادرة . نخدمهم بخصيصون له أبيات في حل قصائدهم

ف "الداهمي" لا عبري" مثلاً لا يعرف له أي توسل . ولكن قصائده العاطفية وقصائده في وصف الرسم لا تخلو من أبيات في "المناجات" يقول في بعض أبيات "زهراء" .

يَجُودُ وَيَصْنَفُ عَنْ ذَنْبِي وَذَارُو
السُّتُورُ يَجُودُ وَيَسْتَرُ
مَا كَيْفَ سَتَرْتُو لَعَبْدُ وَسَتَرَا

ويقول في بعض أبيات "الربيعية"

وَأَجِبْ اِنْحَمِدْ وَتَشْكُرْ وَتُبَارِكْ اللَّهُ
عَلَى النِّعَايِمِ لِكثْرَتِ رَبَّنَا عَطَاها

وفي بعض أبيات قصيدة "الجفن"

مَا عَلِمَ مَا بِي إِلَّا الْكَرِيمُ وَخَدُو
عَالَمٌ عَلَى حَالِي لَنُوْ خَيْرٌ وَأَحَدُ

أما الذين كتبوا قصائد كاملة في هذا الغرض ، منهم : "ولد بوعمار"

أَهْلَ الْبَهَا حَمِّقُوا رَدَّ الْوَلَّاهَا
مَنْ شَعَا مَنْ شَعَشَعُوا الْكَامِلُ الْبَهَا

ومنهم "الحمري"

زَخْرَفَا رَوْضِي جَنَّاتِي
وَشَمْسُ جَنَّاتِي فِي قَلْبِي الْآنُ

ومنهم بنسليمان ، وسوف ندرج قصيدته مكي على بن نوسي وصلات أوقاسي . ومنهم الكرازي الناطق بالذوق

يَا رَافِعَ السَّمَوَاتِ عَلَيَّ نُبْ لَا تُحَافِدْنِي بِذُنُوبِي امْحِي أَوْدَارِي

ومنهم سعلى المسفيوي وقصائده في التماجات كثيرة ، أذكر منها على سبيل المثال

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دُخِرَتْ الْأَسْلَامُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلَّمَا مَشَرَفَا

ومنهم ومنهم إلا أن خير من أعطى العطاء العزير في المقدمين سيدي عبد القادر العلمي وفي المتأخرين شخفي الطليل سيدي إدريس العلمي

وسوف أرحي التعامل مع شخفي إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله أما سيدي عبد القادر العلمي فسافتتح هذا العرض ببعض قصائده سبق القول أن سيدي عبد القادر عاصر الملك العلوي الورع مولاي سليمان

كتب في هذا الغرض :

يَا مَنْ أَبْلَانِي عَافِيَنِي يَا كَرِيمَ الْكَرَمَا غِيثًا بَقَرَجْ يَا شَافِي بِحُكْمِكَ حَالُ كُلِّ مَضْرُورْ

من صرختو لحماك قريبة وهذه هي القصيدة التي سبباً بها قصائد هذا العرض

الصرخا "لسيدي عبد القادر."

ولعل من نافله القول أن أقول أن ليس في الملحون القديم كلمة لا تقوم على جذر عربي اللهم إلا العادر جدا ، والنادر لاحكم .. من هذا النادر مثلا :

لبرا أي الرسالة فهي من تمازيغت وأصلها تابرات وهي عند المصمودي

صيفطت للعرال براسي أو فالطا أي خطأ وهي اسمانية يقول ح فصول في المحبوب

تاس الليرضاوا فالطا ، أما ما عدا هذا النادر ، فكل ألفاظ الملحون من أصل عربي ، وعنوان هذه القصيدة "الصرخا"

والصرخا من الاستصراخ أي طلب الإغاثة السريعة ، وفي القرآن الكريم :

فَاسْتَمِرُّهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ... الْآيَةُ أَيِ اسْتَفَاتَ بِهِ .

عَشَقُ الْجَمَالِ طَبَعَ غَرِيزَفَ مَنْ هُوَ لَيْبُ

عشق الجمال طبع غريز أي خلق منحدر في "مَنْ هُوَ لَيْبُ" أي دارعه وشفافية . وهو هنا لا يخصص وإنما يعمم

عَشَقُ الْجَمَالِ جمال الطبيعة جمال الكائنات جمال الاخلاق ، جمال الخير جمال الحق

عَشَقُ الْجَمَالِ طَبَعَ غَرِيزَفَ : مَنْ هُوَ لَيْبُ

ويحسن به وسنط قليبو (ديما معاه نعتا حبيب)

كَالْمِسْكِ الدَّكِي فِي جَيْبِ—وُ
وَمَوَالِفَا النَّفْسِ بِطَيْبِ—وُ
وَالْوَجْدِ رِيحَ غُ—لَابُ
مَتَرُوكُ فِيهِ لَعَتَابُ
مَوْلُ الشَّرَابِ يُعْذَرُفَ حَالِ الْغِيَةِ دَائِعٍ بِهِ هَوَاهُ
مَا يَمِيزُ دَاهُ مِنْ انْوَاهُ

الانبهار ، الانجذاب ، التواجد ، الشكر على كل حال نقد القصيدة بهذه الكيفية ، ربما اختلف معالها وعليه فسنعمل بقول القائل إذا ظهرت المعنى فلا فائدة في التكرار فلقد قرر في البداية أن عشق الجمال من الطباع التي لا يتصف بها إلا أصحاب الرقة ، والرهادة ، والشفافية والحب عنده سمة العشيق فإنك تحب ما تحشق ومن ثم فقد انتقل من العشيق الى الحب .

الْحُبُّ فَتَجَلَّ رَجِيْبُكَ لَذَّةُ الشَّرِيْبِ
وَاللِّيْ صِفَاتٍ لَيْسَ أَنْشَوْتُ—وُ
وَدَرَكْتُ : الْحَبِيْبُ شَهْوَتُ—وُ
تَبَيَّنَتْ حُجَّتُ—وُ وَدَعْوَتُ—وُ
وَاللِّيْ عَلَى الرِّضَا بَاتُ
يَتَسَسَّى جَفَى اللَّيْ فَاتُ
رُوحُ هَنَاتُ
سَاعَتُ لَقْبُـوْلُ وَجِيْنَا وَالسَّرِّ لَمَنْ أَخْفَاهُ
لَا غَنَا شَرِيْبُ يَصْقَامَاهُ

وبعد أن يخصص هذا المقطع للحب في أوبيقاته الهنية ينتقل في كل من المقطع الثالث والمقطع الرابع ، والمقطع لخامس الى أحلك ظروف الحب وهو يرمز بكل ما جاء في هذه الفصول الى القواطع ، والموانع ، والعقبات التي تعوق المساعي في

الطريق الى الله ، إذ أن المعنى العميق للقصيدة ككل هو أن 'عشق الابداع إذا كان صادقاً ، لا بد . وأن يترتب عنه حد .

البدع

مَقْلُوبٌ لِلْمَحَبَّةِ قَلْبُ الْمَرْأِ النَّجِيبِ

الْحُبُّ لَيْسَ كَمَنْ مِنْ صِفَةٍ

بَدَأَتْهُ اسْرَارُ لَطِيفَةٍ

نَهَائَتْهُ اسْرَارُ غَضِيفَةٍ

مَنْ صَبَّحُوهُ تَسْلَافٌ

يَعْسَا وَابَهُ عُرَافٌ

امْعَاوَصَافٌ

سَرُّ الدَّعْوَةِ لَمَجِيبَةٍ يَلْقَى الْعَبْدُ مِنْهَا

وَمَنْ وَقَفَ سَعْدٌ وَغَمٌ امْعَاوَصَافٌ

بَحْرُ الْهَوَى رُكُوبُهُ فِيهِ السَّرُّ الْعَجِيبُ

مَعَ فَرَاتْنَهُ وَكَلَاخُو

وَعَوَاصِفُهُ وَهَوْلُ رِيَاخُو

وَدَلَالَتُهُ وَدَعْدَةُ صَيَّاخُو

يَأْتِي بِشِيرِ الْاَفْرَاحِ

بِتَفَايُمِ السِّ رَاحِ

بَسَابِ الصَّنَاحِ

مَنْ نُونُو كُلِّ مُصَيِّبَةٍ يَلْقَاهَا مَنْ جَاهِ

عفسم

مَنْ بَلَغَ قَصْتَهُ صَابَ مَتَاهُ . نَحْمُ عَدَاهُ

فسم

زَوَانِعُ الْهَوَى فِيهَا الْهَيْنُ وَالصَّغِيرُ

مَنْهُمْ مَنْ يَجِي بِكَرْوِيٍّ

وَوَسَاوِسُ وَعَجَبُ خَطِّ وَبُو

يَبْلِسِي النَّفْسُ بَعْدَ يَتَوَبُّ

فِيهِمْ سَهْلٌ مَرَطُوبٌ

يَأْتِي فَ رِي مُحَبُّوبٌ

يُطْفِي شُهُوبٌ

كَانَتْ فَ : الذَّاتُ الْهَيْبَةُ وَرَقِي مَعْنَاهُ

حِينَ يَشْهَدُ تَصْدِيقُ مَتَاهُ

فإذا كان المقطع السادس من القصيدة انتقلنا من عام الى خاص كيف هو مع الحب ؟ وماذا يحب ؟ وهل

هناء بلحظاته السعيدة أم عصفت به عواصفه ؟

لَبَّيْهَا اللَّيْلِي افْتَنَّنِي سَوْقُو نُوْعُو غَرِيبٌ

نَجَلَاتُهَا لُتُوفٌ سَمَاهَا

فَ قُلُوبٌ هَلْ الْحَالُ ضِيَاهَا

مَرْمُودٌ الْبَصَرُ مَا رَاهَا

سَفْسَاءٌ لَأَمَعَ شَعْرَاهَا

خَطُّ صَافٍ كُلُّ مَنْ رَاهَا

وبلا اخذاه يزهد في كل كسيسة والصادق ف : هَوَاهُ

كل ما يتمنى يلقاهَا

ويبدو في كل من المقطع السابع ، والثامن ، والتاسع وكأنه يخاطب نفسه ، يصححها يوجهها يفتح أمامها آفاق المعرفة في طريق القوم

تَدْعِي الحُبَّ وَتُخَافِي بِصَنُودِ الحَبِيبِ
 دَارُكَ مَنْ عَلِيَّكَ تَوَلَّيْتُ
 لَوْ كَانَ مَرَّةً عِنْدَكَ يَحْسَبُ
 مَا عِنْدَ شِ الحَبِيبِ الزَّائِلَةُ . حبيب ليس عندنا زلة
 مَنْ لَيْسَ جَانِبَكَ الحَالُ
 طَبِيعُوفُ : كُلُّ مَا قَالَ
 زَكِّي فَعَالَ مَنْ نَفْسُكَ بِهِ شَغِيْبَةٌ وَعَلَّجَكَ فَرْ رَضَاهُ
 كُنْ لَهُ عَنْ أَمْرٍ وَتَهَاهُ

فنسم

تِيهِ المَلِيحُ كَالسَّقْوَى لِلرَّوْضِ الجَنَدِي
 تَدْفَعُ بَ : اللِّقَاحُ اشْجَارُ
 وَتَفُوحُ بِالنَّشَامِ اَزْمَارُ
 وَتَهِيحُ لِلنَّشِيدِ اَطْبَارُ
 لَوْلَا غُرْزَالُ لَقْفَارُ
 طَبِيعُوشَرُودُ حَدَارُ
 لَوْ كَانَ بَارُ وَالرَّخْصُ عَنْدَ مُصِيبِهِ وَالرَّيْنُ إِلَى تَاهُ
 يَلْدُ عَشَقُ وَبِصُونُ بَهَاهُ

قَاضِي المَزَاجِ مَا يَسِي خَيْرٌ وَلَا يُجِيبُ
 عَزَّ السَّلَوُغُ عِنْدَ غُلَامَا

فنسم جاف

وَتَهْـوَنَهَا أَيَّامَ أَرْخَاهَا
وَتَسَاوِمَ الْهَمَجِ مَشْرَاهَا
وَاللِّي اتَّكَاثَرُ ضَمَّاهُ
وَالْقَى حَبِيبَ وَسْقَاهُ
لَوْ مَا شَحَافَ مَا يَدِّي لِلْمَاطِيَةِ
وَمَنْ جَرِيَتْ عِيَاهُ
فَوْقَ الْفَضَى تَايَةً بُوَاهُ

أما المقطع العاشر .. فسوف يجد ثنافيه بما آل إليه أمره في عشقه :

طَفَحَ الشَّبَابُ فَ : الْعَاشِقُ وَعَذَارُو مَشِيْبُ
مَنْ اللَّي احْلَاتْ نَشَوَتْ شُرْبُو
وَسَرَاتٍ فِي دَوَاخِلِ قَلْبُو
شِيْبُو غِبَافٍ سَطَوَتْ حُبُو

يا سلام .. هنيئاً لمن هذا حاله مع الله :

مَنْ اللَّي حَلَاتْ نَشَوَتْ شُرْبُو
وَسَرَاتٍ فِي دَوَاخِلِ قَلْبُو
شِيْبُو غِبَافٍ سَطَوَتْ حُبُو

ومن الشطر الذي افتتح به هذا المقطع :

طَفَحَ الشَّبَابُ فَ : الْعَاشِقُ وَعَذَارُو مَشِيْبُ

وهذا الشطر . شيبو غباف سطوت حبو نستطيع الجزم بأن سيدي عبد القادر العلمي كتب هذه القصيدة رحمه الله في شيخوخته ، بل أنها القصيدة الوحيدة التي أثبت لنا فيها لحظات القرب من الله وأوقات الاتس به

لَمَّا اجْتَا عَلَى الْبَابِ
وَدَفَعَ عَلَيْهِ الْعَجَابِ
صَنَى جَوَابَ طَيْبٍ : لَفَاطُ عَجِيْبَةٍ
كَالْعَطَرِ يَعْبِقُ طَيْبُ اشْدَاهُ

ويستخرج لنا الحكمة من ثمرات رياضاته ، وتنانيع مجاهداته :

مَنْ لَا زَمَّ أَرْضَى وَطَلَبَ لَا يَدُّ يَنْصِيبُ
وَاللَّيْ بِنَا يَفِيضُ حَسْبُودُ
يَتَّبِعُ بِالْمَهْلِ مَقْصُودُ
حَتَّى يَنْكَمَلَ مَقْصُودُ
مَا نَالَ حَدَّ مَا رَادُ
إِلَّا أَتَقَبَّ وَطَرَادُ
صَوْتُ الرِّعَادِ يَتْرَكُ لِقُلُوبٍ رَهِيْبًا
وَيَعْدُ هَذِيرُ لَفَاةٍ
يَنْبَشُرُ بِالْفَيْتِ أَمِنْ وَرَاءِ

إنها فلسفة سيدي عبد القادر ، وكما نلاحظها في كل قصائده الدينية والاجتماعية

الفلسفة القائمة على "الصبر" و "التوكل" ، وأبادر الى القول أن الصبر عند الرجل ليس هو الدعة ، والتوكل ليس هو الاستسلام الصبر على مشاق الحرث مثلا ، والتوكل على الله في نتائجها صبر المريض على تجرع الدواء ، وعلى آلام الداء ، والتوكل على الله في الشفاء على كل حال ، سوف نلتقي بسيدي عبد القادر العلمي في الاجتماعيات ، وفي غير الاجتماعيات ، وسوف نتعرف عليه أكثر فأكثر أما الآن فما بقي لنا إلا أن نأتي على ما تبقى من هذه الرائعة

عَزَّ السَّلَوُوعُ تَاجِرَهَا يَرِيحُ مَا يُخِيبُ
وَكُلُّ مَنْ لَيْسَ بِ : وَعُدْرِي
يَعْرِفُ مَا حَكِيَتْ ف : شَعْرِي

خِلَافَ مَنْ غَشِيمٌ وَغَرِي
يَذَرِي نَفِيسَ الْأَدْرَارِ
مَا هَرَّ ، حَادَ بِصَارِ
صَافِي عِيَارِ بَارِي مَنْ كُلُّ مَغِيبةٍ سَرَ الْعَبْدِ وَقَاءِ
مَنْ فَضَلَ مَوْلَاهُ اسْتَوْفَاءِ

اللزامة : مَنْ صَرَّخَتْهُ لَحْمَاكَ قَرِيبًا وَمَقَامَكَ عِلَاءَ
حُبٍّ غَيْرُ لَا تَسْتَحِلَاءَ

هذا هو النص الكامل لقصيدة "الصرخا" فهي من مكسور جناح" والصلة التي يصلها بالملحن العمودي . نهاية كل مقطع بيت من "لوما الثلاثية .." وكذلك اللزامة.

وبترك سيدي عبد القادر في شيخوخته الوفرة . وقد سكنت نفسه واعطمت ، على أن يعود إليه في العرض الثالث من اغراض الملحن لنستمع منه وهو يلقي أصول الطريقة ، ونراه وهو يقف بعمره بين الشريعة والحقيقة
أما الآن فبالجيل الذي جاء بعد حيل سيدي عبد القادر العلمي مباشرة ، ونخار من إبداعات هذا الجيل نبكي على ذنوبي وصلات أوقاتي . لحمد بن سليمان ، وهي في القياس الرابع من لوما الثلاثية

نَبْكِي عَلَى ذُنُوبِي وَصَلَاتِ أَوْقَاتِي يَوْمَ الْهَوْلِ وَظَلَمَتِ الْقَبْرِ
بَدَلُ يَارَبِّي سَيِّئِي بِالْحُسْنَى

هكذا بدأ بنسليمان هذه التضرعات ، ولعل من الأفضل أن نثبت النص الكامل للقصيدة ونتركها تقدم نفسها بنفسها الى القارئ .

أَنَا اللَّي قَوَاتِ عَلِي حُبَاتِي وَمَدَحَتِ الْأَعْمَرُ وَكَبَّرُ
وَعَنَيْتِ بَمَنْ بِهِ مَا يَتَعْنَى
وَفَخَرَتْ بِالْغَرَامِ مَقْصَرُ خَطَوَاتِي وَتَرَكْتُ اللَّي بِهِ نَفْتَحَرُ
مَنْ لَا يَتَمْنَى مُحِبَّتِي نَتَمْنَى

غَلَبَاتُ حِيلَتُو عَشْرًا مِنْ حِيلَاتِي دَارَ السَّانُوسِيفِ لِلْفَدْرِ

خَفَ أَمِنْ الْأَحْطَا وَيَرْقُ الْمَرْثَا

وَرَجَعْتُ بِهِ لِّلْسَفَلَةِ مِنْ رَفَعَاتِي وَمِنْ دَعَى بَعْنَايَتُو كَسْرَ

هَذَا الْحَالِ ضَنْجِيَتْ بِهِ مَعْتَلِي

☆☆☆

هَذَا الْهَوَى الْهَائِمَ زَايِدَ لِيَعَاتِي رَأَفْتُ قَلْبِي مَا بَقِيَ أَكْثَرُ

وَالْعَيْنُ أَمِنْ الشَّوْفِ مَا تَنْتَهِي

أَنَا أَيُّهَا لِي تَعْرِافَ حَيَاتِي وَتَبْدُلُ لَمَنَامَ بِالسَّهَرِ

مَا تَسَابِعُ لَا فَرَضُ وَلَا سُنَّةُ

كُرَاتُ سَيِّئِي وَقَلَالَاتُ حَسَنَاتِي وَسَجَنَتِي فَ : سَلَّاسَلُ الْفَدْرِ

شَيْطَانِي هُوَ سَبَبُ الشُّطُنَا

غَرَّقَ مَرْكَبِي فَ : بَحْرَ مِنْ سَيِّئَاتِي أَنَا الرَّائِسُ وَالْهَوَى ابْخَرُ

الْهَوَى فَتْنَا مَا بَحَالُو فَتْنَا

☆☆☆

بَتْنَا هَدِي نَبَاتَ نَهْيَجَ زَفَرَاتِي وَزَيْدَ الْبُكَايَا عَلَى السَّهَرِ

مَا غَرَّدَ مَتْلِي حَمَامَ فَ : سَجَنَا

وَحَمَلْتُ مِنْ ذَنْوِي شَلَا تَقْلَاتِي غَادِي بَيْنَ سَلَالِمِ الْوَعْرِ

مَنْ تَعْبِي عَنْ رَاحَتِي تَتْنَا

وَنَصُومُ .. مَا حَسُنَتْ صِيَامٌ وَصَلَاتِي لَا شَفَعَ احْسَنْتُو وَلَا وَثَرُ

كَيْفَ اِيْحَسَنْتُوهَا وَجُوهَ الْجَنَّةِ

لَوْ مَا اسْتَسَاخَتْو نَفَرَقَ فِي زِلَاتِي يَا رَزَاقَ الْحُوتِ فَ : الْبَحْرِ

عَبْدَكَ ظَنَّ الْخَيْرَ تَمَّ وَهَنَّا

☆☆☆

نَفْسِي امْعَا الْهَوَى وَالشَّيْطَانُ عَذَابِي عَادَاوُ السَّانِي مَعَا الذِّكْرُ

شَدُّوا فَ : زَمَانِي سَبِيلَ الْمَحَنَةِ

اسْقَاوْنِي مَرَارَ ، وَتَابَعِ شَهْوَاتِي اللَّهُ اِيْعَافِينَا مِنْ الْخَمَرِ

كَثِيرِ الرُّوعَا .. اَقْلِيلِ الْهَدْنَا

غَبَطْتُ فَ : الْهَوَى ، طَالَعِ فِي عَقْبَاتِي يَا عَالَمَ بِالسُّرِّ وَالْجَهَرِ

لَا تَجْعَلْ لَنَا عَقُوبَتَكَ تَتْرُكُنَا

وَمَصَائِبَ الزَّمَانِ .. وَمَصَائِبَ كَلْفَاتِي وَشُرُورُ الْفُرُودِ وَالْفُشَرِ

نَجِّنَا مِنْهُمْ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى

☆☆☆

مَنْ لِي هَمَامٌ نَرَاتُ بِي نُولَاتِي رَفَعُوا بِي فَ : قَبْتُ النُّصْرَ

نَزَعُونِي مَنْ بَعْدَ قَالُوا طَعْنَا

خَلَّوْنِي امْعَا الطَّيْحَاتِ وَغُرَاتِي هَذِي هِيَ قُلْتُ الْوَقْرَ

مَا قَتَلُونِي مَا حَيَاوْنِي نَتَهَنَا

أَنَا أَرَمَيْتُ رَأْسِي فَ : الْبَحْرُ الْعَاتِي غَائِبٌ لِيهِ سَنِينَ مَا ظَهَرَ
أَوْف : الْمَرْسَا تُجَارُ كَأَنَّسَنَا

حَتَّى سَفِينَتِي قَهَرَتْهَا مَوْجَاتُ وَالْبَحْرِيَّةُ كُلُّهَا الصَّبْرُ
نَجْنَا يَا صَاحِبَ الدَّمَامِ غُرَقْنَا

☆☆☆

مَا جِئْتُ لِلنَّجَامَا صِيْفَطْتُ ابْرَأَتِي وَعَلَا نَاسِي غَيْبُ الْخَبَرِ
وَحِبَابِي وَمَعَارِفِي تَتَمَنَّى

سَقِيتُ مِنْهُمْ جَدَاوِلَ نُوحَاتِي فَاحْ أَنْسِيْمِ الْوَرْدُ وَالزَّهْرُ
وَعَفَرَ ذَنْبُ اللَّيْ اَعْصَا وَرَحْمَنَا

وَرَحِمَ يَا الْمَوْلَى حَقَاطُ ابْنَاتِي قَالَ بِنَسْلِيْمَانَ الْخَبْرُ
سَلَامِي مَبْتُو لِنَاسِ الْمَقْنَا

وَالْجَاخِذُ اِيَصْدُقْ يَا وَيْلُودَعَوَاتِي وَقَلْبِيُوبُ الْغَى يَنْزِيْرُ
مَا يَبْلُغُ مَعْنَى وَلَا يَتَكُنَّا

يَارْفَعُ السَّمَاءَ تَغْفِرْ لِي زَلَاتِي بِجَاهِ الشُّبَيْكِ وَالْقَبْرِ
سَيِّدِي لَا تَجْعَلْ رَيْنَا يَهْلِكُنَا

☆☆☆

نَبْكِي عَلَى ذُنُوبِي وَصَلَاتِ أَوْقَاتِي يَوْمَ الْهَوْلِ وَظَلَمَتِ الْقُبْرِ
بَدَلُ يَا رَبِّي سَيِّئِي بِالْحُسْنَى

استهت رائحة مسليمان في الاستهالات ، ولقد كان على أن أجعلها قبل القصيدة السابقة لأحقق التدرج . من هذه العبرة ، ومن هذا الارتباك الى تلك السكينة . وبك الطمأنينة ، الى حظ الرجال بجوار الله ، ولكن لم الفعل ، فالشيخ شيخ والمريد مريد ... خصوصاً ونحن نقول في حضيرة الملحون : السابق فضيلة ... *

ونضيف قصيدة ثالثة قبل أن نقول كلمة وجيزة عن القصائد الثلاث .

وهذه المرة مع ترسل الفقيه لمعيري . ونبدأ باللائمة :

يَا الْمَوْلَى نَعَمْ الْمَتَّعَالِ نُو الْجَلَالِ يَا الْمَعْبُودَ عَظِيمَ الشَّانِ فَ : الْمَعَالِي

☆☆☆

يَا الْمَعِيثُ إِلِي نَرْجَاكَ ضَيْقَتْ الْحَالُ	يَا الرَّحِيمَ رَحِمَ ضَعْفِي وَشَوْفَ حَالِي
غَيْثُ عَيْدٍ مَوْلَةٌ يَرْجَى تَزُولُ الْأَمْوَالُ	طَالُ مَا يَتَكَلَّبُ فَ : جَمَارُ لَا أَمْنِ هَالِي
كُلَّ حِينٍ يَنَادِي فَ : حَمَاكَ يَا الْفَقَّالُ	اعْيَا يِقَاسِي وَأَهْوَالُو فَاقَتْ الْأَمْنُ هَالِي
جَرَعُوا حَالُ الْوَقْتِ أَمِنْ الْمَرَايِرِ اشْحَالُ	وَالْخَلَائِقُ ، بِالْوَاقِعِ حَدَّ مَا تَبْ هَالِي
أَهْلُ الصَّلَاحِ أَرْبَى غُرْبًا أَوْ لَأَمِنْ أَيْسَالُ	عَلَّ الْغُرْبَا فَ : زَمَانُ أَمِنْ الْأَفْضَالِ خَالِي

☆☆☆

يَأْمُولُ الْجُودَ وَالْإِحْسَانَ أَمَّا التَّقْضِيلُ	يَا غَنَانِي يَا كَرِيمَ فَكَ التَّوْحِيدُ لَا
عَجَلُ بِعِلَاجِ قَلْبٍ وَسَطِ الصَّدْرِ غَيْبُ	وَعَقَّ يَا ذَا الْجَلَالِ رُوحِي الْغَلْبِيلَةُ
وَالَّذِي يَطْفَى تَهْدً ذَاتُو لَا تَمْهِيلُ	حَتَّى يَبْقَى يَشُوفُ نَفْسُهُ أَدْلِيلَةُ

في حبصاً بيصن إيسر تنفع لوجيلاً

تَضَرَّقُوا نَاسَ الْجَدِّ وَبَانَ كُلُّ خَتَالِ	كَانَ يَرْهَدُ شَيْءٌ وَقْتُ يَسَاعِدُ الرَّدَّ إِلِي
وغيرُوا أَنَاهُمْ بَرَزُوا بِأَدْعِينِ الْأَحْيَالِ	وَلَا رَعَاوُ الْحَرَمِ مِنَ الْأَقْيَالِ إِلِي
وَعَمْرُ بَرَزُوا أَدْعَاهَا ظَهَرُوا فَ : خَبَتْ الْحَسَالُ بَانَ عَيْبُ الْخَتَالَا سَاعَتْ الْمَعَالِ إِلِي	تَشَاهَدُ فَعَالِيَهُمْ بِهِمْ مَا تَبَالِ إِلِي
تَشُوفُهُمْ فَ : الظَّاهِرَ تَحْسَابُهُمْ كَمَلِ	

بَرُّهُمْ بِالْقِرَاءِ احْسَانُهُمْ لِلَّالِ كَانَ وَأَتَرَنِي لَيْسَ سَبَبُ نَارٍ جِلِّي

☆☆☆

الْوَقْتُ الْيَوْمَ جَابَ خَصَلَاتُ التَّرْدِيلِ مَنْ عَاشَرَ قَوْمَ صَارَ مَتَّهِمٌ بِالصَّيَةِ
الَّذِي هُوَ رَدِيلٌ يَنْتَوِي لِلتَّقْضِيلِ وَالَّذِي هُوَ فَضِيلٌ يَسْتَوِي لِلتَّخْيِيلِ
مَنْ لَاقَهُمْ حَدِيثٌ مَا فَتَهُوا تَرْتِيلِ وَلَا يَدْرِيُوا لِلْمَنْتَلِي تَرْتِيلِ

وَكُلُّ شَتِيمَةٍ فَ: حَقَّمْ جَاتِ قَلِيلَةَ

غَرَّهُمُ الشَّيْطَانُ وَلَا عَيَاوَا يَسْأَلُ تَقُولُ مَا سَمَعُو شَيْءَ مَا فَاتَ فَ: الْجَبَالِي
يَعْتَبِرُوا عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا بَشَرًا لِعَمَالِ مَا يَرْمُو النَّبِيرُ الْوَيْفُولُ وَالْمَسِي
وَهَلِ النَّقْوَى وَالِدِينَ اضْحَاوَا طَيِّ الْأَهْمَالِ وَهَلِ لِبِدْعَةِ وَالرَّيْغِ فَ: عَيْهِ الرُّقَالِي
جِيلٌ نَاسُوا تَرَكَوْا الْوَفَا نَسَاهُ وَرَجَّالِ وَبَدَّلُوهُ أَبَدَهُمْ مَيَّخُوسٌ جِيلٌ خَالِي
أَوْفَ: الْحَدِيثِ الْقَابِضُ دِينُ فَ: كُلُّ الْأَحْوَالِ كَيْ الْقَابِضُ جَمْرًا يَأْمَنُ صَفَى الْقَوَالِي

☆❖☆

❖ وَالَّذِي يَنْتَوِي عَهْدٌ لَجَنُودَ فَ: تَضَلِيلِ ❖ مَا مَطْلُوشِي ضَلِيلَ فَ: فَتَارَ ضَلِيلِهِ ❖
❖ صَالٍ بَ: فَعَلُوا وَزَادُوا قَبْحًا تَهْوِيلِ ❖ وَيَقَى فَبَيَّوْا مَسِيرُوا فِي تَهْوِيلِ ❖
❖ أَتَوَى رَأْسُو عَلَا وَصَابُوا فِي تَسْفِيلِ ❖ مَا طَاقَ الْعَوْمُ فِي بَحُورُوا لَهْوِيلِ ❖

❖ لَا بَدَّ يَصِيرُ لِيَهْ جَهْلُوا تَكْيِيلَةَ ❖

❖ يَا اللَّهُ اسْأَلْتُكَ وَنَتَ الْغَنِيِّ الْمُتَعَالِ ❖ رَدَّ هَذَا الْكُسْرَا بِالْخَيْرِ يَا نَعْمَالِي ❖
❖ جَدُّ وَغَنِي وَرَحِمَ ضِعَافَ فَ: وَسَطَ هَوَالِ ❖ ضَاقَ بِهِمُ الْحَالُ فَ: رَتَبَتْ لَحْيَالِي ❖
❖ مَا يَلِيهِمْ غَيْرُكَ وَنَتَ عَلَيْهِمُ بِالْحَسَالِ ❖ يَا مَسْجِبَ الْمَصْرَفِ الْآلَمُ الْإِلْسِي ❖

☆ غِيثُ ضِعَافِ الْخَلْقِ الْغَايِبِينَ فُ: وَحَالُ ☆ مَا انْوَصَفَهَا لِيكَ اَعَالَمُ الْاَحْوَالِي ☆
 ☆ كَيْفَ يُوصَفُ لِلرَّاقِبِ عِلَالُ الْحَالِ وَمَالُ ☆ عَبْدُ جَاهِلٍ وَقَصِيرُ الْفَهْمِ مَنْ امْتَالِي ☆
 ☆ يَا مَنْ فَضَّلُو عَمِيمَ وَالْاَحْسَنَانِ جَزِيلُ ☆ عَالِجٌ وَشَفِي قُلُوبٍ فَصْدُورٌ عَلِيْلَةٌ ☆
 ☆ يَا مَنْ هَدَيْتُو لَهَذَا الْاِسْلَامَ التَّنْزِيلُ ☆ اَلْهَمَّ لِيْهِ الْقُلُوبُ تَقْرَأُهُ وَجِيلَةٌ ☆
 ☆ يَا بَاعَتْ لِلْخَلِيقِ رُسُوكَ لَفْضِيلُ ☆ يَا جَاعِلَ سِيرَتَوْفٍ : الْاَعْبَادُ فَضِيْلًا ☆

☆ اهْدِي لِيهَا ابْصَائِرَ ضُنْحَاتٍ عَظِيْلَةٍ ☆

☆ مَا ذَرَأَ مَنْ شَهِدَ بَدْعَوْتَ كُلِّ مَرَسَالُ ☆ بَيْنَ رُوحِ الْمَعْنَى فُ : مَتَابَعِ الْاَقْوَالِي ☆
 ☆ وَلَوْ يَعْرِفُوا هَذَا هِيَ تَغْيِيرُ الْحَالِ ☆ كَيْ تَغْيِرُ فِي كَمْ جِيَالٍ بُ : الْفَضَالِي ☆
 ☆ يَا الرَّحْمَانُ ارْحَمْ ضَعْفَ الْخَلْقِ يَنْشَالُ ☆ يَا الْغَفَّارُ غَفِّرْ لِعِبَادِكَ الزَّلَالِي ☆
 ☆ يَا الْخَلَّاقُ اخْلُقْ فِيْنَا الْخَيْرَ يَنْزَالُ ☆ كُلُّ شَرٍّ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ يَا الْعَالِي ☆
 ☆ بِالنَّبِيِّ وَانْصَارُوا وَمَهَاجِرِينَ الْاَفْضَالُ ☆ غِيْثُ هَذَا الْأُمَّةِ وَطَرْدُ كُلِّ ضَالِي ☆
 ☆ وَالصَّلَا وَالسَّلَامَ عَلَى النَّبِيِّ الْمُرْسَالُ ☆ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ كَنْزِي وَرَاسُ مَالِي ☆

لا ادري كيف انتقل البيت الاخير ، من تتوسل لعمرى هذا الى تتوسل العلمي الذي مطلع . يَا الْوَاجِدُ بِالْصَّرْحَةِ عَنَدُ ضَيْقَتِ الْحَالِ المهم . كان هذا هو النص الكامل لتوسل الفقيه العمري ... ويتوسل الفقيه العمري تكون قد أتينا على المدارس الثلاث التي كانت تهيم على هذا الغرض . قبل أن يأتي الى حضيرة الملحن . الامام الحسيني العراقي .. وقبل أن نعرف ما جاء به هذا الامام الصوفي الجليل . وانستطيع استكناه ما جاء به ، لا بد من أن نعود الى القصائد السابقة .. ولو بسرعة فائقة . فمثلا كنا في القصيدة الاولى مع رجل كابد الرياضات والمجاهدات أولا . وعاشر اهل الطريق الذين عاصروه ثانيا . وتوسع في الاطلاع على كتابات القوم من شعر شفاف بديع ، وثر فني رفيع . وسير اهل الله الذين سبقوه . وتراجعهم ثالثا . فجمعت كل قصائده التي كتبها في السنوات الاخيرة من عمره . . طافعة بإشارات اهل الطريق ، وتعاليمهم ووطروحاتهم

الْوَجْدُ رِيحُ غَلَابِ

مَتْرُوكٌ فِيهِ الْعَتَابُ

مَوْلُ الشَّرَابِ يُعَذَّرُ فَا : حَالُ الْغَيْبَةِ

دَايَعُ بِهِ فَوَاة

مَا يَمِيزُ دَاةَ امْنِ ابْوَاة

☆ ◎ *

وَالسَّرُّ امْنِ اخْفَاة

لَاغْتَبَا شَرِيوُ وَيَصْفُو مَاء

☆ ◎ *

بِدَايَتُو اسْرَارُ لَطِيفَة

نِهَائِيَّتُو اشْرَارُ غَصِيْفَة

مَنْ صَبَّحُوهُ تُلَافُ

يَمْسَاوَا بِهِ عُرَافُ

☆ ◎ *

بَابُ الصَّلَاحِ مَنْ نُوْنُو كُلُّ مُصِيبَةِ

بِدَايَتُو اسْرَارُ لَطِيفَة

نِهَائِيَّتُو اشْرَارُ غَصِيْفَة

مَنْ صَبَّحُوهُ تُلَافُ

يَمْسَاوَا بِهِ عُرَافُ

☆ ◎ *

بَابُ الصَّلَاحِ مَنْ نُوْنُو كُلُّ مُصِيبَةِ

يَلْقَاهَا مَنْ جَاءَ

وَمَنْ بَلَغَ قَصْنُو صَابُ مَنَاءَ

☆ ◎ *

سَنَاءَ لَا مَنَعَ شَعَاءَ

خَطَأُفَ كُلِّ مَنْ رَأَى

وَأَلَّيْ أَخَذَهُ يَزْهَدُ فِي كُلِّ كَسِييَا وَالصُّادِقُ فَا : هَوَاةُ

كُلِّ مَا يَتَمَنَّى يَلْقَاهُ

ونختم هذه المقطعات باللحظة التي قال عنها الحاج محمد بلكبير المراكشي

” لحظة الاشراف الكلي التام العام ”

لَمَّا اجْتَمَاعُ عَلَى الْبَابِ

وَرَفَعَ عَلَيْهِ الْحِجَابِ

هَذَا جَوَابُ طَيْبٍ بِالْقَاضِ عَجِيبَا لَوْ كُتِمُوا وَخَفَاةُ

كَالْعَطْرِ يَعْْبَقُ طَيْبُ أَشْدَاةُ

إننا في هذه القصيدة وفي الفرج نكون مع سيدي عبد القادر العلمي في عالمه الباطني . ويحاول جاهدا أن يطلعنا على مشاهداته ، وأن يصحبها لنا . وإن كانت العبارة لا تسعف صاحبها في هذا المجال

أما بنسليمان ... نكون معه سواء في هذه القصيدة أوفي :

تُبِّ يَا رَأْسِي لَا تَشْفَى فِي عَالَمِ الْوَاقِعِ ... الْعَالَمِ الْمَمُوسِ .

☆☆☆

☆ أَنَا يَحْقُوقُ لِي تَتَعَرَّفُ حَيَاتِي ☆ وَتَبْدُلُ لَعْنَامَ بِالسَّهْرِ ☆

☆ مَا تَابِعَ لَا فَرْخَ وَلَا سُنَا ☆

☆☆☆

☆ أَنْصُومُ ، مَا حَسِنَتْ صَيَامِي وَصَلَاتِي ☆ لَا شَفَعَ احْسِنْتُ وَلَا وَتَرْتُ ☆

☆ كَيْفَ يَحْسِنُهَا وَجُوهَ الْجَنَّا ☆

★ نَفْسِي مَعَا الْهَوَى وَالشَّيْطَانُ اَعْدَاتِي ★ عَادُوا السَّانِي مَعَا الدُّكْرُ ★

★ شَنُّوْا فَا : زَمَانِي طَرِيقَ الْمَحْتَسَا ★

★ سَقَاوْنِي مَرَارَ التَّغَبِّ فَا شَهْوَاتِي ★ اللَّهُ يَغْفِرُنَا مِنَ الْخَطَرِ ★

★ خَيْرُ الرُّوْعَا قَلِيلُ الْهِنْنَا ★

☆☆☆

على كل حال أحدا سيدي عبد القادر إلى عالم الدهر . وعاد بنا محمد بسليمان إلى نديم الدهر
أما القصيدة الثالثة أعني قصيدة الغنى لمعيري ، فهي أقرب إلى الدهر منها إلى الشعور ، قصيدة لحرفية ، حرفة لالة
حرفية الحديث ، حرفة مقولات الفقهاء .

★ أَوْفَا الْحَدِيثِ الْقَابِضُ دِينُوْ فَا جَمْعُ لِحَوَالِ ★ كِي الْقَابِضُ جَمْرًا ★

☆☆☆

★ هَتْلِي يَنْدَا يَشْتَوْفُ نَفْسُوْ لِحَوَالِ ★ فِي حِصَا بَصَرِ ★

ونحن لا مع سيدي عبد القادر ومن سرور على بهجة بعده ، ولا مع بسليمان ومن حد حنوه حتى أن أول من قاسم
لمعيري ، ومدرسته لذهنية . يبقى مع شعر لدني ومن الصوفي ، نعم فيه سياحات وبحسرات هذه وهات من عطف
بعض كبار الشعراء ، رموز القوم وشراهم ، أي لا يخبر من مسعة من مصوف ولكن في عمومته ينظر شعور لدني
أما الملاحون الصوفي ، فهو الذي حدا به شيخ لأمم الحسني بحراق بعمده الله برحمته ، ونسكه بعبادة حده

★ جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبْشَرَ هُنَا نَهْمُ ★ وَتَحَلَّى بِاسْتَعْدَ حَبْرَ صَابِ مَدَا ★

★ أَنْكَا الْحُسُودَ وَطَقَّرَ بِالْعَرِ الدَّابِ ★ وَصَنَعَ يَنْفَعِرُ فِي ثِيَابِ هُنَا ★

هذه واحدة من القصائد الأربع التي شق بها لأمم سرور المعربة لأمم برسون ثمة شعور بصوفي

★ طَابَ السَّرُورُ مَعَ الْبِنُورِ بِحَرِّ السَّحُورِ ★

قَلِيدَة

★ غَتَمَ كَاسَ الرَّاحِ مَا حَبِيبُكَ زَارُ ★

★ وَيَنْبَا بِدُورِ هَذِي بِأَبُو شَغَايِمَ ★ مَا هِيَ إِلَّا بَرَوَا سِرَ صَنَاةُ ★

★ بِيضُ الْخُورِ فِي كُلِّ مَا تَلَايِمَ ★ شَسِرُ الْخُورِ مِنْ شَغَا فَا سَنَاةُ ★

★ سَقِي وَنُورَ هُوَ الشُّورَ طُولُ الدُّهُورَ ★

★ سَاعَادَ السَّلَوَانَ فَايَدَتِ الْأَعْمَارَ ★

★ هُوَ الشُّورَ هُوَ وَالْهَائِمَ رَأَيْمَ مُرَادُ الْمُرِيدَ يَا هِنَاءَ الْقَاهِ ★

★ الْقَاهُ فِيهِ وَمَعَاهُ فِ : قَلْبُ الْقَائِمِ وَالْقَائِمَ مَا قَامَ غَيْرَ بِهِ وَتَاهُ ★

★ صِلِ الشَّرَابَ النُّكَدَ غَابَ وَالزُّهُوَ طَابَ ★

★ وَسُرُوجُ الْفُرْجَاتِ شَعَشَعَتِ الْأَنْوَارَ ★

★ شَعَشَعَتِ كَالْتُرِيَاءِ فِي كُلِّ وَلَايِمَ مَنَى لِي عَادَ بَانَ سَرَ خَفَاهُ ★

★ وَشَحَالَ بَتَ مَنْ لَيْلًا سَابِحَ عَائِمَ بَيْنَ مَوَاجِ الضِّيِّ فِي فُضَا سَمَاءُ ★

★ رَشَفَ الْأَكْوَابَ اِمْتَا الْأَحْبَابَ عَيْنَ الصُّوَابِ ★

★ وَزَمَاهُ فِ : أَيَّامَكَ لَوْ تَعِيشَ أَنْهَارَ ★

★ طِعَ الْمَلِيحَ وَعَصَا فِ : الْيَوْمَ اللَّائِيَمَ وَعَمَلُ فِ : زَمَانُكَ كُلُّ مَا تَهْوَاهُ ★

★ وَنَشَدَ مَنْ أَشْعَارَكَ فِ : الْحُسْنُ الدَّائِمَ نَجْمَكَ صَارَ أَصَاخَ فَيَصْنَعُونَ سَمَاءُ ★

★ نَظَرًا مَنْ الْحَبِيبِ تَمَحَّى كُلُّ اجْرَائِمَ أَوْ لَحِيبِ كَرِيمَ يَا لِي يَرْجَاهُ ★

★ إِلَى مَارْضَا مَا تَنْفَعُ عَزَائِمَ لَوْ بَا عَمَالَ الْخَيْرِ كُلَّهَا تَلْقَاهُ ★

القصيدة على وزن "يأمانا" للمصمودي ، أي من "لرما المشنية مع تصرف جميل في ما يسمى . "لطيلعات" ، أما من حيث معانيها ، فلا شك عندي أنها قدمت نفسها بنفسها إلى القارئ وانتهى الأمر . علي فقط أن أثبت هنا أن هذا الامام الصالح المصلح ، هذا العلامة الجليل ، هذا الشيخ الاجل ، كان يطوف بنقله العلمي ، والمعرفي ، والثقافي على كل الطوائف ليعلمهم . كما علمنا . كيف يكتب الشعر الصوفي .

فالامام الحراق . الشاعر العربي المفلح . والزجال الاندلسي المبدع . مقصد الموشحات . وموشح القصائد ، على ما انتاه الله من علوم الشريعة ، وما فتح عليه به من علمه " اللادني " يأتي بكل تواضع الى حضيرة الملحون ، أو الى طائفة "حمادشا" أو "عيساوا" ، فيحفظ ، ويحفظ ، ويحفظ .

الى أن يتمكن من الاوزان الخارجية ، والايقاعات الداخلية ، ويتعوف على طبيعة العمل في هذا الوزن أو ذاك ، وسرعان ما تبدأ المفاجآت إذ ينشر بين الناس إبداعات يعرفون شكلها ، ولكن لا عهد لهم بمضامينها
فالناس مثلاً كانوا يعرفون وزن قصيدة يامنة .

☆ قُولُوا يَا مَنَّا تَهْلِيلُ الْعُتْمَانِ ☆ مِينَا يَا مِينَا مَعَكَ شَرَعٌ ☆ **الله**

فَعِنْدَمَا جَاءَتْ .

☆ جَادَ الزَّمَانُ وَاسْتَبَشَرَ قَلْبَ الْهَائِمِ ☆ وَتَحَلَّ بِالسَّعْدِ حِينَ صَابَ مَنَّا ☆

للإمام الحراق تغنو بها على نغمات لمن يامنة للمصمودي ، ومن دون أدنى صموية بل هو يسر هذا الوزن أكثر بتصريف يعرفه أهل الملحون ، ولا مجال للحديث عنه الآن إنما الشيء الذي لا عهد لهم به ، هو بعض معاني القصيدة مثل قوله .
مُرَادُ الْمُرِيدِ يَا مَنَّا الْقَاءُ الْقَاءُ فِيهِ وَمَعَاةُ أو عندما يقول مَنِّي لِي عَادِيَانِ سَرَّ خَفَاءُ على كل أصبحت لنا مدرسة رابعة هي مدرسة الحراق ومن روادها بعده ، "الازموري" "مريفق" "السي اسماعيل" سيدي إدريس "لهويتر" ، وغيرهم وغيرهم ، وبعد قصيدة "الاستبشار" أختتم إبداعات هذا الغرض ، بذكرى عيساوية لنفس الشاعر ، وهي بعنوان "الاستذكار" ، وأهيب بعشاق الشعر الصوفي الرفيع لا في حضيرة الملحون ولا في طائفة عيساوا ، ولا في طائفة حمادشا ، أن يحفظوا شعر الإمام الحراق وأن يتواجدوا به ، ليس فقط قصد إحياء الذكرى ، أو العرمان بالجميل ، ولكن لانه غرة الشعر المغربي الشعبي في البعد الصوفي على الإطلاق .

قليدة الأستاذكار من فلام الطرحوم محمد الحراف

☆ صَافِي الْحَبِيبِ تَصَفَّرَ بِنَهَا الْأَنْوَارِ ☆ وَتَحَوَّزَ مِنْ شَعَاءِ يَمَّارَا ☆

☆ بِهَا تَنَالَ مَا بَيْنَ الْخَلْقِ اسْرَارَا ☆ وَتَصَيَّرَ لِلنَّفُوسِ مَهَارَا ☆

☆☆☆

☆ ذَكَّرُوا حَقِيقَ الْقَلْبِ نَوَا ☆ يَشْفِيهِ مَنْ سَقَامَ وَفَامُوا ☆

☆ وَيَصَيِّرُوا بَغِيرَ السُّسُوَا ☆ وَيَلْدُ لَوْ فَجِيرَ امْنَامُوا ☆

☆ فِيهِ الْوَجْدُ كَلَّو يَضُوَا ☆ مَنْ غَاسَقَ الْهَوَى وَظَلَامُوا ☆

☆ يَا سَعْدَ مَنْ مَسَا يَخْلَعُ فِيهِ اعْدَارَا ☆ وَيَدُورُ وَسَطَ قَلْبِ الدَّارَا ☆

☆ يَنْشُدُ عَنْ حَبِيبٍ رَأَيْقُ الْأَشْعَارِ ☆ وَالْقَوْمَ مِنَ الْعَشَقِ اسْتِكَارَا ☆

★ يَا مَنْ ابْتَاوْصَالَ حَبِيبُـــو ★ افْتَا تَشْوَفْ تَوْرَ الحَضْرَا ★
 ★ وَغَلَا طَى لَانْكَوَانْ تَحْيِيُـــو ★ يَفْتِيكَ عَنْهُمْ ابْتَطَلُـــوَا ★
 ★ مَنْ كَانَ دَالْحَبِيبِـــو نَحْبُو ★ مَنْ كَلْ بَاسْ حَالُو يَبْرَا ★
 ★ شَمُوسْ فِي اعْمَاقُو تَشْرِقْ وَاقْمَارُ ★ وَتَجِبْ كُلْ وَقْتْ بَشَارَا ★
 ★ مَنْ نَالْ صَدَقَ الْمَحَبَّا يَحْضَرَا ★ يَمْسَى فِ : كُلْ حَالْ مَنَارَا ★

☆ ❁ ☆

★ يَزُوقْ فِ : الْمَحَبَّا حَالُـــو ★ وَيَبَانَ فِي اَوْصَافْ اِيْمَانُو ★
 ★ وَيَشَاهِدُوا النَّاسَ جَمَالُو ★ وَالْوَحْفَاةَ طُولَ زَمَانُو ★
 ★ يَتَّفِقْ عَلَى الْحَبِيبِ اَمْوَالُو ★ وَيَزِيدُ مَهْجَتُو وَيَدَانُو ★
 ★ دِيمَا تَرَاهُ بَيْنَ اُورَادُ وَاذْكَارُ ★ عَنَدُو فِ : كُلْ وَقْتْ عَمَارَا ★
 ★ يَخْشَى تَفُوتْ عَنُو لَحْظَتْ بَشَارُ ★ وَيَضِيعُ لَوِ الْعُمْرُ خَسَارَا ★

☆ ❁ ☆

★ وَاللَّيْ لَيْبِ فَاطِنُ يَا صَاحُ ★ يَسْنَى فِي صَلَاحْ مَقَامُو ★
 ★ وَيَبُوحُ بِالْفَرَامِ اَوْبَرْتَا حُ ★ مَنَّ كَيْدَ الرَّقِيبِ وَمَلَامُو ★
 ★ هَذَا الْهَوَى صَنِيعُ اَوْ قَضَا حُ ★ يَشْعَلُ فِ : الْقُلُوبُ ضَرَامُو ★
 ★ بِهَ الْعَشِيقُ يَتَكَلَّبُ فَوْقَ جَمَارُ ★ وَلَا تَفِيدُ فِيهِ احْزَارَا ★
 ★ لِيلُو فِي غَرَامُو يَفْنَا وَتَهَارُ ★ وَمَحَبَّتْ الْحَبِيبِ اَنْجَارَا ★

☆ ❁ ☆

كان يودي أن أصيب ، لهذا الشيخ العليل على الأهل ذكرنا حمدوشية ، وأخرى توابية ، إلا أنني لا أزال في العرض الأول .
 وإمامي تسعة أغراض أخرى ... فمعذرة .

الغرض الثاني من أغراض المحزون " المدح "

قال شيخنا لصيبر رحمه الله: عرفت على حمى الآ... ذلك ما مضى في شهر مارس من سنة...
أخصر قصائد المدح في الشعر العربي...
إلى أربعة أخماس هذا العدد هي سيد الكرم عليه أفضل الصلوات وآخر...
...
والضلال وهجرته إلى المدينة، وجهاد الرعيل الأول في سبيل الله، وتحت لواء رسوله
معجراته صلى الله عليه وسلم...
وسلم، إلا وتشمل أربعة أخماس قصائد هذا الغرض وسراياته.

أما الخمس الخامس فهو ذكر سيدنا الأكرمين والطفه برؤسنا وحبيهم...
بن جبل، وخالد بن الوليد، بل ويشمل هذا الغرض حتى سائر الأولياء...
وما يأتونه من خوارق العادات... كل ذلك يسمى بكل بساطة: " المدح ".

سئل العبداني بقوله: ما حبه في محضر شريعة...
الصالحين إلى أن قدح في شعرنا...
حاجه إلى تصنيف...
المدح النبوي...
وأما يبقى مع القصائد...
جهة ثانية. إنما قبل ذلك لا بد من وقفة تأمل ولو قصيرة. يقول الشريف بن علي ويحق:

أمدح النبي من أحب المدحون...
...
المدح النبوي...
...
الذي أجمع عليه...
...
الكرام، هو الملهم لهذا المدح، بل هو نبع هذا المدح.

يقول الكتوب:

حب سيدي من حب سة كيف...
...
من هذا المنطلق ينطلقون، ومن وحيه يكتبون:

يقول المصمودي :

- ★ مَنْ "الْكُمَيْت" الْمَادِحُ النَّبِيَّ شَعَرُوا كَأَنَّهُمْ
 ★ لِلْسَّيِّدِ "حَسَّان" الْفَضِيلُ وَشَعَارُو كَأَنَّهُمْ رَاهَا
 ★ فَ : الضِّيْ أَوْفَ : دَجَاهُ
 ★ "الكعب بن زهير" لَيْسَ يَخْفَى وَلَوْ نَخَفِ
 ★ لِلْمَاهِرِ "مَهْيَار" أَوْ قَصَائِنُ فَ هَلِ الْبَيْتِ انْشَاهَا
 ★ شَوْقُو لَيْسَ خَفَاهُ

ويقول الحاج أحمد الغرابلي

- ★ مَدَاحِجُ الْمُخْتَارِ فَالضِّيَا وَعَقَابُ الدَّيْجَانِ
 ★ نَعْمَ الْمَرْحُومِينَ
 ★ تَمْثِيلُ ابْنِ زُهَيْرٍ مَا خَفَى وَالسَّيِّدُ "حَسَّانُ"
 ★ وَأَبْنُ الْفَارِضِ "الْفَائِزُ" الَّذِي جَادَ عَلَيْهِ الْغَانِي
 ★ وَمَدَحُ زَيْنِ الزُّيْنِ
 ★ وَالْجَزُولِي "دَلِيلُ وَرْخُوفِ صَلَاتِ الْعَدْنَانِ"
 ★ وَالْبُوصَيْرِي "خَلَّلَ شَوَاهِدَ الْهَمْزِيَّا تَرْضَانِي"
 ★ وَالْبُورْدَا قَبِيحِينَ

فأهل الملحون إذن يعرفون تاريخ المديح النبوي ،إبتداء من حسان بن ثابت ، وكعب ابن زهير ، وهما من المخضرمين ، الى قصائد مهيار في آل البيت الى ميمية ابن الفارض ، وبرة البصري وهمزيتة ، الى دلائل الخيرات للجزولي وهذا يكفي ولعل التلميح في هذا المجال يغني عن التصريح نبذاً للنصوص الكاملة التي اخترنا لهذا الغرض بصوفية امتيرد المراكشي في حب الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

حُبِّ حَبِيبِ الرَّحْمَنِ	خَمَرْنِي يَا خَمْرَانُ
وَسَقَانِي بِالْجَرِيَانِ	يَا مَحَلَّاهُ بَحْرَ جُونِ
خَادَ جَوَارِحِ الْإِبْدَانِ	وَدَعَانِي يَا قُطْرَانُ
تَنْشُدُ قَلْبَ أَوَّلَسَانِ	بَحَلَّوَتْ كُلَّ لُسُونِ
مَنْ فَتَرَقَ بِالْقُرْءَانِ	وَتَجَلَّى عِلَلُ الْإِدْيَانِ
وَعَبَّقَ فِي كُلِّ وَطْنَانِ	طَبِيبُ مَنْ جُونُ لَجُونِ
وَضَحَّ عِلْمُ الْفَرْقَانِ	شَرَحَ أَوْتَفْسِيرَ بَيَانِ
خَشَعَتْ لَوْهَلِ الْإِيْمَانِ	وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنُونِ
جَدَّ الْحَسَنِ وَالْحَسَنِ	كَهَفَ الْجُودُ أَوْ لِحْسَانِ
حُرْمَ الْبَيْتِ أَوْ الْأَرْكَانِ	مَنْ دَعَنْتَ لَهُ حَصُونِ

مُحَمَّدُ صَاحِبُ الْحَقَائِقِ وَالْتَحْقِيقِ السَّابِقُ لِلْعِبَادِ قُضْلُو وَكُمَالُو

جَيِّدٌ وَأَفِيٌّ حَنِينٌ وَمَكْرَمٌ وَشَفِيقٌ السَّاقِي مَنْ الْخَوْضِ كَيْسَانُ مُصَالُو

مِفْتَاحُ الدِّينِ صَادِقُ اقْوَالِ التَّصْدِيقِ يَا هَلْ لَوْهَالِ سَعْدٌ سَعْدِي بُوَهَالُو

مَا خَلَقَ اللَّهُ بَيْنَ الْعِبَادِ أَبْهَالُو

نُورُ الْحَقِّ الدِّيْنَانِ	رُوحُ الرُّوحِ دَالِجْنَانِ
رَحْمًا وَعَقْلًا وَأَهْلَانِ	شَرَعَ الْوَدَدَ الْمَحْسُونِ
تَعْظِيمُ الْقَدْرِ ، وَشَانِ	سَيِّدُ حُجَامِ أَوْ عَرَبَانِ
سَيِّدُ جَمِيعِ الثَّقِيَانِ	مَا حَمَلَتْ بِهِ بَطُونِ
يَوْمَ الْفَزَعِ أَوْ لَفْتَانِ	وَالصَّرَاطُ أَوْ مِيزَانِ

نَسَعَا اللَّهَ الْفَقْرَانُ	عَنِّي لَصْعَابُ تَهْوُونُ
فَاصْلَاتُوْ يَا إِنْسَانُ	كَثُرَ جَهْرُ أَوْكُتْمَسَانُ
مَا فَاصْلَاتُوْ نُكْرَانُ	وَالنَّاكِرُ مَا مَلْعُونُ
هِيَ شَرْبُ اللَّهْفَانُ	هِيَ كَنْزُ اللَّحْقَانُ
هِيَ الْفَرْخُ أَوْ سَلْوَانُ	هِيَ الرَّاحَةُ وَسُكُونُ



طَهْ دَبَابَهَا انْهَارُ تَضْيِيقِ الْحَالِ	فِي يَوْمِ اللَّاتِفِيدِ مَخْلُوقِ انْدَامَا
مَا بَيْنَ لَانْتِيَا وَالْأَفْضَالِ الْأَرْسَالِ	كَابِدَرُ وَسِيمِ حِينَ تَعْظَمُ لِقِيَامَا
أَنَا لَهَا يَفْهَمُونَ طَبِيبُ كُلِّ أَفْهَسَالِ	هَدِي بِشَرِّ نَسَابِ تَقْهَوْ وَسَلَامَا

وَكَمَالِ شَفَاعَتُو مِنْ اللَّهْ أَكْرَامَا

طَبِيبُ يَعَالِجِ الْأَذْمَانُ	وَنَوَى يَشْفِي الْأَبْدَانُ
وَجَبِيرًا لِلْكَسْرَانُ	قَصْدُ كَمَالِ الْمُضْثُونُ
بَحْرُ الْوَدِّ الْهَتَّانُ	مَنْ لَا مَثَلُ سُلْطَانُ
الزَّائِدُ لِلْعَرْفَانُ	مَنْ عَمِلَ لَمْ يَفْهَمُ
الدَّلِيلُ سَرِيٌّ بِالْإِسْرَارُ	رَتَقَ لِلْسَبْعِ امْتِنَانُ
وَيَوْمَ أَحْرَمَ بِالْجَمْعَانُ	صَلَّى وَصَلَّاهُ مَامَانُ
تَمَّ دَنَاهُ الْمُنْتَانُ	لَبَسَاطُفَ : عُلُو الشَّانُ
قَلْبُو يَسْمَعُ يَقْطَعَانُ	بِالْإِسْرَارِ عَمَلُونُ
لَمَّا طَلَعَتِ السَّكَا	كَرَّمُو وَرَجَعَ فَرْحَانُ
لَمَّا سَرَّ وَصَعْدَتِ السَّكَا	فَضَلَ الدِّينَ الْمَصِيُونُ



احْبِيبْ اللهَ لَا تَبِيْ مَثْوٍ مَّحْبُوبٍ السَّابِقُ فَ : وَلِ السُّطْرُ لِّلْعَرَفَانِ
مَنْ قَبْلَ الْمَلِكِ يَزِيدُ خَيْرَاتٍ بِهِ كُتِبَ كَمَا خَلَقَ أَوْ نَشَأَهُ نَعَمَ الْوَحْدَانِي
عَرَفُوهُ أَوْ كَذَبُوهُ وَجَعَلُوا هَلْ لَكُتِبَ وَأَشْ يَجْعَلُوا فَ طَلَعَتْ الْبَدْرُ السَّانِي

لَوْلَا مَا يَكُونُ شَيْءٍ مِنَ الْاَكْوَانِ

هُوَ مَحْطَمٌ الْاَوْتَانِ عِنْدَ اللهِ مَالُ ثَانِ
لَوْلَا فَضَلُوا لَا كَانَ فَارَغَ وَلَا مَشْعُونِ
دِينِ الْمَوْلَى قَدَسَانِ وَنَاشَرَ بِالْبَيَانِ
وَجَعَلُوا هَلْ الْاَوْتَانِ هَرَمُوهُمْ هَلْ لَسْتُونَ
الْوَصِيَّتِ الْبِيزَرَانِ اِيَعِيروْ لِي جَنَحَانِ
وَقَدَفَ بِالطَّيْرِ رَأً وَلَحِقَ بَيْنَ مَرْدِنِ
حَتَّى تُوَصَلَ الْاَمَانِ وَتَقُولَ بِلَا تَوْنَانِ
دَاخِلَ حُرْمِكَ خُوفَانِ مَدَاخِكَ عَنْهُ هُؤُونِ
لَعَقْلَ حَايِرٍ هَيْمَانِ وَتَسَاهِي غَفْلَانِ
وَالْعَمْرُ مَضَى خُسْرَانِ طُولَ حَيَاتِي مَدْيُونِ

☆☆☆

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ قَدَمًا يُذَكَّرُ وَمَا فِي عِلْمٍ مَنْ تَجَالَى بَنَوَامُو
بِهَا نَفْتَحَ وَنَخْتَمُ حَلَّتِ الْاَسْمَارُ تَتَوَيَّرُ وَسِرٌّ مِنَ الْمَبْدَأِ لَتَمَامُو
هِيَ الرُّسْمَالُ وَالْفَضْلُ هِيَ التَّحَرَّارُ بَرَكًا وَزَكَاةً لِمَنْ قَوَا عَشَقَ غَرَامُو
غَدَا يَوْمَ النُّشُورِ بِهَا نَرْحَامُو

يَا رَبِّي بِالسَّبْطَانِ وَالْفُرُوقِ أَوْ عُمَّانِ
وَبِمُوسَى بْنِ عَمْرَانَ وَسَلِيمَانَ وَهَارُونَ
يَوْمَ الرُّمُسِ أَوْ الْاَكْفَانِ بَيْنَ الْمَلَكَيْنِ اثْنَانِ
تَبَتُّنِي فَ: السُّوْلَانِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَقْتُونِ
وَالْوَالِدَ وَالصَّبِيَّانِ وَهَلْ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ
يَا غَاثَ الْعَصِيَّانِ غَفَرَ خَطَايَا وَذِيُونِ
الْجِيلَالِي سَتَعَانِ بِكَ اَعْلِيكَ التَّكْسِلَانِ
وَالْعَادِحَ مَا يُوهَانَ عِنْدَ رَوَا حُو مَضْمُونِ
وَسَلَامَ لِهَلْ الْاَوْزَانِ وَالْفَقْهَاءَ وَالْعُرْقَانِ
وَعَلَا الشُّرْفَا تَبْجَانِ هَلْ لَفَرَايِضَ وَسُنُونِ



هذه إحدى غرر المدايح النبوية في الشعر الملحن ، وهي للشاعر الفحل الجليلي امتيرد المراكشي ، وقد سبق القول أنه كان في عصر السلطان العلوي سيدي محمد

صَلُّوْا عَلَا الْعَدْنَانِ مَنْ جَانَا بِالْيَتَانِ
نَمَجْدَ مَوْلِ الْفَرْقَانِ طَهْ مَقْتَا حِ الْكُونِ

جمع "متيرد" في "مداحيته" هاته بين مكرمات رسول الاسلام :

مُحَمَّدٌ صَاحِبُ الْحَقِّ بَاقٍ وَالْتَحْقِيقُ السَّابِقُ لِلْعِبَادِ فَضْلُو وَكَمَالُو
جَيِّدٌ وَأَفْسَى حَنِينٍ وَمَكْرَمٌ وَشَفِيقٌ

وبين محاسن هذا الدين الحنيف :

طَبَّ يَغَالِجُ الْأَذْهَمَانَ وَدَوَى يَشْفِي الْأَبْـدَانَ
وَجَبِيرًا لِلْكَسْرَانِ قَصْدُ كَمَالِ الْمُظَنُّونِ

جمع بين حبه للنبي الكريم :

حَبِّ حَبِيبِ الرَّحْمَنِ خَمْرِنِي يَا الْخَوَّانِ
وَسَقَانِي بِالْجَرِيَانِ أَمْضِلَاهُ أَبْحَرَ جُونِ
خَادَ جَوَارِحِ الْأَبْدَانِ

وبين خوفه أن لا يكون في مستوى هذا الحب :

لَعَلَّ حَايِرَ هَيْمَانَ وَتَأْسَاهِي غَفْلَانَ
وَالْعُمُرُ مَضَى خُسْرَانِ طُولُ حَيَاتِي مَدْيُونِ

إنما يعود فيستبشر ويبشر : أليس هو الشفيع ؟ نعم

هُوَ دَبَابْنَاهَا أَنْهَارُ يَضِيقُ الْحَالَ فِي يَوْمِ الْمَلْأِ تَفِيدُ مَخْلُوقُ أَنْدَمَا
مَا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَفْضَالِ الْأَرْسَالِ كَبِدْرُ وَسِيمِ حِينَ تَعْظُمُ لِقِيَامَا
أَنَا لَهَا يَقُولُ طَيْبُ كُلِّ أَفْعَالِ هَذِي بَشْرَانَا بِالْعَفْوِ وَسَلَامَا
وَكَمَالِ شَفَاعَتُو مِنَ اللَّهِ خَرَامَا

ويختم بالصلاة على النبي الكريم ... وقد سبق أن قال في المقطع الثاني :

مَا فَ صَلَاتُو نُكْرَانِ وَالنَّكَرَهَا مَلْعُونِ

وهذا رد صريح واضح على الذين كانوا يروجون لطروحات الفكر المعزز لي المطرف في عصره ، وإن دل هذا البيت على شيء ، فإنما يدل على تصوف امتيرد في حب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم

من الجيلاني متيرد الى الجيلاني الحقيقي

نَارُ الْبَيْنِ اللَّيِّ كَدَاتُ بَيْنِ ضَلُوعِي وَسَقَايِ
هَيْجَهَا قَبْلَ الصِّيَامِ فَ . اَعْضَايَا رِيحِ أَشْوَاقِي
وَالْمُهْجَا وَالْدَّاتُ حَارِقَا وَتَرَكَ رُوحُ الدَّاتُ شَائِقَا

مَنْ شَوْقِي هَلُو دَمُوعُ عَيْنِي فَ : الْخَدَّ اسْتَوَاقِي
وَالنُّومُ احْلَفَ مَا يَرُومُ جَفْنِي ضَيَّ أَوْ اغْسَاقِي
شَلًّا مَا قَاصِيَتْ فَ : الْمَحَبَّ وَالشُّوقَ وَيَاقِي
هِيَ عِنْدِي عَزَّ مَنْ الرُّوحُ اللَّيُّ بِهَا بَسَاقِي
وَحُسْنُ مَنْ مَالِي امْعَا اهْلِي وَاحْبَابِي وَارْقَاقِي
وَحَلَا مَنْ شَهْدُ الْجَبَاحِ ، وَطَيْبُ فِي قَلْبِ اعْمَاقِي
لَايَنْ قَدَرُ اللَّيِّ اعْشَقْتُ عَالِي وَعَظِيمُ وَرَاقِي
قُوْتُ الرُّوحِ ، وَثَوْرُ اللَّبْصِيرَا وَضِيَا لَمَاقِي
تعرفنا على "محبوب" الجيلالي امثيرة ... من أول جملة في قصيدته :

حُبُّ حَبِيبِ الرَّحْمَانِ خَمْرُنِي يَا خَوَانُ

لكن "محبوب" الجيلالي لعقيقي مر المقطع الاول بكامله ولم نتعرف عليه كل ما في المقطع هو وصف لما يعانيه من هذا الحب الذي لازمه قبل اصيام أي من صباه وأن أقصى ما يتمناه هو ساعة لقاء وأن ساعة اللقاء هاته أعز من الروح ، وأغلا من القل وأحب من المال والاهل والاحباب والرفاق وأحلا من العسل ، وأطيب من كل نسمة عطرة ويختم المقطع بقوله :

لَايَنْ قَدَرُ اللَّيِّ عَشَقْتُ فَا لِي . وَعَظِيمُ . وَرَاقِي
قُوْتُ الرُّوحِ ، وَثَوْرُ اللَّبْصِيرَا ، وَضِيَا لَمَاقِي
أَعْطَيْتُ الْبَيْعَةَ الْمَالَكِي وَعَلَا حُسْنُ اتْفَاقِي
غَيْرَ أَنَا وَاللَّهُ وَالسَّنَا مَنْ طِيفَ الْيَشْرَاقِي
امْتَرَجُ طَبْعِي امْعَاةَ وَظَهَرَ سَرُوفُ خَلَاقِي
يَعْدَلُ أَوْ يَجُورُ هَذَا الْعَصْرَ حَسْبِي رُونَاقِي
مَنْ لَا ذَاقُ امْحَبَّتُو شَقَا
مَنْ سَرُوْ الاسْرَارُ دَافَقَا
عَاهَدْتُو بَعْهُودُ وَأَتَقَا
كَانَتْ بَيْعًا حَقَّ خَارَقَا
وَأَفَقْنِي جَلَّ الْمَوَافَقَا
وَسَعَادَاتُ رُوحِي الرَّايَقَا

عندما يصل الانسان الى هذا الحال من التجريد ، يصير حقا من الصوفية الكبار ، ولا أقول المتصوفة

يَعْدَلْ أَوْ يَجُورْ هَذَا لَعَصْرٌ " لا يهم - حَسْبِي رَوْنَاقِي - وَسَعَادَتُ رَوْحِي الرَّايِقَا

على كل حال القصيدة أكبر بكثير من أن تحلل في جزء من كتاب والملحون على القارئ الكريم ، أن يقرأها بحضور تام ،... فماذا باستطاعتي أن أقول عن هذا البيت ٩ ...

غَيْرَ أَنَا وَاللَّهُ وَالسَّنَا مَنْ طَيْفُ الْيَشْسَرَاقِي كَانَتْ يَبْعَا حَقَّ خَارَقَا

والبيت الذي يليه :

امْتَزَجَ طَبِيعِي مَعَاهُ وَظَهَرَ سِرُّهُ فَ : خَلَاقِي وَأَفْقَنِي جَلَّ الْمَوَافَقَا

هنا لا أحلل القصيدة كما ينبغي التحليل ولا أتعامل مع النقد وفق أصوله ومناهجه بل أكتفي بإشارة هنا وأخرى هناك وأمر مر الكرام على كل المواطن التي تحتاج في تحليلها الى صفحات وصفحات لان طبيعة الكتاب لا تحتل ولان المدائح الحمديدية الملحونة تحتاج الى مجلدات ومجلدات ، وليس الى عشر فصل في كتاب

وَتَمَامُ مَنَايَا وَغَايَتِي وَنَهَايَتُ تَرَيَاقِي وَكَمَالُ النُّعْمَا الْأَحْقَقَا

العطفَا لَمَدَاوَمَا بَجُودِكَ تَشْرِقُ ف غَسَاقِي شَمْسُ الْحَقِّ اَشْرُومُ شَارَقَا

لاشك قد لاحظت - عزيزي القارئ - هذا الالتفات المفاجئ من ضمير الغائب الى خطاب الحاضر يسمونه في حضيرة الملحون "تنبيه اللي غفلوا" وربما خصصنا له فقرة أو فقرتين في الفصل الذي نخصصه لفنون البلاغة في فن الملحون

إِلَى يَتَجَلَّأُ بِهَآكَ كَانَفَقِي فِي تَمَحَاقِي بِشَعَاعِ اَنْوَارُ الْخَارَقَا

وَلَا نَحْجِبْتِي بِتِيهِ عَقْلِي وَبِهِيْجُ حَمَاقِي وَنَهِيمُ ف بَحُورُ غَامَقَا

حَطِيتُ حَمُولِي ف : بَابُ عَطْفِكَ مَنْ فَوْقَ اِنْيَاقِي لَايْنُ بَتَقْلَهَا الْوَاسِقَا

كَلَّتْ وَيَعَادُ الْمَسِيرَمَا بَيْنَ ضَعْفَانِ رَفَاقِي وَمَسَارِبُ لِحَيَاتِ خَانَقَا

فِي بَابِ حَمَاكَ الْعَظِيمِ دَقِيتُ وَتَادُ وَتَاقِي بِالسَّكِينَا وَالْمَلَايِقَا

وَجَعَلْتَ هَوَاكَ الْعَظِيمِ دُكَّارُ الْفُصْنِ وَرَاقِي وَتَمَارُ نَوَاحِي الْبَاسِقَا

انهينا المقطع الثاني وبدأنا في الثالث ولا يزال لا يتحدث عن حبه الكبير هذا الا بالاشارة والتلميح

سَقَانِي لَمَدَامَ ذَا الْمَحَبَّةِ أَمَامَ مَنْ سَاقِي صُهْبَا مَخْتُومَا امْعَتَقَا

خَمَزٌ قَدِيمٌ بَلَا عَصِيرَ مَا يَتَشَرَّبُ بِغَرَاقِي
يَسْرِي سَرِي الرَّاحَ فَ: العَضَا وَطُلُوعُ السَّرِيَاقِي
لَمَحَبًا تَفْنِي رُسُومَ ذَاتِي هَذَا تَحَقُّقًا قِي
بَرْدِيَا "تَاجُ الْكَرَامِ" صَهْدٌ مَشَاهِبُ تَحْرَاقِي
وَسَقِينِي حَتَّى نَشَاهِدَ الْمَتَّحِبَ فَ: رَوَاقِي
تَنْسَى مَا عَانَيْتَ مِنْ مَرَايِرَ فَ: عَذَابُ فَرَاقِي
بُجُودُ الْعَطْفِ اسْعِيدِ وَطُلُوعُ بَهَاكِ الرَّاقِي
بَعْدَ خَفِيَّتِ هَوَاكَ فَ: العَضَامَا نَافِعُ تَضَرَّاقِي
وَسَفُورَتُ لُونِي مَعَا نَحُولِي وَسَهِيرُ غَسَاقِي
رَحْمًا رَسَلَكِ رَافِعَ السَّمَاءِ لَجَلِيلِ الْخِلَاقِي

بِهَ أَفْضَلُ أَلِ الْقَوْمِ تَنْسَقَا
رُوحِي وَأَبْدَانِي امْحَقَّقَا
وَالْمُهْجَا بِالْحَقِّ حَاقَا
بَاكُوبِ الْخَمَرَا الْعَاتَقَا
تَفُوزُ بِطَيْبِ الْمَعَانِقَا
فِي لَحْظَا فَنَّا مَرُوثَقَا
يَا نَسِيدَ مَنْ سَادَ وَرَثَقَا
وَتَوَارُوفَ: الْقَلْبِ عَامَقَا
مَنْ حَالِي لِحَبَابِ شَافَقَا
بَشْرِيْعَا كَشَمْسِ شَارَقَا

الآن فقط . وبعد أزيد من ثلاثين بيتا كلها رموز وإشارات صوفية محضة كلها تلحيقات شاعرية رائعة كلها حالات شعورية صادقة يعرضها لنا بتعبيرات موحية تؤكد صدق الشعور . الآن فقط يعرفنا بحقيقة المحبوب

رَحْمًا رَسَلَكِ رَافِعَ السَّمَاءِ لَجَلِيلِ الْخِلَاقِي
وَسَرَى بِكَ فَ: لَيْلَتِ السَّعَادَا فَوْقَ الْبَرَاقِي
يَابَحْرَ مَنْ الْجُودِ وَالْفَضْلِ يَا مَحْبُوبَ الْبَاقِي
أَنْتَ مُوَلِّ الْخَوْضِ وَالشَّقَاعَا وَالتَّجَا رَاقِي
وَدَكِ مُوَلِّ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الْحَيِّ الرَّزَّاقِي
الرُّفْعَا .. وَالْجَاهَا .. وَالْعَنَايَا .. يَا هَيَّ رَمَاقِي
وَتَجَلَّ نُورُكَ فَ الْاَكْوَانُ شَغَشَغَ مَنْ كُلِّ أَفْصَاقِ
الْحِلْمِ .. الرَّحْمَا .. وَعَلَّمَ وَاسَعَ .. شَعَفَ: الْاِنْوَاقِي

بَشْرِيْعَا كَشَمْسِ شَارَقَا
وَعَطَاكِ الْحُجَا الصَّادَقَا
مُوَلِّ الْقُدْرَا دَائِمَ الْبَقَا
خَبَّرَتْ بِكَ السُّوْنُ نَاطَقَا
بِمَحَاسِنِ لَبْهََاكَ لَا يَقَا
لَيْلِكَ فَ: الْأَزَلِ سَابِقَا
بَسْرُورِ الْبَهْجَةِ الدَّافَقَا
وَفَضَايِلِ مَا هِيَ مَضْرَقَا

أَنْتَ هُوَ صَاحِبُ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ التَّلَاقِي
يَوْمَ تَكُونُ النَّاسُ غَارِقًا
فَ : بِحُورٍ خَطَاهَا تَفْكَهَا بِأَمْرٍ مِّنْ عَتَاقِي
وَتَخْلِي لِحُسُودٍ شَامِقًا



إِلَى غَابٍ بِهَذَاكَ فِي مَنَامِي وَالْأَلْفَيَاقِي
تَبْقَى رُوحُ الذَّاتِ قَلْقًا
يَتَحَيَّرُ قَلْبِي مَعَا "الْوَجْدُ" وَيَقْضُوا تَقْلَاقِي
وَنَفَاسِي تَمْسِي مَلَا حَقًا
وَشَدَا عَطْرِكَ فَ : الْاَكْوَانُ مَتَوَّكَانِ اسْتِنشَاقِي
فَ : حَذَائِقُ زَهْرِي الْحَادِقَا
شَمِيتُو وَحْيِيَّتْ بِهِ بَيْنَ دَهَمَاتِ الْحَدَاقِي
فَ : غُصَانُ نَوَاحِي النَّايِقَا
قَالَ "الْجِيلَالِي" ابْمَدَحْ طَهَ عَمَرَتْ اسْتَوَاقِي
جَاتِ أَهْلُ الْحَضْرَا امْسُوقَا
رَبِّحُوا بِصَلَاتِ النَّبِيِّ فَضْلَ مَا تَخْصِيهِ اِرْزَاقِي
بِمَعْتَتُو لَعَقُوقِ قَائِقَا
خُذْ اِرَاوِيهَا الْفَاطُ تُوْرِيْلَكَ طَرَزُ مَسَاقِي
فَ : يَيَاتِ رَقِيْقَا وَرَاقِيَا
لِحَقِيْقِي يَهْدِي سَلَامُهَا لَدَهَمَاتِ الْحَدَاقِي
أَوَّلَادُ الزُّهْرَةِ الصَّادِقَا
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْكَ يَا أَمَامَ أَهْلِ الْفَضْلِ الْمُتَاقِي
يَا سَيِّدُ مَنْ فَازَ وَرَثَقَا
يَا تَاجَ الرُّسُلِ حَبِيبُ رَبِّي يَا ضِيَّ اِرْمَاقِي
بِصَلَاتِكَ الْاَنْجَابُ تَرْتَقَا



كان هذا هو النص الكامل للمداحية الصوفية ، وكما كتبها الجيلالي لحفني حاراه الله عن مكبته الملحون بكل خير ولعل القارئ الكريم ، قد لاحظ أنها من نفس النبع الذي استقى منه الجيلالي متيرد .
الاشارات والرموز الصوفية هي هناك ، كما هي هنا التحليق البعيد والعوض العميق هو هناك كما هو هنا حتى المعجزات هي نفس المعجزات ... معجزة القرآن عند امتيرد .

صَلُّوْا اَعْلَا الْعَدَنَ اَنْ مَنْ جَانَا بِالْبَيْتِ اَنْ

وعند لحفني "وَعَطَاكَ الْحُجَّةَ الصَّادِقَةَ" وهي القرآن
معجزة الاسراء والمعراج عند امتيرد :

لَيْلِ سَرَى بِالسَّرِيِّـانِ رَتَفَعَ لِّلْسَبْعِ امْتِـانِ
 وَيَوْمَ حَرَمَ بِالْجَمْعِـانِ صَلَّيْ وَصَعَدَ مَامُـونِ
 تَمَ دَنَاهُ الْمُنْـانِ لَبَسَاطُ فِ : عَلَوِ الشَّـانِ
 قَلْبُو يَسْمَعُ يَقْضِـانِ وَيَنَاطِرُ دُونِ عِيْـونِ

وعند الحقيقي

وَسَرَى بِكَ فِ : لَيْلَتِ السَّعَادَا فُوقَ الْبِرَاقِ

ومعجزة الاخبار به في الكتب السابقة عند متيرد . مَنْ قَبْلَ اللّٰهِ يَزِيدُ خَبَرَتْ بِهِ كُتُبٌ . وعند الحقيقي :
 خَبَرَتْ بِكَ السَّنُ نَاطِقَةٌ

والشفاعة المحمدية يوم الفزع الاكبر ... قال فيها متيرد المراكشي :

طَهَ دَبَابُهَا اَنْهَارٌ يَضِيْقُ الْحَالُ فِي يَوْمِ اللّٰهِ تَفِيدُ مَخْلُوقِ اَنْدَمَا
 مَايُنِ الْاَنْبِيَا وَالْاَفْضَالِ الْاَرْسَالُ كَبَدَرُ وَسِيمِ حِينَ تَعْظُمُ لِقِيَامَا
 اَنَا لَهَا يَقُولُ طَيِّبُ كُلِّ فَعَالٍ هَذِي بَشْرَانَا بِالْعَفْوِ وَسَلَامَا
 وَكَمَالِ شَفَاعَتُو مِنَ اللّٰهِ كَرَامَا

وقال فيها الحقيقي الفاسي :

قَانَتْ هُوَ صَاحِبُ الشَّفَاعَا يَوْمَ التَّلَاقِي يَوْمَ تَكُونُ النَّاسُ غَارِقَا
 فِ : بِحُورِ خَطَاهَا تَفْكُهَا بِأَمْرٍ مِنْ عَتَاقِي وَتَخْلِي لِحُسُودِ شَاهِقَا

بل وحتى الصلاة على النبي الكريم ، للجيلالي الحقيقي فيها ، نفس اعتقاد الجيلالي امتيرد . فهذا يقول ما فِ . صَلَاتُكَ
 نُكْرَانُ وَالنَّكْرُهَا مَلْعُونٌ وَذَاكَ يَقُولُ : بِصَلَاتِكَ الْاَنْجَابُ تَرْتَقَا

أرجو أن أكون قد أحسنت الاختيار . ولو أن من الصعب جدا ، أن يختار الانسان ثلاث قصائد فقط ، من ثمان مائة
 قصيدة في المديح النبوي . نعم يا حصرات القراء ، ثمان مائة قصيدة في هذا الغرض فقط وليس كل الاغراض . أفلا يصعب
 الاختيار ؟

مديح نبوي للشریف محمد بن الوليد

اللازمة:

هَلْ يَأْتَرَى نَلَقَـكَ أَنْ وَتَشَاهِدُ نُورَ بَهَاكَ يَا أَحْمَدُ يَاطَهُ
يَا الْمُصْطَفَى زَيْنَ الزَّيْنِ وَيَا جَدَّ الْحَسَنِينِ

☆☆☆

أَهْ عَلَيَّ بِهَوَاكَ يَا مَنْ رُوحِي ، فَهَوَاكَ عَزَّهَا وَهَوَاهَا
يَا الَّذِي فِيكَ الظَّنُّ أَحْصِينَ وَتَتَّ الْحِصْنَ الْحَصِينَ
سَيِّدِي لَكْرِيمٍ عَطَاكَ وَالرَّحْمَا مَنْ مَعْطَاكَ لِلْعِبَادِ عَطَاهَا
بِكَ إِسْلَامَ الْمُسْلِمِينَ صَحَّ الصَّدْقُ الْمَعِينُ
صَحَّ الْهَدَى بِهِدَاكَ أَنْهَارُ اللَّهِ أَمْدَاكَ لِلْهَدَى وَهَدَاهَا
وَدَّهَا فِي لَيْلَتِ الْاِثْنَيْنِ بِكَ الْمَوْلَى لَحْنَيْنِ
يَوْمَ الْحَقِّ تَوَلَّاهُ أَوْيَا نَوَارُ وَجَلَّاهُ دَرَجَتِكَ عَلَاهَا
شَرْفَكَ وَتَصَرَّ بِكَ الدِّينُ يَا تَاجَ الْمُرْسَلِينَ
وَسَلَامَ اللَّهِ رَضَاكَ وَيَعْمَ الَّذِي يَرْضَاكَ شَوْفَتِكَ نَرْضَاهَا
يَا الشَّافِعَ فَ: الْمَدِينِينَ وَتَخْمُرُنِي فَ: الْحِينَ

☆☆☆

أَبْدَيْتَ فَ: انْشَادِي بِاسْمِ اللَّهِ
نَتَسَجُّ حُلَافَ: النَّسَبِ هَاشِمِيًّا
بِرَزَاتٍ مَنْ شَجِيًّا

بَلِّغْ بِأُظْمَرٍ مُرْتَضِيٍّ
وَقُلْ يَا اللَّهُ مُوَلَّيَا
أَحْسَنْتَ فِيمَكَ ظَنُّ رَجَائِي
أَرْحَمَ جَوَارِحِي وَغَضَائِي
يَا مَنْ رَزَقْتَ الْأَسْمَكَ
وَرَزَقْتَ سَمَكَ الْإِفْ
نَبِّهْنِي لِنَهَاجِ الرِّضَا أَسْأَلُ سَلَاكِي
لِلسَّ لَكَ نَسْلَكَ أَسْأَلُكَ
نَتَوَسَّلُ بِأَسْمِكَ لِيَكْ أَوْبَصَادُ طَلْعِ
وَقَافِ وَالرَّحْمَانِ أَوْسِينِ
وَالْقُرْآنِ الْمُبِينِ

☆☆☆

يَا أَحْمَدَ صَرَخْتَ مِنْ نَدَاةٍ
لَا تَحْرَمُنِي مِنْ شَوْفِكَ الْهَادِي
رَأَاكَ النَّادِي

يَا شَفَاعَ الْعَبَادِي
وَيْلَا نَسْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ
بَلِّسْ بَانِي مَعَكَ انْشَهْدُ
وَقُزُوكَ فِي بَهَاكَ أَوْسَعْدُ

وَنَشْدُ فِيكَ وَتُـرَاكَ
 كَمَا صُنِحَ أَبْكَ اتُـرَاكَ
 يَفْجَأَ بِتُورِكَ ظِلَامَ خُلَاكِي
 وَيَشْرِقُ فِيَا نُورَ ضِيَاكَ
 وَتُصَلِّي مِن مُـورَاكَ
 رُكْعَتَيْنِ نُرَاهَا
 نَصِيْبَهَا يَوْمَ خَلَاصِ الدُّيُنِ
 تَلْقَفُ ذَنْبِي لَمْتِي



مَا حَرَ حَالَتْ بَطْلَاكَ
 عَنْ ضَعِيفِ جَاكَ نَادَاكَ
 مَنْ قَامَ بِالْفَضْلِ وَأَشْ أَنْصَاكِي
 الضَّعِيفُ يَا مُحَمَّدُ لَوْلَاكَ
 مَا تَشْرَفَ عَقْبُكَ
 مَا تَكُونُ نَبَاهَا
 لِلْأَشْرَافِ الْمُقَرَّبِينَ
 وَلَا لِّلْمَسَاكِينِ



يَا الْهَاشِمِي نُورُ الْإِيْمَةِ
 هَلْ يَا مَنْ دَرَا تَلْقَاكَ فِي مَنَامِي
 نَرْتَحِلُ مِنْ سَقَامِي
 وَنَرَى النِّيَامِي

نَظَرَ أَف : صُورَتَكَ لَكْرِيمَا
 فَيَهَا الْبُشْرَى وَغَنِيمَا
 يَا أَبَ لَا لِلْأَفْطَامِ
 كَرَّمَ الْكَسْرِيمَ مَثْوَاكَ
 وَدَفَعَ ذَرْجَ رَاجِ مَثْوَاكَ
 أَنْتَ فَ : الرُّسْكَالَ الزُّكِّي
 وَأَسْمُو مَقْرُونُ بِأَسْمِكَ
 وَالشَّمْسُ ابْنُ سَوْدِ ضِيَاكَ
 شَعَشَعَتْ فَ سَمَاهَا
 مَنْ قَرَعَ بَابَ ظَفَرٍ بِمَنْهَاهُ
 قَضَلَا عَنْ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ جَنُودِ
 حَاشَا يَخِيبُ قَصْدُودِ
 فَ : اللَّيْ بَغَاهُ عَنُودِ
 وَنَتَ يَحْمَدُ لَابِدُ
 تَكْرَمَ حَفِيصُكَ بِمَوَدَا
 مَنْ قَبْلَ مَا تَفُوتُ الْمُدَا
 الْهَرَمَ دَرَكَ الْخُرَاكَ
 وَرَمَا عَقَاكَ الْإِدْرَاكَ
 وَالشَّيْبَ قَامَ جَنُودُ لَعْرَاكِ

وَالْأَغْضَا كَلَّتْ مَنْ الْعَرَاكَ
وَقَتِ الصُّغْرُ الْهَتَّى كَا
فَ : الْوَعْرُ خَا لَاهَا
طَا لَعَا فِي عَقْبَةٍ سَتَّيْنِ
يَا طَهَ بِيْنِ وَبِيْنِ



يَا الْمُصْطَفَى ضَيْفَ الْآلَةِ
رَحْبَ بِي يَا خَاتَمَ الرُّسُلَا
وَقُلْ لِّي تَغِيَا
دَغِيَا بِلَا مِنْهُ سَالَا
نَرَا اَنْوَارَ وَجْهِكَ لَجْمِيلُ
مَعَا جَمْعَالِ خَدُّكَ لَأَسْمِيلُ
وَنَزَى جَمْلَالِ طَرْفِكَ لَكُحْمِيلُ
فَرَحَا وَعِيدُ نَحْكِي وَنَحَاكِي
عَنْ أَمْتِكَ وَالنَّكَاكِي فَ : عَذَاكَ
وَنَصَبَحَ أَمْنُ الْقِيَامَا
مَنْبِي وَقَامَا
خَالِقِي رَبِّ الْعَالَمِينَ
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ



أَمْشُ رَامَنْ لَا شَافَ بِهِ سَاهُ
 كُلُّ مَا نَالَ فَدُتُّهُ وَخُسَارَا
 لَا مَالٍ لَا تَجَارَا
 وَلَا يَلُو عَمَارَا

سَعْدَاتُ مَنْ شَفَاوَا ابْصَارُو
 فَجَمَالُكَ أَحْمَدُ وَأَنْوَارُو
 دَارُ الْكَرَامِ هِيَ دَارُو
 نَعْمُ الْعَظِيمِ صَطْفَاكَ
 سُبْحَانُو وَتَبَّكَ
 وَأَنَا فِي سَكُونِي وَحَرَاكِي
 نَرْتَجِي عُمْرِي مَا نَخْطَاكَ
 نَصْبَحُ وَنَسْرُوحُ مَعَكَ
 رَاحَتِي كُلُّهَا
 فِيكَ .. عَادَ الزَّادُ أَوْلَعُودِي
 عَمْرًا مِنَ الْوَالِدِي

☆☆☆

زَانَتْ اسْمَاوَاتُ أَوْ أَرْضِي
 بِكَ أَسِيرُ دُتُّ لِي

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَقَدْ رَسُـوِلُ اللَّهِ يَا الْمُخْتَارُ
مَنْكَ نُورُ الْأَنْوَارِ
وَقَدْ سَيِّدُ الْإِبْنِ رَارُ
أَنَا دَخِيلُ لَيْكَ بِقَفَا الْقُدْرَا
وَعَيْنُ عَزْ صَحَابِكَ عَشْرَا
وَبُو الْفَضْلِ وَفَا طَمَّةُ الزُّهْرَا
وَلَا مَ لَمَ لَمَ لَمَ لَمَ لَمَ لَمَ
الْقِسْرَابُ عِنْدَ مُسْوَلَا
هَذَا أَنَا وَأَقْفُ فَا : بِابِكَ شَاكِي
رَكْتُ يَا مُحَمَّدُ فَا حَمْلَا
فَادِي رُوحِي بِفِي ذَاكَ
مَنْ يَدِي مِنْ عَذَابِهَا
نَفْسُهَا وَهَوَاهَا لَخْشِيرِينَ
وَالشَّيْطَانُ أَنَّ اللَّعِينِينَ

☆☆☆

خِيَارُ كُلِّ مَا تَتَمَنَّى
مَنْ هَذَا الدُّنْيَا جُودُكَ الْعَرَبِي
مَنْ ذَاكَ حَدِّ رَغْبِي

يُغْفَرُ بِسَبِيحَةِ ذَنْبِي
سَيِّدِي اَنْدُوزْ فَ حَمَّانْ
بُشْنُورَا مَنَّاينْ نُسْرَاكْ
خَذُّ يَا رَاوِي سَرِّ اللّٰهْ
وَتَأْمَلْ فَ : كَلَامِي وَقَيْسْ وَجُولْ
هَذَا الْحَدِيثُ مِنْهُ قَوْلْ
عَنْ مَلِكٍ لَعَنَ قَوْلْ
الَّذِي أَنْتَ الْيَسِيبُ وَعَاقِلْ
خَضَعَ أَوْتَسَادْبْ وَمَتَّاعِلْ
حَتَّى تَقَالَ قَصْدُكَ كَامِلْ
وَحَكِيمِي عَلَامَنْ صَنَافْ
وَاللَّيْ جَاوَسْقَصَاكْ
أَنَا اسْمِي أَفْ رُمُوزْ "كُنَابُكِي"
وَعَتَبَرْتَ الْكُنْيَا : "فَجَاكْ"
اِيَكْفَاكْ اِيَسْرَاكْ
اِنَّهَآ وَلَا "هَآ"
وَالسَّلَامُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَعَلَى الْمُجَاهِدِينَ

لا أعلم على وجه التحديد و أهو الانس بالرسول جعله يشطح مثل هذه الشطحات ؟ أم هو تدلل الحفيد في أحضان جده الحبيب

وَنَّتْ يَا مُحَمَّدَ لِأَبْنَدْ

تَكْرَمَ حَفِيدَكَ ابْنَمُودَا

☆☆☆

رَحْبُ بِي يَا خَاتَمَ الرُّسَالَا

وَقُلْ لِي تَعَالَا

دَغِيَا بَلَا مَهَالَا

☆☆☆

وعلى رأى الحاج محمد بنعمر المراكشي "شريف مختار" كيف ما كالهـا يقبلها جنو إن شاء الله
تعرف هذه القصيدة باسم "الهاشمية" ، لان كاتبها قال :

نَنْسَجُ حِلَّةَ ف : "النَّسَبِ" هَاشِمِيَّةً

أهو تذكير "بهاشميات" الكميـت ، وما قال فيها عن آل البيت اوقوله :

هَذَا الْحَدِيثُ مَنْقُولٌ

عَنْ مَلُوكِ الْعُقُولِ

أولا يعني أولئك الذين مدحوا الرسول في حياته ، والذين أثنوا عليه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، والذين دافعوا عن آل بيته ؟

فمدائح حسان ، وبانت سعاد لكعب ، وبانية دعل في آل البيت ، وقصائد الشريف الرضى في صريع كربلاء ، وقصائد مهيار ، ومبمية ابن الفارض ، وبردة البصري وبديعية ابن حجة الحموي ، ومدائح ابن نباته ، تزامم قصائد الملحون في مخطوطات ، وتقابيد ، وكتانيش المكتبات الخصوصية لمعظم "الخرانا" أي رواة الملحون

بل أن فقرات طويلة من خطب الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه نجدها في المخطوطات الملحونة كمقدمات لقصائد معينة مثل "عريس الجنا" "انقافح" "اشباب الغساني" "العرقاويا" "الشافي"

فمثلا في مخطوط "الهاشمي" بوشعرة "السلوي" . وقد وجدته في حوزة الحاج محمد بنفانم . لازمة "العرقاويا"

رِيحِي وَسُرُورَ الْقَلْبِ وَالْمَنَا حُبَّ عَظِيمِ الْجَاهِ مَوْلَ الْحُلَا وَالْتَّاجِ يَا الْغَافِلَ كَثُرَ فَا : صَلَاتُوْ

صَلَّى إِلَهَ عَلَيْهِ

حَالِي لَا حَالًا مَن فَرَاقَ سَيِّدِي رَسُولَ اللَّهِ أَمَضْرًا يَا رَبِّي انْشَاهِدْ مَقَامَ شَفِيعِ امْلُتُوْ

قَلْبِي شَاقِقَ لِيْهِ

وبعدها مباشرة أي قبل بداية القصيدة ، نجد هذه الفقرة من خطبة للامام علي كرم الله وجهه

أرسله على حين فترة من الرسل ، وطول هجمة من الامم ، واعتزام من الفن ، وانتشار من الامور ، وتلظ من الحروب ،
والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور ، على حين اصفرار من ورقها وإياس من ثمرها ، وأغوار من مانها ، قد درست منار الهدى
وظهرت أعلام الردى ، فهي متجهمة لاهلها ، عابسة في وجه طالبها ، ثمرها الفتنة ، وطعامها الجيفة ، وشعارها الخوف
ورثاها السيف وبعد هذه الفقرة مباشرة نجد النصف الكامل لقصيدة العرفاوية

بل أننا نجد في بعض المخطوطات للعربي المكناسي مدائح نبوية ملحونة تتخللها أبيات فصيحة ، ولعلها كانت تستعمل
كمواويل للترويح بين كل مقطع وآخر :

والكون لم تفتح له أغلاق

أثنى على أخلاقك الخلاق

يا مصطفى من قبل نشأة آدم

أيروم مخلوق ثنااك بعدما

☆☆☆

طمعت في أن تــــراكم

- جعلت نفسي فــــداك -

قــــد رأى من قــــدراك

بعدت همة عــــين

أوما يكفي لعينــــي

أن ترى من قد رأى من

☆☆☆

وضمخ لسان الذكر منك بطيــــه

علامة حب الله حب حبيــــه

ألايا محب المصطفى زد صبــــابة

ولا تعبأن بالمبطلين فإنمــــا

☆☆☆

الغرض الثالث :

"لوصايات" أو "لوصيات" وهي قصائد كثيرة ومتنوعة ، منها ما هو ديني كالقصائد التي تنطلق من حديث جبريل المعروف بالاسلام ، الايمان ، الاحسان ، وتركز على الكتاب والسنة ، ومنها ما هو اجتماعي يشمل سائر الاخلاق والواجبات ويعتمد على التجربة والملاحظة

غير أن هذه القصائد منها ما يوجه للمجتمع بصفة مباشرة كقول "بنعلي" :

لَلّهِ يَا ابْنَ الدُّنْيَا خُذْ وَصَايَتِ الدَّهَاتِ الَّتِي مَرَوِيًا

قُلْ مُؤْمِنَ لِيكَ نَظْمَهَا وَخُوكَ فَ : اللّهُ

ومنها ما يخاطب فيه الشاعر نفسه :

يَا هَذَ النَّفْسُ الَّتِي مَجَّرَعَانِي كَيْسَانُ النَّاسِ

رَجَعِي بِي مَا حَدَّثَنِي لَدَابَا مَا قَاطَعَ يَاسُ

أو يخاطب قلبه "قَلْبِي يَا قَلْبِي تَبْ وَانْتَهَى مِنْ لَهْوِكَ وَرَمِيَّة"

أو يخاطب شخصه "أُرَاسِي نُوصِيكَ يَا الزَّائِدُ تَعْبِي وَشَقَايَا"

وهكذا يكون التوجيه والنصح بصفة غير مباشرة ، وتكون القصيدة وكأنها تجربة شخصية عاشها الشاعر ، وعبر عن إحساسه بها ، وهذه - لعمرى - أروع قصائد هذا المرحل ، وأجبتها الى قلوب الناس فليس فيها أستاذية ، ولا استعراض عضلات ، ولا تسبب للمستمع أية ضلالة أو تحقير..

فالشاعر يخاطب نفسه ، أو يحدث عن نفسه ، والمستمع يستمع .

فالقصيدة في الواقع لا تعنيه لا من قريب ولا من بعيد ، ولكنها هي الحقيقة تفعل في وجدانه ما الله به أعلم .

وقد اخترت من التوجيه الديني قصيدة "الخمس أوقات" باعتبار أن الصلاة عماد الدين ، وأنها أكبر صلة بين العبد وربّه

ومن التوجيه العام الذي يجمع بين الدين والدنيا ، والمجتمع والناس ، قصيدة

لَلّهِ يَا ابْنَ الدُّنْيَا ومن التوجيه الصوفي :

زَاَنُ تَقْلِيدُ وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ

الخمس أوقات للشيخ لحر

يَا رَأْسِي خَيْرَ لَيْكُ ثَبِّ لِمَوْلَاكَ وَعَظَمَ الْقَدْرُ بِالْحَمْدِ وَغَايَتِ الشُّكْرُ

الْحَيِّ الْوَاحِدَ الْمُهَيَّمَنَ مَوْلَ السُّطُورِ الْعَالِيَا

احْمَدَ نَعَمَ الْكَرِيمَ مَوْلَ الْقُدْرَةِ لَمْدَبِّ الْأَمْرِ وَطَلَبَ لَعَفُوِّ مَعَا السُّتْرِ

وَالْعَنَايَا مَعَا الصُّحَّةِ وَالْبَرَكَاتِ الْوَاقِيَا

رَبِّي غَانِي كَرِيمٌ جِيدٌ مُوجُودٌ يَسْتَمَحُّ وَيَغْفِرُ وَيَشَافِي هَوْلَ كُلِّ ضَرٍّ

يَسْلُكُنَا جَمِيعٌ بِالْعَتَقَا مِنْ نَارِ الْهَامِيَا

بِحَاجَةِ هَلِ الصَّفَا وَجَاهِ الْكُتُبِ وَجَاهِ مَنْ ذَكَرَ وَهَلِ الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ

وَجِبِلَ عَرْضَا وَجَاهِ مَنْ دَارُوا عَمَرَتْ كُلَّ زَوَايَا

بِحَاجَةِ شِيَاخِ وَالتَّلَامُذِ وَنَجُومِ الدَّاجِ وَالْبَدْرِ وَالْأُولِيَا هَلِ الصَّبْرِ

وَالشَّمْسِ وَجَاهِ مَنْ تَضَرَّعَ وَهَلِ النِّيَّةِ الصَّافِيَا

سألت شيخني وأستاذي سيدي إدريس العلمي رحمه الله عن معنى "نجوم الليل ، والبدر والشمس" في هذا السياق فاجاب رضي الله عنه "نجوم الداج هم الانتصار والمهاجرين الذين انعكس عنهم نور الشمس ، فاضاؤوا به ليل الحماة والبدر هو الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أما الشمس يرمز بها الى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الْخَمْسُ أَوْقَاتٌ مَنْ حَضَرَهَا بِهَا يَنْجَى مِنَ الْهَمِّ وَنَوْمِ

الْخَمْسِ أَوْقَاتٌ مَنْ رَضِيَهَا بِهَا رَيَّحُوا هَلِ الْعُتُومِ

الْخَمْسُ أَوْقَاتٌ مَنْ قَضَاهَا قَالَ الْمَوْلَى رُبِحْتُ قَوْمِ

الْخَمْسُ أَوْقَاتٌ مَنْ دَخَلَتْ فِي قَلْبِهِ يَنْجَى مِنَ الْمَكْرِ وَالْهَوْلِ وَغَمَّتِ الْقَبْرِ

وَيَنْجِيهِ الْغَنِيِّ الدَّائِمِ مَنْ شَدَّتْ كُلَّ دَاهِيَا

الْخَمْسُ أَوْقَاتٌ فِي شَأْنِهَا كَمْ مِنْ حَدِيثٍ مَشْتَهَرٍ وَأَمَّا مَنْ أَيْ فِي السُّطْرِ

وَالصُّومِ وَحَجَّ مِنَ الْأَرْكَانِ وَهَلِ لِكُتُبِ دَارِيَا

وَجَهَادُ النَّفْسِ هُوَ لَجْهَادٌ بِصَدَقٍ يَنَاسِبُ الْعَصْرَ وَهَلُوفَ : الْعَزِّ وَالنَّصْرِ
وَالزُّكَا فَرَضٌ بِهِ تَبْقَى هَذِهِ الْأَمَّا مُكَافِيَا

لا اسمع لنفسي بتفتيش وحدة القصيدة ، قصد تسليط الضوء على أبياتها لاكتشاف ما في تلك الابيات من أفكار وآراء رائدة .

فقوله عالي سبيل المثال " وَجَهَادُ النَّفْسِ هُوَ لَجْهَادٌ بِصَدَقٍ يَنَاسِبُ الْعَصْرَ " يحتاج الى تأمل .. وكذلك قوله

وَالزُّكَا فَرَضٌ بِهِ تَبْقَى هَذِهِ الْأَمَّا مُكَافِيَا

إنما المعول على القارئ ، أن يقرأ تراث آبائه وأجداده بصبر وثباتي ليستطيع سبر أغواره ، والوصول إلى خفاياه

يَا مَا اسْعَدَ كُلَّ مَنْ عَمِلَ تَكْلُوفِي مَوْلَاهُ مَا خَسِرَ عَنَّا يَسْنَاهُ مَا وَعَرَ

مَا خَسِرَ غَيْرَ مَنْ تَمَادَا وَسَعَفَ نَفْسُو الْخَاطِيَا

شَوْفَ أَهْلِ الدِّينِ كُلِّ وَاحِدَفَ : الْجَنَّا عَدَلُو قَصَرَ وَقِيلَ : عَدَلُو أَكْثَرَ

مَوْلَ الْحُسْنَى رِضَاهُ رَبِّي وَسَعَدَ مَنْ نَفْسُ رَاضِيَا

☆☆☆

يَارَاسِي لِلْفَنَى اسْتَرْجِعْ وَعَرَفَ الْمَوْتَ كَايْنَا

صَنَعِي لِي وَكُنْ تَسْمَعِ وَطَرِيقَ الْحَقِّ بَايْنَا

بِالصُّومِ مَعَا الصَّلَا وَتَوَلَّعْ وَالْمُكْتَابَا امْعَايْنَا

نُوصِيكَ أَرَااسِي السَّاهِي قَلَّلَ مَنْ قَلَّةَ الْوَقَرِ قِيلَ ثَلَاثَةُ أَهْلِ الْغَدَرِ

إِبْلِيسَ مَعَ الْهَوَى وَنَفْسِكَ هُمَا شَرُّ الْمَلَامِيَّةِ

وَالِي تَسْمَعِ لِي نُوصِيكَ ، صَنَعِي لِمَوَاهِبِ الذِّكْرِ لُوطَالِ الْفَلَكَ وَالْعُمَرِ

لَا تَتَّبِعْ غَيْرَ دِينِ رَبِّي قِيلَ الدُّنْيَا الْفَانِيَّةُ
 أَشْرُ مَنْ زَهُوْ يَضَادُ الْخُمْسُ وَقَاتُ وَنَسْرَهَا ظَهَرَ
 وَالصَّبِيحُ نَزَاهَتُهُ فِ وَقَتُو وَالنُّجْمَةُ فِيهِ ضَاوِيَّةُ
 مَا كَيْفَ نَزَاهَةُ الدَّهْوُ وَنَزَاهَا بِصَفْوَفٍ تَذَكَّرُ هَذَاكَ مَا صَبَرَ
 مُورُ الْإِمَامِ كَاتِبَايَعُ نَاسِ التَّقْوَى مُسَامِيَّةُ

المقطع الرابع :

وَالْعَصْرَ كَرَامَتُهُ كَرَامَةُ وَهَلْهُ لَكَرِيمُ كَرَمَتُهُمْ
 عَمْدًا عَمْدًا اللَّيْ تَعَامَى يَتَوَقَّى وَيَشْتَاقُهُمْ
 أَنَا خَوْفِي تَجِي نَدَامَتُهُ لَلِّي هُوَ تَرَكَّهُمْ
 الْمَغْرَبَ يَا مَنْ تَسَالُ مَنْ صَلَاهَا فِي وَقْتَهَا بَشَرُ وَالْعِشَاءُ وَالشَّفْعُ وَالْوَتَرُ
 هَذَا رَبِّحُ الْإِسْلَامِ جُمْلَةً وَأَهْلُ النُّفَاقِ عَامِيَّةُ
 وَقْتُ الصَّلَاةِ مَعَ الْإِمَامِ تَنْجِي وَتَزِيدُ فَ الْعَمَلُ مَعَهُ مَعْلُومَةٌ مَا لَهَا نَضَرُ
 وَالتَّارِكُهَا نَهَارُ يَبْعَثُ عَيْنُو بِالْأَدَمِ بِأَكْيَّةُ
 فِي جَهَنَّمَ مَنْزِلُهُ فِي بَيْرِ الْفَلَقِ يَنْحَشُرُ يَتَشَوَّى فَوْقَ الْجَمَرِ
 اللَّهُ يَجِيرُنَا مِنَ الْقَوْمِ اللَّيْ بِالْجُورِ طَاغِيَّةُ
 ثُبُّ لِرَبِّي إِلَى بَغِيَّتِي تَغْنَمُ وَتَزِيدُ فَ الشُّكْرُ مَنْ تَابَعَ نَفْسُهُ خُسْرُ
 عَايَشَ مَغْرُورُ غَرَّتْهُ نَفْسُو وَإِيمَانُهُ الْخَاوِيَّةُ

المقطع الخامس:

يَا حَيُّ الَّيْتَامَ تَغْفِرُ وَرَحِمَ الْإِسْلَامَ كُلَّهُمَا
تَتَوَسَّلُ بِالنَّبِيِّ الطَّاهِرِ وَالْمُعْجِزَةِ وَسَرِّهِمَا
وَاصْحَابُو لَا مَتَ الْفَنَادِرِ رَضْوَانُ اللَّهِ عَنْهُمَا
اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُلْكِكَ يَا رَبِّي سَلَكَ الْأَمْرُ دَبَبَ الْأَحْوَالِ يَا الْبَرَّ
احْتَنَانِي عَارَ لَأَلِّ فَاطِمَةَ الزُّهْرَةِ الْبَاهِيَةِ
وَالسَّمَوَاتِ وَالْبَحْرِ وَالْأَرْضِ وَالشَّيْبِكِ وَالْقَبْرِ وَالْخَلْفَا وَيُوبِكِرُ
تَتَوَسَّلُ بِالْفَضِيلِ عُثْمَانَ احْفَظْنَا مِنَ الْمَلَاهِيَةِ
اللَّهُمَّ بِحَقِّ عَالِي وَيَبْرَكَةُ سَيِّدِنَا عُمَرَ وَسَادَاتِي أَهْلَ الْفِرَزِ
مَعَ الْحَسَنِ وَالْأَشْرَافِ وَأَهْلَ النُّجْمَةِ الضَّاوِيَةِ
اللَّهُمَّ بِحَقِّ فَضْلِكَ تَدْرِكِ الْإِسْلَامَ بِالنَّصْرِ يَا مَنْ هُوَ عَنَّا أَقْدَرُ
كَافِي يَا ذَا الْجَلَالِ كَافِي وَنْتَ مَوْلَى الْمَكَافِيَةِ

المقطع الخامس:

مَصَابٍ يَجِي ضِيَا أَعْيَانِي يَفْدِي فِي لَامَتِ الْجُودِ
هَذَا مَا قُلْتُ فِي أَوْزَانِي سُبْحَانَ الْمَالِكِ الْوُدُ
سَلَّمَ يَا حَافِظَ الْمُعَانِي لَارِبَابِ الْفَنِّ هَلْ الْجُودِ
وَسَلَامٌ لِلْمَاهِرِينَ جَمَلَةٌ مَا فَاحَ الْوَرْدُ وَالزُّهْرُ مِنْ عِنْدِ التَّايِكَ الْإِحْمَرِ
يُوصِلُ هَذَا السَّلَامَ لِيَهُمْ تَرْوِجَ الذَّاتِ هَانِيَةِ
بَعْدَ السَّلَامِ وَالصَّلَاةِ عَلَى طَهَ طَيِّبِ الذِّكْرِ مُحَمَّدُ سَيِّدِ الْبَشَرِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ قَدْ الْقَوْمَ الْحَيَّةَ وَفَانِيَّةَ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَدَّ الذِّكْرَ وَمَافِيهِ مَنْ سَطَرَ
 وَهَلْ السُّنَّةُ وَهَلْ الْحَدِيثُ وَهَلْ الْهَمَّةُ الْعَالِيَّةُ
 الْهَمَامُ الَّذِي يَتَوَكَّنُ قَبْلَةَ لَنَا مَا زَالَ مَا ظَهَرَ
 مَنْ صَابَ يَجِي يَسْلُ سَيْفُهُ مَا بَيْنَ سَيُوفٍ مَاضِيَّةُ

☆☆☆

- اللازمة -

رَاجِي يَغْفُو اللَّهُ عَنِّي وَأَنْغُودَ مَوَابِدَ الْفَجْرِ
 وَتُكْرَفُ : الصَّلَا عَلَى شَفِيعِ الْأُمَّةِ الزَّائِكِيَّةِ

☆☆☆

أما الشريف سيدي محمد ابن علي الملقب بـ "ولد آرزين" فهو كالفقيه لعيري ينطلق من اطلاعه ، وليس من شعوره أو إحساسه ..

وهو لا يخفي هذه الحقيقة ، بل يعلنها : "خَذْ وَصَايَتِ الدَّهَاتِ الَّتِي مَرُويَا"
 "تَشْحَالُ مَنْ قَوْلَ وَرَدَ فِيهِمْ" "هَذِ الْمَوَاعِظَةُ مَنْ عِنْدَ الَّتِي عَارِفِينَ"
 "اسْمَعْتَ فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْعِلْمِ" "نُوصِيكَ كَيْفَ وَصَى " الْحَرِيرِي" قَالَ
 فَ . "الْمَقَامَةُ السُّسَانِيَّةُ" "قَالُوا نَاسُ الْحَدِيثِ وَأَهْلُ الْعَرَبِيَّةُ"

على كل حال ، هو لا يخفي أنه ينقل عن "الدهات" و "العارفين" و "أهل العلم" بل يعلن ذلك بالكثير من الفخر والاعتزاز ، بل إنه في اللازمة ينادي المخاطب بـ : يابن الدنيا .

لِلَّهِ يَا بَنَ الدُّنْيَا " خَذْ ، وَصَايَتِ الدَّهَاتِ الَّتِي مَرُويَا
 قُلْ مُؤَمِّنْ لِيكَ نَظْمَهَا وَخُوكَ فَ : اللَّهُ

والمتصوفة ينعنون ما سواهم من عباد الله بهذا النعت "أبناء الدنيا" بل ويضيفون "أَن أَبْنَاءَ الدُّنْيَا لَا يَصْلَحُونَ لِلْآخِرَةِ ،

كما أن أبناء الآخرة - أي هم لا يصلحون للدنيا

وقراءة متأنية لحديث : " من يكفه ؟ تنفى عن مناقشة مثل هذه الأقوال .

يَأْمَنُ خَفَاةَ حَالِ الدُّنْيَا وَأَحْوَالَ نَاسِهَا يَتَّصِنْتُ لِيْ

اشْحَالَ مَنْ : قَوْلٌ وَرَدَ فِيهِمْ " يَأْمَنُ خَفَاةَ

نستعرض مع ابن علي في هذه القصيدة إذن مجموعة من الأقوال التي وردت في "حَالِ الدُّنْيَا وَأَحْوَالَ نَاسِهَا"

اعْلَا الْأَطْمَاعِ رَتَكَبُ حَالِ الدُّنْيَا وَحَيْثَا وَعَلَا مَا مَرِيْ

كَيْفَ مَنْ شَيْدُ سُوْرٍ عَلَى الْقَضَا وَعِلَالَةٌ

حُرُوفٌ طَمَعٌ كَيْفَ أَهْلُ الدُّنْيَا جَبَاحٌ مَنْ دَاخِلٌ مَخْرِيًّا

وَأَشْ تَرْجَا فَ : الَّتِي خَاوِي غَلَا شَ تَرْجَاهُ

علق "أحمق الحن" على هذا البيت بقوله - لو قدم حرف "العين" وآخر حرف "الميم" لاصبح اللفظ "طعم" وإذن لوجد فيه الكثير

من الخير والبر والوداد - هي نفس الحروف من داخل مخروباً

هِيَ الْمَقْرُورُ وَاللَّاهِي بِهَا كَايْفُ لَوْ شَاقُ الْمَذْهِبِ

وَكُلُّ مَنْ سَعَا لِيَهَا مَقْرُورٌ خَابَ مَسْقَاةَ

لاحظ حرفية الآية -

وَالْكَانِزِينَ ذَهَبٌ أَوْ قَضَا بِهَا جَبَاهُهُمْ تَضَحَى مَكْرِيًّا

فَ : يَوْمَ يَصْلَاوُا عَلَى حَزِّ الْجَحِيمِ وَالضُّمَّاءُ

وحرفية الحديث

جَنَّا لِكُلِّ كَافِرٍ وَسَجَنٌ لِلْمُؤْمِنِينَ هِيَ هَذِ الدُّنْيَا

مَنْ دَخَلَهَا وَخَرَجَهَا أَشْ خَرَجَ مَغْشَاةَ

وَاللَّيْ تَقْدَمُ تَوْجِدُوا وَاللَّيْ تَنْفَقُوا تَرْبَحُوا لِأَشْكَائِ

وَكُلُّ مَا تَرَكْنِي مَخْسُورٌ غَيْرَكَ الدَّاءُ

نُوصِيكَ كَانَ كُنْتِي دُنْيَوِي صَاحِبْ لِلْأَشْيَاءِ الدُّنْيَوِيَا
عَلَيْكَ بِالتَّزْوِيلِ اتَّحَرَّمَ مَعْنَاهُ وَقَدْ رَأَاهُ
وَيْلَا مَا دُرِكْتِي سَتَيْنَ عَلَيْكَ بِ . الثَّلَاثِينَ الْخَتْمِيَا
وَدِينِكَ تَفَقَّهُ فِيهِ فَ . كُلْ بِ . أَب . تَفَقَّاهُ
وَقَرَأَ "الْبَيَانَ" وَ "الْمَنْطِقَ" يَصِفِي النُّطْقَ مِنْ كُلِّ الْجَهْلِيَا
وَطَالَعَ مِنْ التَّوْحِيدِ "اللَّهُ" ابْلَغْتَ مَعْنَاهُ
وَحَذُّ مِنْ التَّنْجِيمِ حَسَبَ الْوَقْتِ وَالْفُصُولِ الَّتِي مَسْمِيَا
لِجِهَتِ الْقَبْرِ لَا تَتَوَجَّهْ كُلُّ تَوَجَّاهُ
صَلِّيْ وَصُومْ وَاحْمَدْ وَشَكَرْ رَبَّ الْأَشْيَاءِ كَسَامَلْ كُلَّ عَظِيمَا
دِيرَ مَا يَبْغِي رَاحِمَ ضَعْفَنَا وَيَرْضَاهُ
وَعَلَيْكَ بِالْغَرَّاسِ لِلْأَشْجَارِ الثَّامِرِ الَّتِي فِيهَا غَلِيَا
وَهَيْبَ غَرَسِكَ فَ . سَيِّدِ الْأَلْهَةِ تَرْبَعُ ثَنَاهُ
وَتَعْلَمُ "الرَّمَايَا" وَرُكُوبُ الْخَيْلِ لِلْجَهْدِ بَقَصْدِ النَّيَا
وَالسَّقَرِ اتَّخَذَ لِلْحَرْبِ فَ . رَأْسُ وَغَطَاهُ
رَكِّي وَعَشْرُ ، وَصَدَّقْ ذَاكَ الَّتِي خَلَّالَ النَّاسِ الْاَغْنِيَا
وَكُلَّ مَا فَ . الدُّنْيَا دُونَ الْاَحْسَنِ أَنْ يُكْرَاهُ
نُوصِيكَ كَانَ كُنْتِي فِي . الدُّنْيَا لِأَمْوَالٍ لَأَحْرَفًا تَقْلِيَا
لَاغَرَّاسَ وَلَا أَصْلَ كَاتِعِي شَرَفَ . كَرَاهُ
الرَّفْقُ فَ . الْمَعِيشَا أَفْضَلَ قَالُوا مِنَ التَّجَارَا بِ . أَلْفَ مِيَا
وَحَذُّ رَاحَا فَ . نَصِيْبِكَ مِنَ الْوَقْتِ وَشَقَّاهُ
وَعَنَا عَلَى الْحَرَامِ بِ . الْحَلَالِ كَفَّاهُ نَاسُوا مَغْنِيَا
وَكُلُّ مَنْ يَقْنَعُ بِحَلَالٍ وَكَفَّاهُ وَغْنَاهُ

اسْمَعْتِ فِي حَدِيثِ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَارِفِينَ الْأَسْيَادِ الْأَتْقِيَاءِ
 الْقَنَاطِعِ هِيَ كَنْزُ الْفَنَاءِ فَمَبِيدُهَا
 "أَقْضِي" بِمَا ف: رَزَقَكَ وَصَبَّرَ حَتَّى الْيَوْمِ الْأَجَلَ أَوْ لَمَنِئِيَّ
 أَشْ بِـ يَدَكَ مَا تَخْتَرُ ؟ كُشِّي لِمُؤَلَاةٍ
 وَلَا تَشْهُوْا دُومًا إِلَى وَتَحْسَدُوا وَالْحَسَدُ مِنَ الْكُفْرِ
 وَلَا تَقْطَعْ أَيْمَانًا سَكَ مِنَ الْأَيِّ عَطَاهُ وَغَنَاهُ
 وَيَغِي لِكُلِّ مُؤْمِنٍ مَا تَبَيَّنَ فِي لَيْكِ كُلُّهَا الْأَسْنَاءُ سَوِيًّا
 تَنْصَحُكَ وَتَنْصَحُنِي نَصَحَ الْقُلُوبِ وَأَفْوَاهُ
 وَصَايَتِي لِمَنْ يَصْفَى وَالتَّوْفِيقُ مِنَ الْعَالَمِ كُلِّ خَفِيٍّ
 قَدَرُ الْأَيِّ قَدَرُ رَبِّ الْأَشْيَاءِ وَقَضَاهُ
 أَوْصِيكَ كَيْفَ وَصَى "الْحَرِيرِي" قَالَ ف: الْمَقَامُ السَّائِنِيَّ
 يَوْمَ وَأَعْظُ وَلَدُوْا بَلَطًا فَنُوْصَاهُ

إِيَّاكَ قَالُوا تَشَأْمُرُ لَأَف: الْمَدُنِ وَلَا ف: الْبَادِيَّ
 أَيْسَاكَ تَشَأْجِرُ لَا حَاجَا ف: بِسِيْعٍ وَشَرَاهُ
 أَيْسَاكَ الْفَنَاءَ وَالرِّزْقَ الضَّامِنُ يُجِيئُ لِيكَ وَلِيَّ
 سَوَالَهُ: كَيْفَ يَغِيْشُ ؟ ف: دَنِيَّتَهُ وَوَرَاهُ
 لَيْسَبُ قَالَ لَوْ كُنْ وَكَيْسُ لَا تَكُونُ ف: لِسَانَكَ خَشْنِيَّ
 مَسَاعِفُ صَرُوْخِي مَنْ رَمَتْهُ تَغِيْشُ ف: حَمَاهُ
 بِالْصَّدْقِ وَالْوَفَا وَالْكَلَمَا وَالْعَهْدِ وَالْقَبُولِ مِنَ الْوَهْبِيَّ

مَنْ قَبْلَ عَنَّا وَرَبُّ الْكَائِنَاتِ هَذَا
 أَيُّكَ الْقَدَرُ وَالشَّبَهَا وَمَوَاطِنُ الْإِتِّهَامِ السُّؤْيُ
 خَوْفُ : النَّاسِ اللَّيِّ وَأَتَى كُنْ لَوْ خِشَاءُ
 وَأَصْلُ الرَّحِيمِ وَلَمَّا تَقَطَّعَ حَبِيلُهُ وَف : قُرْبُ وَلَا بَعْدِيَا
 وَأَصْلُو لَا تَقَطَّعَ وَلَوْ يَصِيرُ بِكَ خَطَا
 وَجَعَلَ كُلُّ مَنْ شَاءَ أَمِيرًا وَكُنْ لِيهِ لِيَكْ يَكُونَ رَعِيًا
 وَكُلُّ مَا شَاءَ غَنَّا عَنْهُ تَكُونُ : سِوَا
 وَسَأَلَ كُلُّ مَا شَاءَ فَقِيرٌ أَمْ نَسْأَلُ : الدُّنْيَا الدُّنْيَا
 لِأَنْشُرَ مَسَا تَطْلُبُ رَبُّ الْإِيْمَنُ مَعْطَا
 نُوَصِيكَ لَا تَجَسَّسْ لَا تَغْتَبِ لَا تَنْمَ لَا تَجْهَلَ أَصْلِيَا
 كُلُّ مَخْلُوقٍ أَلْسِي مَكْتُوبٌ لِيَسْهُ وَدَاهُ
 وَالْغَائِبِينَ هَلْ الْمَعْصَايِي ، هَذَاكَ شَرُّ مِنْهُمْ : الْمَعْصِيَا
 وَأَعْظُ الْخُشْيَ لَوْ فَوْجَهُ لَا تَدَمُّ : قَفَا
 النَّفْسُ وَالْهَوَى وَالشَّيْطَانُ عَمَّا ذَاكَ لَا تَأْمَنُهُمْ قَطْعِيَا
 وَأَشْرُ مَنْ عَاقَلَ يَا مَنْ يَسَا فَمِيهِمْ : غَدَاهُ
 غَضُّ الْإِبْصَارِ عَلَّالُ الْخَرَائِمِ وَف : شَوْفَتُ الْخَرَائِمِ كُلُّ خَطِيَا
 رَاقِبُ الْأَلْسِي خَلَقَكَ فِي كُلِّ حِينٍ وَخَشَا
 وَاخْتَارَ مَنْ تَرَأَفَقَ شَوْفُ اللَّيِّ طَاعَ خَالِقُو جَعَلُوا وَلَفِيَا
 عَسَى يَجْلِبَكَ وَتَوَلَّى لِلْوَحْيِ ذَوْجَا

مَرْجُوعَنَا الْأَصْلَ قَالُوا نَاسَ الْحَنِيذِ وَأَهْلَ الْعَرَبِيَّ
وَالْأَطْبَاعَ يَسْرِقُوا الْأَطْبَاعَ يَا أَلْسِي تَسَاءَ
نُوصِيكَ دِيرَ زَادَكَ مَنْ مَا تَصْرِفَ مِنَ الْإِيَّامِ اللَّيِّ مَخْلِيَا
أَشْحَالَ مَا قَمْتَنِي تَرْحَلُ يَامَذْخَرُ بِسَلَاةَ
أَقْصَدَ لِلطَّرِيدِ قُ بِالْأَفْعَالِ الطَّيِّبَا وَتُوجَدُهَا مَخْلِيَا
فِي صَحْرُوفٍ فَمَسَاكَ مَا دَرْتَ رَاكَ تَلْقَاةَ
إِلَى فَعَلْتِي سِيَّيَا تَلْقَا أَبْجَالَهَا وَيَحْ أَهْلَ السَّيَّيَا
وَمَنْ عَمَلٌ حَسَنًا بِالْعَشِيرَةِ صَحِيحٌ مَجْرَاهُ
لَمَحَاسِنِينَ فَ : الْجَنَّا وَقَرَارُ النِّعَمِ فَ : الْقُصُورُ الْعُلُوبِيَا
وَالْجَحِيذِ يَمْرَاجِي لِلْفَاجِرِينَ بَلْخَسَاءَ
أَمَّا خَيْرٌ لِيكَ ؟ الْجَنَّا وَلِلَّ النَّارِ يَا النَّفْسَ الْمَذْهِبِيَا
يَا أَلْسِي مَا يَعْرِفُ غَدَاوِينَ مَسَاوَاهُ
أَبْجِي عَلَى ذُنُوبِكَ مَا دَلَّكَ حَتَّى بِالْأَمَّا وَدَمُوعُ سَخِيَا
يَسَالِّي مَا زَالَ أَنْهَارُ الْحَسَابِ يَرْجَاهُ
هَذَا الْمَوْعِظَا مَنْ عِنْدَ اللَّيِّ عَارِفِينَ تَكْفِي لِيكَ وَلِيَا
يَا أَلْسِي صَبَابُ اللَّيِّ نَصْحُوحُ صَحِيحٌ وَصَلَاهُ
سَتَأْمَنُ الْأَقْسَامُ فَ : مِيَاتِي خَذَهُمْ كُلَّ قَسَمٍ بُوَصِيَا
وَكُلَّ بَيْتٍ عَنْ أَيَا وَحْدِيكَ قَسَامُ مَعْنَاهُ
وَسَلَامَنَا لِنَاسِ التَّسْلِيمِ مَا فَاحَ الزَّهَرُ بِشَسُومٍ دَكِيَا

وَلَا سَلَامَ عَلَى الْعَارِفِ مَنْ شَسَاةٍ وَعَصَاةٍ
وَالْفَاتِيْنِي فَ : الْغِيَا لَمَلَاكُ جَاوِيُوهُمْ فَ : الْغِيِيَا
وَلَا يَعْرِفُ الْفَتَاةَ عَلِيَاةٍ لَعَنَتُ الْآلَاةَ
وَشَرَّ مَنْوَاةٍ الْآشَرَاةَ مَنْ الْفَلَّ وَمَنْ الْبُغْضِيَا
وَمَنْ بَغْضُهُمْ يَبْغُضُ وَفِي أَنْهَارٍ يَرْجَاةَ
أَمَحَبَّتِ الْآشَرَاةَ الْوَجَّةَ الْآيَ جَابِشِيرَ وَنَذِيرَ الْبَرِيَا
وَمَنْ كَرَهُهُمْ يَكْرَهُو مَايَسْتَوُزُ فَ : حَمَاةَ
مُحَمَّدَ اسْمِي وَرَجَايَ فَ مَنْ لَا يَخِيْبُ الْآلَاةَ رَجِيَا
وَلَدَعَيْنَ الرَّحْمَاةَ نَعَمَ الْجَلِيَاةَ صَطَفَاةَ
أَعْلِيَاةَ الصَّلَاةِ أَمَنْ اللَّهُ مَا دَامَ الصَّبَاةُ وَكُلَّ عَشِيَاةَ
مَا تَنْتَهِي وَسَلَامَ اللَّهُ كَيْفَ يَرْضَاةَ

افتتحا هذه الاغراض الدينية الثلاثة بقصيدة "الصرخا" أي الاعانة ، وهي لسيدى عبد القادر العلمي ونحب أن نختتمها بقصيدة "الإمامة" زان تَقْلِيْبُو مَنْ صَلَّى فَ خَلْفَ إِمَامٍ ، وهي لنفس الشاعر .

تقع هذه القصيدة في واحد وستين بيتا على قافية الميم .

وهي ككل رسائل الشيوخ الكبار الى مريديهم ، تتابع المريد في كل أطوار حياته خطوة خطوة

أَمَّا مَنْ ضَعِيفَ الزَّادِ عَلَى السَّلْوِغِ رَسَامٌ مَعَا التَّجَارِفِ : بَيَانُ سَوَاقِهَا يَزَاحِمُ

هكذا بدأ القصيدة ... عينة من البشر سباقه في كل ميدان ، وقزاحم رواد كل ميدان .

كُفَاهُ مَسْكِينٍ بِسَيِّمَتِ هَلْ الْفَنِّ يُسَامُ وَلَا فَ مَلَكُو مَنْ ذَاكَ الْفَنِّ غَيْرُ الْأَسْمِ

يكفي الواحد من هؤلاء أن يصنف ضمن أهل هذا الميدان أو ذاك حتى ولو لم يكن يعرف من هذا الميدان أو ذاك إلا الاسم

هو يشير في هذين البيتين الى المشعورين المتطفلين عى "أسواق أهل الله" لكن المثل ينطبق على كل المتطفلين في كل

المباين ، خصوصا وأنه أضاف :

تَجَرَّبِعِيرَ بَضَاعَا بِالْفُضُولِ يَتَهَامَ كِي دَخَلَ يَخْرُجُ حَدَّ شَطَارَتُو يَسَاوَمَ
مَا وَصَلَ مَا وَصَلُوهُ الْوَاصِلِينَ الْكِرَامَ غَيْرَتَهُمَا لَسَقَتْ مَنْ جُمِلَتْ الْمَتَاهِمُ

ویدخل بنا الى صلب الموضوع :

الطَامِعُ بِأَجْرًا لِلْخَدْمَا يَشُدُّ الْحَرَامَ وَيَبْرَبُ مَخْدُومُو ، وَلَطَاعَتُو يَلَازِمَ

الاجرة هنا هي رضي الله ، هي روح الله هي البشري بالقول ، والخدمة هي كل الرياضات والمجاهدات من قيام وصيام وأذكار ، وأيضا قضاء حاجات الناس وتقديم العون لهم ، إنما - وكما سبق القول - فإن الامثلة التي يصنعها سيدي عبد القادر العلمي ، يراعي في صنعها أن تكون صالحة للدنيا ، كما هي صالحة للدين ، إذ يوجب على كل طالب أجره

لِلْخَدْمَا يَشُدُّ الْحَرَامَ وَيَبْرَبُ مَخْدُومُو ، وَلَطَاعَتُو يَلَازِمَ
وَلَا يَكُونُ قَلِيلُ الصَّرْخَا كَثِيرَ لَمْسَامَ عَيُونُ رَأْسُو يَقْطَآنَا وَالْقَلِيبُ نَائِمَ
وَلَا يَقُولُ خَدَمَ نَاسِ الْحَالِ كَمْ مِنْ عَامَ وَلَا نَنْظُرُ لِلْسَعْدِ بِشَارًا وَلَا عَلَائِمَ
يَجْتَهْدُ فَ الصَّبْرُ أَوْ يَرْجَا صُرُوفَ الْيَامِ كَيْفَ يَرْجَا الرَّاحَا مَنْ هُوَ مَرِيضٌ عَادِمَ
وَلَا يَكُونُ مَثَلُ مَنْ يَغْشَاهُ مَرَضُ لَوْخَامَ سَاعَتُ الرَّأفَا يَلْقَا خَاطِرُو مَفَاكِمَ
وَلَا يَكُونُ فَ لَحْرُوبِ بِلَا سِلَاحِ زَعَامَ بَاشَ يَلْقَى صَدَمَتَ لُوغَا إِلَى تَلَاطَمَ
وَلَا يَكُونُ عَلَى الْبَعْضِ مِنَ الْوَرَادِ قَدَامَ بَدُونُ "عَارَف" شَيْخُ مَرْبِي فَقِيهِ عَالَمَ

نعم إن أهل الملحون يشترطون الشيخ للثقي ، ومن أقوالهم في هذا الباب "شيخ بلا شياخا باطل شاح" و"شيخ بلا شيخ لو عمر جبحو خالي" ، ولكنهم لا يشترطون في الشيخ الذي يعلم الملحون أن يكون بهذه المواصفات "عارف ، مشيخ مربي فقيه عالم" فالمسألة أكبر بكثير من "شيخ لفريحا" أو "شيخ شجبا" إنه الشيخ الذي قال عنه الامام العزالي في الاحياء ، وفي غيره من كتبه :

ينبغي للسالك شيخ ، مرشد ، مرب ، ليخرج الاخلاق السيئة منه بتربيته ، ويجعل مكانها خلقا حسنا [وفي مكان آخر يقول : [ولابد للسالك من شيخ يؤديه ويرشده الى سبيل الله تعالى] ويشترط في الشيخ [أن يكون من فقهاء الشريعة ، ومن المعرضين عن حب الدنيا ، وحب الجاه ، وأن يكون قد تابع لشخص بصير تتسلسل متابعته الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، فإذا كان الشيخ هكذا ، وكان محسبا رياضة نفسه من قلة الاكل والقول والنوم ، وكثرة الصلوات والصدقة والصوم

وكان بمتابعة الشيخ البصير ، جاعلا محاسن الاخلاق له سيرة كالصبر والصلاة والشكر والتوكل ، واليقين ، والقناعة وطمأنينة النفس والعلم والتواضع والعلم والصدق والحياء والوقار وأمثالها ، فهو إذا نور من أنوار النبي صلى الله عليه وسلم ، يصلح للاقتداء به [.

وَلَا يَكُونُ عَلَى الْبَعْضِ مِنَ الْوَرَادِ قَدَامٌ بِذَوْنِ عَارَفٍ شَيْخٍ مَرْبِّيٍّ فَقِيهٍ عَالِمٍ

ثم أن الورد تشمل الكثير من العبادات ومن ضمنها الاذكار ، والاذكار تكون ببعض أسماء الله الحسنى، والأسماء الحسنى في تعاليم السادة الصوفية - منها ماهو للذكر والتخلق ، كالكریم جل جلاله ، والحليم جل جلاله ، والعفو جل جلاله ، والودود جل جلاله ، ومنها ماهو للذكر والتعلق ، كالرحمان جل جلاله ، والملك جل جلاله ، والقدوس جل جلاله ، والعظيم جل جلاله ، ومنها ماهو للذكر والتحقيق كالاول جل جلاله ، والآخر جل جلاله ، والظاهر جل جلاله ، والباطن جل جلاله ، ولهذا لا ينبغي للمريد أن يذكر بإسم من أسماء الله الحسنى إلا إذا أذن له الشيخ

فالذي تغلب على نفسه الشراسة ، أو الرعونة ، أو الفضاضة مثلا ينصحه الشيخ بأن يذكر بإسم القهار جل جلاله ، والذي لا تزال تزل قدمه ولو من حين لآخر ، ينصحه الشيخ بأن يذكر بإسم التواب جل جلاله ، أو بإسم العفو جل جلاله ، والخائف الوجع يذكر بإسم السلام جل جلاله ، أو بإسم المؤمن جل جلاله ، وأصحاب الغل المزمعة ينأون "يارحمان يارحيم" أو "ياأرحم الراحمين" وهكذا

فالشيخ إذن هو الذي يعرف طبائع نفوس مريديه ، ويتابع تحولاتها باستمرار ويرصد ما يطرا عليها من تغيير ، وبالتالي هو الذي يعرف ما يصلح حال هذه النفس وما يناسب تلك فهو طبيب نفوس مريديه

مَا بَلْقِيَا ف : مَسْأَلُكَ هَلْ الْفَرْ يُرَامُ اصْبَعْ الْاَعْوَجَ مَا وَاتَاوَةَ الْخَوَاتِمَ
الدَّوَا النَّافِعَ مَرَأً شَرِيَتْوَف : لُقَامُ حِينَ يَتَجَرَّعُ بِالتَّكْلِيفِ لِلْحَلَاقِمَ
وَيَسْرِي لِلْجُوفِ يَنْقِي عَفْوَنَ الْاِتْخَامِ مَنِ الْقَلْبُ الْمَلْسُوعُ الْمَبْتَلِي السَّاقِمَ

وهذه فلسفة سيدي عبد القادر في "الصبر والتوكل" كما أشرنا إليها في أول قصيدة من الغرض الاول الصبر عند تجرع الدواء ، والتوكل على الله في الشفاء الصبر على مشاق العمل ، والتوكل على الله في إنجاح العمل

وفي طريق القوم ، الصبر على الجوع والعطش في الصيام ، والتوكل على الله في القبول ، بل الصبر في كل الرياضات والمجاهدات التي يأمر بها الشيخ ، ومن دون تأفف ولا تبرم والتوكل على الله في إصلاح حال النفس

التَّلَامَذُ فَحَضَنَ الْأَشْيَاخَ مِثْلَ الْإِيثَامِ وَمَنْ طَرِيقَ الْقَوْمِ الْمَكْفُولِ مَا يَخَاصِمُ : مَا يَخَاصِمُ : أَي لَا يَجَادِلُ ، فالمرید وهو في مجلس شيخه ينبغي أن يحترمه ظاهرا وباطنا . يقول الامام الغزالي في إحدى رسائله [اما احترام الظاهر فهو أن لا يجادله ، ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسألة ولو علم خطاه ، وأما احترام الباطن فهو أن كل ما يسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن ، لا فعلا ولا قولا ، لئلا يتسم بالنفاق] .

وَحِينَ يَكْمَلُ حَالُو وَالرُّشْدُ فِيهِ يَقْهَامُ
كَالْجَنَانِ إِلَى صَبِّ عَلَيْهِ مَزْنُ الْغَمَامِ
يَزَيَّانُ غَرَسُو يَطْفَحُ زَهْرُ وَبَطِيبُ الْأَنْسَامِ
مَا يُلُومُ مَنْ عَشِقَ مَنْ فَاتَ فِيهِ الْفَرَامُ
إِلَى يَشُوفُ خَيَالُ حَبِيبُو ف : طَلِبُ الْمَنَامِ
أَمَّا إِلَى تَمَّ الْجَمْعُ وَوَأَصْلُو بِالْأَقْدَامِ
يَصْدُقُ الرُّؤْيَا يَشْرَحُهَا بِخَيْرٍ وَسَلَامِ
يَرْتَحِمُ . السِّرُّ الْكَلْبِيُّ التَّامُ الْعَامِ
يَحُلُ تَحْجِيرُ وَمَنْ هُوَ عَلَيْهِ حَاكَمُ
وَقْتُ هَيْجَانِ الْقَاحُوفِ : الدَّجَا الْبَاهِمُ
بَعْدَ زَهْرُو يَنْمُرُ وَيَعُودُ رَوْضُ نَاعِمِ
حَيْثُ جَفَّتُو فِي بَحْرِ الْحُبِّ كَانَ عَايِمِ
يَقُولُ مَا بَاقِي هَجَرُ وَقَرَّتْ بِالنَّعَايِمِ
وَتَادِمُو وَحَيَا بِهِ عَوَاهِدُ الْمَرَّاسِمِ
يَصِيبُ حُسْنُ الْفَالِ لَتَغْيِيرِهَا مَوَالِمِ
ف : مَنَزَلَا مَحْجُوبًا عَنْ لَوْمِ كُلِّ لَايِمِ

وبعد وصفه لجماليات البدايات ومحاسنها - وليس من الاقطاب الكبار من لا يحس الى لوازم بدايته ويوارقها ، وإلى ما رأى فيها من رؤى ، وما شاهد من مشاهدات - بعد وصفه الشاعري الجميل لبداية التلوق عند المريد - إلى أن يرحمه الله بما أسماه " السر الكلي التام العام " يبدو وكأنه يخشى على هذا المريد أن يبرلق ، أو ينال منه أفة من أفات الطريق ، فالانس قد يكون السبب في الشخصيات والقرب ربما أوصل الى التمادي وسوء الادب ، ولهذا يراه يقول له بكامل الصراحة والوضوح .

زُوكُ ف السُّتَّةُ وَدَخَلَ تَحْتَ ظِلِّ لَعْلَامِ
وَلَا تَبْدُلْ صَدَقَ الْيَقْضَى بِطِيبِ الْأَحْلَامِ
كُنْ فِي مَجْمَعِهِمْ زَاكِي مَهِيلُ مَبْهَامِ
غَارِسُ الْحِيلَا مَا يَجْنِي ثَمَارَ الْمَظْهَرَامِ
مَا يَقُوزُ بَغْلًا بِهَا عَلَيْهِ يَنْعَامِ
الْوَرَادُ بَلَا لَذًا نُوْعُ مِنَ الْأَلَامِ
مَنْ تَعَبَ فَا الْمَبْدَأُ يَرْتَاخُ عِنْدَ الْخَنَامِ
مَا يُلُوسُهُمْ قَصِيرُ الْبَاغِ بَيْنَ الْأَسْهَامِ
وَلَا تَكْذُرْ صَفْوُ الْحَسَنَاتِ بِالْمُنَانِمِ
وَلَا تَقَابِلْ سَرَّ أَهْلِ الْكَشْفِ بِالْمُنَايِمِ
كُنْ عِنْدَ الْأَمْرِ إِلَى أَذْنُوكَ عَزَامِ
أَبْحَالُ مَنْ يَزْدَعُ حَبَّ الْقَمَحِ فَا السَّمَايِمِ
مَا يَنْتَالُ الرَّاحَةُ دَغْيَا يَعُودُ نَسَاكِمِ
الْفَدِيرُ حَدَاهُ وَجُوفُو عَطِيشُ فَسَاكِمِ
إِلَى بَرَا ضَرَّ الْقَلْبُ ارْتَاخَتْ الْكُؤَايِمِ
لَوْ يَكُونُ فَا : ظَاهِرُ فَعْلُو حَرِيصُ عَزَامِ

وَأَشْ حَقَّ الصَّابِي يَوْمَ الْخُلُوقِ يُفْطَمُ
 غَيْرَ كَاتُخْرَجَ دَا تَوْمَنَ غَمُوقِ الْأَرْحَامِ
 يُوجَدُ نَعِيمٍ فَصَدَرَ الْأُمُّ بِهِ يَرْحَمُ
 مَنْ فَقَدَ تَيْسِيرُ بَيْنَ اللُّسُونِ يَدْمَمُ
 كَيْدَ هَذَا الدُّنْيَا قَانُونُ شَرْحِ يَغْلَامِ
 صَالِحِ الرَّيِّ الصُّحْبَتِ هَلْ الْخَيْرِ يَلْهُمُ
 كُلُّ مَنْ يَحْضُرُ مَجْمَعِ ذِكْرِهِمْ يَرْحَمُ
 خَلَاوَتِ الْعَطْفِ يَطْلُبُوهَا خُصُوصَ وَعَوَامِ
 وَالشَّبَابِ الْمَرْبُوحِ مَعَ وَقُوفِ الْإِيَامِ
 إِلَى خَفَاوَةِ أَهْلِ الْحُكْمَا عَنْ عَقُولِ الْغَشَامِ
 لَا لَبًا تَدْنِي أَوْ لَا طَعَمَ لِيهِ رَايَمُ
 لَمَنْ انْشَاءَ يَسْبِخُ وَعَلَى اللَّبَا يَنْهَامُ
 كَيْفَ يَرْجَامُ ضَعِيفِ النَّبْتِ بِالرَّهَائِمِ
 ضَيْقُ لَمَعِيشَا يَكْسِرُ هَيْبَتِ اصْطِلَامِ
 إِلَى بَرْقِ ضَيِّ الشَّمْسِ نَزَاحَتِ الدَّوَاهِمِ
 يَا هِنَاهُ إِلَى كَانَ بِحَقِّهِمْ قَسَائِمِ
 يَغَايِنُ الرِّفَا بِإِعْتِقَادِ لِيهِ جَسَازِمِ
 وَالْأَغْرَاضِ اخْتَلَفَتْ فَطَبَائِعِ الْعَوَالِمِ
 إِحِلَّ بَابِ الْمَنْزِلِ وَيَفْتَحُ الشَّرَاجِمِ
 يَعْرِفُوهُمْ أَهْلُ التَّمْيِيزِ بِالْوَسَائِمِ

بودي لو أستمر في القاء بعض الاضواء على أبيات هذه القصيدة حتى النهاية، إلا أن الاغراض التي لا تزال أمامي كثيرة جداً ، ويتوجب علي أن أترك لكل غرض حصته من صفحات هذا الكتاب . ويرحم الله القائل . إذا ظهرت المعنى لا فائدة في التكرار .

وما قد ظهر المعنى الصوفي لهذه القصيدة ، وأرى أن لا ضير على القارئ إذا ما تركته مع ما تبقى منها دون أدنى تدخل مني .

اسْتَنْشَقُوا رِيحَ الْمَسْكِ مُنْظِفِينَ الْخَشَامَ
 لَوْ يَنْحَجِبُ عَنْهُمْ ف : نَوَاحِلُ الْمَكَاتِمِ
 الْقَمَرُ مَنْ بَعْدَ يَغْطِيهِ ثَوْبُ الْغَمَامِ
 الْفَلَّاسُ تَرَاهُ عَلَى هَالَتِهِ تَرَاكُمِ
 يَبْأَنُ شَطْرُو وَيَبْأَضُهُ مِنَ الْجَوْسَهَامِ
 كَيْ يَبْأَنُ الشَّيْبُ مِنْ سَحُومَتِ اللَّمَائِمِ

المقطع الرابع

مَنْ حَفَظَ خَمْسَةَ دَالِ حَسَنَاتٍ حَفَظَ مُحْكَمَ

وَفِيهِ رَسَخُوا كَيْ رَسَخَ الْوَشْمُ فَ الْمَعَاصِمَ

يَعْتَدِلُ مَيِّمُونُو وَالسَّعْدُ لِيهِ يَسْقَى مَ

يَرْتَفِعُ بَعْدَ الْخَفْضِ الْهَامَتِ الدَّوَاخِمَ

الصُّغْتُ وَالْعُرَّةُ ، وَالْهَدَنَةُ ، وَتَرَكَ الْمَلَامَ

وَالْقَنَاعَةُ ، وَفَرَّاقُ الْبَعْضِ مَنْ بَنَى مَ

وَمَنْ تَرَكَ خَمْسَةَ دَالِ السَّيِّئَاتِ تَرَكَ عَمَ مَ

كَيْ يَتَرَكَ الْمَحْرُومَ الَّذِي عَلَيْهِ خَسَامَ

الْحَسَدُ ، وَالْكِبَرُ ، وَالْجَفَا ، وَضَيْقُ الْأَشْيَامِ

وَالطَّمَعُ بَيْنَ الدَّالِ وَمَنْصَبُ الْحَشَمِ مَ

كُلُّ سَيِّئَةٍ مِنْ دَالِ السَّيِّئَاتِ ضَرَّهَا سَمَامَ

فَأَقْ سَمَ الْحَيَّاتِ الرُّكْدُ السَّيِّئَاتِ مَ

مَنْ يَزْعَمُ يَتَزَيَّأُ بِرَيْ الْكَمَامِ

وَيَبْلِغُ عَلَى عُنُقِهِ بِالْأَقْدَامِ زَاطَمَ

مَا يَلْقَى يَوْجَةً وَجْهَهُ لِهَذَا الْمَقَامِ

غَيْرُ مَنْ نَفْسُهُ فِي مَلَكَةٍ مَثِيلُ خَسَامَ

تَرِيضُ أَرْيَابِ الْفَنِّ نَفُوسَهَا الْقَامِ

كَيْ تَرِيضَ الْغَرَابَ غَوَاصِي الْهَجَمِ مَ

وَأَشْرَ مَنْ بَاتَ عَلَى فِتْرَةٍ وَضَلَّ هَامًا
كَمَثَلٍ مَنْ بَاتَ يَصِلِّي وَضَلَّ صَيَامًا

المقطع الخامس:

الشَّرِيعَةُ جَزَّتْ مَنْ فِيهِ بَانَتْ أَثَامُ
لَوْ زَعَمَ وَابِنَ قَلْبِهِ مِنَ الْجَهْلِ سَالِمًا
وَالْحَقِيقَةُ يَفْعَلُ مَا رَادَ مَوْلَى الْحَكَمِ
عَبْدٌ رَحِمَهُ سَيِّدُهُ مَا ضَرَّتْهُ جَرَايِمُ
حَيَاةُ بَ : الثُّبُوتُ مَنْ يَحْيِي رَعِيمَ الْعِظَامِ
وَأَيْدُهُ بِالْقُرْبِ وَتَقْدُهُ مِنَ النَّقَمِ
الرَّوْطُ الْبَرُّ ، الشَّافِي ، الْفَنِي ، السَّلَامُ
يَنْتَجِ الْعُقْمَاوِيَنْتَلِقُ الْبُحْرَانُ
سِرُّ الْإِجَابَةِ فَ : هُنُودُ الرِّجَالِ مَكْتَمُ
فَوْقَ مَا يَنْكُتُمُوا الْكُنُوزَ وَالْحَمْدُ
سِرَّهَا خَبِرُوا بِجُودِهِ لَسُونِ الْأَقْلَامُ
وَخَرَقَ عَادَتَهَا فِيهِ قُصَارَتُ الْفَنِّ
نَفَائِسُ الدَّرِّ مَنْ جَوَافَ الْبُحُورِ تَغْنَمُ
وَلَا يَفُوصُ عَلَيْهَا إِلَّا شَيْخُ عَزَمِ
مُسْتَقَرٌّ مَعَ مَوْجِ الْبَحْرِ شَيْخُ عَوَامِ
مَنْ الصَّفَرُ مَتَوَلَّعَ بِصَيَادَتِ الْفَنِّ

كُلْ كَنْزُ ف : بَابُهُ حُرَاسٌ لِيَهْ خُـــــــدَامُ

وَمَنْ وَضَايَفَ شَرْطُهُ الْبُخُورُ وَالْعَزَايِمُ

مَا يَفْتَحُوا إِلَّا تَأْقِي حَكِيمٌ نَجـــــــَامُ

مَا يَهْمُهُ رَصْدٌ وَلَا تَرْهَبُوا طـــــــَلَسَمُ

المقطع السادس :

مَنْ يَنْتَخِفُ مِنَ الْإِنْسَانِ قَلْبُ الْفَلَامِ

وَيَرْتَحِلُ يَبْلِسُ الَّذِي كَانَ فِيهِ قـــــــَائِمُ

كَالْمَزَانِ إِلَى صَبٍّ عَلَى يَبِيسِ الْإِكْمَامِ

زَمَرْدَهُ يَصْبَحُ فَوْقَ بَيَاضِ الْأَرْضِ رَأْشَمُ

يَلْبَسُ يَزَارُ خَضَرَ وَيُلُوحُ ثَوْبُ الْخَطَامِ

لِلشَّبَابِ يُولِّي مَنْ بَعْدَ كَانَ هـــــــَارَمُ

عَلَى عَطُوفٍ اجْتَابُوا يَرْخِي صَنَافُ الْكَمَامِ

مَنْ الزَّهْرُ وَعَلَى الرَّأْسِ يَنْشِيدُ الْعَمَائِمُ

يَطْرُ دُخْيَالُ السُّودِ عَنْ ضَمِيرٍ مَقَامِ

حِينَ يَفْتَحُ زَهْرًا نَوَارُ بَثْفَرٍ بـــــــَاسَمِ

إِلَى نَشْرِ نَرٍّ لَفَاحُوفَ : السُّلُوكُ نَظَامِ

وَالنَّظَامُ بَزَمَرُو تَتَزَيَّنُ الْمَشَامِمُ

بِهَيْجَتِهِ يَنْفِي مِنَ الْمَزَاحِ رِيحُ الْهَيْبَامِ

كَيْفَ تَهْرَبُ الْغَوَارِضُ مِنَ حُرُوفِ الْإِسْمِ

عَلَى كَمَالِ الْحُسْنِ الْبَاهِيِ النَّائِرِ التَّامِ
 مَخْتَلَفِ الْأَغْصَانِ وَالْأَغْرَاسِ وَالنَّسَائِمِ
 فِيهِ تَبَهَّتْ وَتَحِيرُ دَهَانُ كُلِّ رَكْمِ
 رَائِقِ النَّفْسِ مَقْنَنُ صَاحِبِ التَّرَاجِمِ
 مَا يَمِيزُ هَذَا التَّرْتِيبُ جَلْفُ مَبْهَامِ
 زَيِّ أَصَمِّ السَّمْعِ فَ مَحْفَلِ النَّفْسَانِ
 أَوْ زَيِّ مَرِيضِ إِلَى شَاوِزِهِ بَطْعَانِ
 وَمَنْ عَوَايِدِ الْمَرِيضِ الرَّهْدِ فَ : الْمَطَاعِمِ
 مَا يَلِينُ صَخُورَ الصَّلْدِ سِيلِ الْأَدْيَامِ
 لَوْبَاتٍ عَلَيْهَا وَيَضِلُّ مَا سَسَامِ

المقطع السابع والآخر :

الْعَقِيلُ يَحْمَمُ وَيَفْقَهُو التَّخَمَامِ
 فِي عَجُوبِ الْخَنَاسِ مَهْيَحِ الْمَظْلَمِ
 وَسَاوِسُهُ تَسْرِي فَ : الْأَجْسَادُ سَرَى الْمَدَامِ
 يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ أَوْ الْفُرُوقِ وَالْجَمَامِ
 دَاهُ شَاعَ وَدَاهُ خَتَقَاتُ عِلِّ الْعَسَامِ
 كَيْفَ خَتَقَاتُ فَ : الْغَضَا عِلَّتِ الْبِلَامِ
 مَا يَمَكِّنُهُ قَوَّاسُ يَشْدُ فِيهِ بَسْنَامِ
 وَلَا يَطْعَنُو رَمَاحَ قَوِي بَسْنِ فَاصَامِ

مَنْ أَعْتَصَمَ بِاللَّهِ وَقَارَ بِالْأَعْتَصَمِ
 هَبْتُو تَفْعَلْ فَعَلْ الْبِنْدُ فِي الصَّـ
 وَبَيْنَ مَا يَقْبَلُ وَسَوَاسِ اللَّعِينِ يَرْجِ
 يَنْطَرِدَ وَالْجَمْرُفُ : نَحْرُو لَهَيْبُ ضـ
 قَوْمَ طَهَرَهُمُ الْمَوْلَى قُلُوبَ وَجَسَّـ
 لِ : يَبْلِيسُ يَظْهَرُوا فِي صُورَةِ الدَّرَاغِـ
 مَا يَبَارِزُ الْعَدُوَّ صَافِي يَقِينُ بَخْصِـ
 حَيْثُ عَرَفُو يَسْرِي اللُّعْرُوقُ فَ الْمَتِـ
 وَمَنْ سَلَّمَ مَنْ ضَيِّمُو مُحَالَ وَاشْ يَنْضَـ
 صَارَ مَقْلُوبُ ، وَالْمَقْلُوبُ مَا يَلَاطُـ
 مَا يَنْحَجِبُ مَنْ نَزَعَاتِ الْعَدُوِّ الْمَشْنُـ
 غَيْرُ مَنْ بِالْحَقِّ يَقِينُ صَدِيقُ جـ
 وَمَنْ صَفَى مَتَهَاجُوا وَلَقَى سَعُودَ الْإِيَّـ
 رَأَيْسَ الْحَكْمَةِ بِالْحَاجَةِ يَجِيهَ قـ
 أَهْلُ الْوَفَا نَظَرْتَهُمْ لِكُلِّ ضَرٍّ مَرَهـ
 وَالْمَالُّ مَا يَسْتَغْنَى عَلَى التَّمـ

اللازمة:

زَانُ تَقْلِيدُ مَنْ صَلَّى فَ خَلْفَ الْإِمَامِ
 إِلَى يَكُونُ فَ سَرَّ ضَمِيرُ يَقِينُ جـ

لا يفوتني أن أشير في نهاية هذا الغرض الى أن من بين قصائده ما يصل عدد أبياتها الى ست مائة بيت كوصية بوخريس مثلاً :

يَا الْغَافِلُ عَنْ مَا يَعْنِيهِ وَالْعَمَرُ حَانَ قُمْ ، وَأَعِزِّمْ ، وَأَخْذَمْ ، يَكْفَى مَنْ انْفَرَعَ مِنْ

أو وصية بوزايد :

يَا هَٰذَا النَّفْسُ اللَّيِّ مُجْرَعَانِي كَيْسَانَ الْأَسَى رَجَعِي بِي مَا حَدَنِي لَدَابَا مَا قَاطَعَ يَاسَ

أما قصائد المائة بيت ، أو أقل بقليل كحالية مريفق ، وهي نظرات في سياسة النفس على جانب كبير من الدقة

يَا لِعَاقِلٍ نُورُ الْإِلَهَامِ ضَمَنَ وَقَّاسٍ بِهِ تَدْرِكُ لَعْقُولُ نَفَائِسُ النَّفَائِسُ

أو تائية سيدي عبد القادر ، وفيها من غزير علم الاجتماع ما الله به أعلم :

لَعِبَ مَنْ غَيْرِ شَطَارًا فَوْقَ رُوسِ حَرَبَاتٍ هَكَذَا ابْنُ أَدَمَ مَثَلَتْ فِي عَشْرَتُهُ

أو الدار لنفس الشاعر :

أَشْ مِنْ عَارٍ عَلَيْكُمْ يَارِجَالَ مَكْنَسَ مَشَاتٍ دَارِي فَ حَمَاكُمْ يَا هَلِ الْكَرَائِمُ

على كل حال "وصيات" الملحون تعد بالملات وليس بالعشرات .

ـ الغرض الرابع " الربيعيات "

"الربيعيات" بتشديد الراء مع تسكينها ، هي الابداعات الفواحة بعبير الورد والازهار ، الصداحة بأغاريذ كل أنواع الطيور

"الربيعيات" هي قصائد الاجواء عندما تخلو من غنائمها الداكنات السود ، قصائد السماء وهي تستعيد شبابها وصفاتها ونضارتها ، قصائد الارض ، هذه العروس وكيف تراءت لشعراء الملحون في حفل زفافها ، وكيف أصبحت في "اصبوحى" وهي كلها مستعدة للاخصاب .

ويتواضع العلماء ، أطلقوا على هذا الغرض بكل بساطة "الربيعيات" والحق أن هذا الغرض ، أكبر بكثير من هذه التسمية : الربيعيات ذلك لأن سائر الابداعات الملحونة ، التي يشملها هذا الاصطلاح ، لم تقتصر فقط على الربيع ، وإنما شملت الطبيعة ككل ، ولم تتناول الربيع إلا من حيث أنه جزء من كل ، ويعبر عن الكل وسوف نرى أن هذه الربيعيات لم تقتصر على وصف الربيع فقط ، وإنما وصفت لنا أولا الفصل الذي يسبق فصل الربيع ، يقول متيرد :

زَلَزَلُ الرِّعَادِ سَهْلُو وَوَعَارُو بَاتَ طَالَعٌ وَاصْبَحَ لَمَاعٌ مِنْ بَرُوقِ تَشْيِيرِ
وَرِيَا حَهَا تَشَالِي وَمَزُونُ كَمَا الْجُحُوفُ مَسْطُورَا

ويقول ابن سليمان :

السَّحَابُ إِلَى هُمَا سَحَبُوا اللَّبَطَاحَ يَرْقُمُ الْفَلَكَ رِقَامَ الرُّعْدِ فَ : الْمَلَامَحُ
وَالْبَرْقُ بِحَسَامُو يَبْدُو شَجِيعَ الْكَفَاحِ وَمَنْ سَيُوفُ الْهَجْرَ قَلْبَ الْغَضَا امْجَرَحُ
وَالرُّعَادُ أَيْزَكَلَهُمْ طَبَلُو عَلَى الْوَفَا صَاحِ حَمَلَ جِيُوشُو نَارَ جَمِيعِ كُلِّ نَائِيحُ

ويقول نفس الشاعر :

الرُّعْدُ زَامُ طَبَلُو مَنْ بَعْدَ قَنَاطَرِ السَّمَائِمِ وَالْبَرْقُ سَلَّ سَيْفُو وَيَخْبَلُ فِي سَلُوكِ لَمِيرَانُ
وَالرَّيْحُ فَارَسُ إِيْشَالِ عَنْ عَقَابِ الْعَلَفَاتِ فَ : خَلَفَهَا مَشْمُورُ

ووصفت لنا ثانيا أين يكون الربيع ، البساتين ، الجنان ، الرياض ، السهول ، الجبال ، المروج ، الربى ، يقول التهامي المدغيري :

يَا عَرَصَةَ صَوْلِي صَوْلِي بِطِيبِ الْأَطْيَابِ سَاكَنَكَ سَيِّدِي وَلَدُ السَّاكِنِينَ طِيبِيَا

ويقول بن مسعود :

ابْلَغْتُ الضَّاحِرَ أَتْسَارِينَا جَمِيعَ فَرِيَاضِ فَ : الشَّتَّى وَالشَّمْسُ أَوْ الشَّرِيفُ ضَلَّ رَاخِي

ووصفت لنا ثالثا نتائج الربيع ، أو لنقل آثاره في الكائنات الحية التقارب ، التفاهم ، التجاوب ، الالفة ، التزاوج من أجل تخليد النوع ، أي نوع الانعام ، الدواب ، الوحوش ، النحل ، النمل ، الفراشات الطيور ، الانسان ، نعم الانسان ولم لا ؟ وليس الانسان أيضا من هذه البيئة الطبيعية التي تحيط بالشاعر ، والتي يصفها لنا في هذه الربيعيات ؟

فإننا في ترتيبنا للأغراض ، جعلت الربيعيات والعشائقيات والخمريات في مكان واحد ، لاعتقادي بأن هذه الأغراض الثلاثة يكمل بعضها البعض الآخر ، تماما كما هو الحال في الأغراض السابقة . "لا إله إلا الله" عنوان التوسلات ، محمد رسول الله "عنوان المدائح ، وحاصل هذا الاقرار ، مكارم الاخلاق التي اشتملت عليها "لوصايات"

ولعمري أن كل هذه الربيعيات التي ربما وصلت في عددها الى ثلاث مائة إبداع ، من قصائد وسرايات وعروبيات هي من باب "وأما بنعمة ربك فحدث" فالارض التي أكرمها الله تبارك وتعالى ببحرين بدل البحر الواحد ، المحيط الاطلسي ، والابيض المتوسط وكم تصب في هذين البحرين من أنهار ، وعيون ، وأبار ، وشلالات ، وهذه التربة الخصبة الغنية المباركة ، قطع متجاورات عند النظر ، وغير متجاورات في العمق ، ليكون التنوع ، وليجعل الله لنا فيها من الخيرات ما تفرق في غيرها من أراضي الاوطان ، وهذا الجو المعتدل الجميل ، وهذا النسيم العليل المنعش ، لا في الاصائل ولا في البكور ، وهذه الشمس التي أرادها المنعم الكريم صالحة لهذه الارض ، ونافعة لابنائها في سائر فصول السنة ، لو صادف كل ذلك - لا قدر الله البشر

العديم النوق ، المتبدل الاحساس ، ايات الشعور ، المتحجر العواطف ، أولا تتلفه الغفلة ويطمسه الاعمال ؟
ولكن لا المنعم الكريم ، الكامل ، الجميل ، الودود قد اتم نعمته علينا إذ جعلنا لا نعمل أبدا عما أنعم علينا به من
نعم لا يحصوها عدد ، بل ننتفع بها وننعم ، ونحمده ونمجده ونثني عليه .

ف : السي التهامي مثلا - كما سنرى في النص الكامل - يختم الربيعية بقوله :

وَأَجِبْ أَنْحَمُوا وَنَشْكُرُوا تَبَارَكَ اللَّهُ عَلَى النِّعَايِمِ لَجْزِيلاً رَبَّنَا عَطَاهَا

ونجد من لا يستطيع الانتظار الى آخر القصيدة ، بل يحمد الله ويشكره ويثني عليه مع كل رؤية ، مع كل صورة ، مع كل
خاطر ، الحاج الحسن بنشقرون مثلا :

يَنْعَاتُ أَنْوَارَ الْعَفَا وَكَسَاتِ الْأَرْضِ طَلَقَاتُ اغْصَانِهَا الْقَضَا تَسْتَرْضَا

مَنْ شَاهَدَهَا كَمَا نَشَاهَا رَبَّ الْأَرْضِ بِقَدَرَتْ مَوَاهِبُو كَمَا حَتَمَ وَرَضَا

وَجَعَلَهَا لِلْعَيْنِ فَ : النَّظْرَا تَرْضَا

غَاتَهَا لَكْرِيمَ ، الْوَفَى ، الْبَرَّ ، لَحْفِظَ لَاحَتْ رَدَانْ غَطَاهَا وَالْكَرِيمَ حَافِظَ

ويقول في موضع آخر من نفس القصيدة :

ذَا الْمَلِكُ الشَّامُخُ الْمَتِينُ أَلَّ يَنْقُضَ سُبْحَانُو كَامِلُ الْعَطَا قَاضِي الْقَضَا

يَا سَاهِي تَرَكَ سَيِّئَتِ النَّوْمِ اسْتَيْقِظَ وَرَشِدُ الْأَعْيَانِ مَنْ سَهْوَهَا لِلْيَقْضَا

تَنْظُرُ مَا خَلَقَ مَالِكُ الْقُدْرَا وَقَضَا

حتى الذي يقل أو يتغافل بسبب من الاسباب ينبهونه :

يَا سَاهِي تَرَكَ سَيِّئَتِ النَّوْمِ اسْتَيْقِظْ فَارَقْ سَهْوَكَ نَظْرَ الْأَعْيَانِ حَلَّ عَيْنِكَ وَبَرَّةَ رَدِّ شَوْفِ وَسَطَابِ وَالْأَمثلة كثيرة

وإذا كان متيرد ، والأزموري ، وبين سليمان ، وبين علي ، والعرايطي ، والحاج إدريس ، قد جعلوا في ربيعياتهم مجرد أبيات
لحمد الله وشكره والثناء عليه فإن بن اصغير ، وبين سليمان وهدير لحش ، ولهوري قد خصصوا ثلاثة أرباع الربيعيات
إما للتوحيد ، وإما للمديح النبوي وإما لهما معا .

نقرأ ربيعية بن الصغير الصويري فلا نجد فيها من جو الربيع إلا المقطع الاول ، والمقطع الثاني أما ما تبقى فليس إلا في
توحيد الله والثناء عليه ، سوف نلتقي بمحمد بن الصغير الصويري في الملحن الروائي ، أو القصصي ، إنما الآن نثبت له هنا
هذه الابيات العشرة من ربيعية له في "لرما الثلاثية" للدلالة على أن جل قصائد الربيع ، ما كان وصف الربيع فيها إلا كمركوب

إما للوصول الى توحيد الله جل علاه ، أو للوصول الى مديح النبي الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم والشاعر المعمور من الصغير الصويري ، الذي لا تكاد تعرفه الا قلة قليلة من أهل الملحون هو من فحول الشعراء ، كما سيلجظ القارئ الكريم لا في الابيات التالية ، ولا فيما سندرجه له من شعر قصصي في الغرض السابع من هذه الاغراض العشرة

ويميز بن الصغير رحمه الله بخصوصيات لا يجدها أبدا عند غيره من الشعراء ، من هذه الخصوصيات ، التركيز على جزئية صغيرة بسيطة قد لا ينبه اليها أحد ، مع وصف شامل لدقاتها ، وتفصيل تلك الدقائق فمثلا في قصيدته الشمس والشتا ، نجده يركز في المقطع الاول بكامله على أشعة الشمس ، وهي تنفذ من بين الاغصان لتعكس على أوراق الشجر ، بما عليها من قطرات المطر ، أو لتشع في سلوك النفا

شَوْفْ أَنْوَارُ الشَّمْسِ سَاطِعَا شَوْفْ الطَّلَّ قَطَاطِرُو مَلَاتِ الْوَرَقْ أَوْ الْأَزْهَارْ
تَبَاهَا كَالدَّرْ وَالتَّبَّارْ فَرْقِصْرْ أَلْوَانَهَا اتَحِيرْ النَّظْرُ نَظْرَا
وَالنَّاظِرْ لِيْهَ مَا إِلَى تَمَلَّ فِ النَّظْرَا كُلْ لَوْنْ يَتَبَدَّلْ فَ الْبَصَرْ
وَتَوَلَّى لِلْوَانِ فِ النَّظْرْ تَتَرَاقَصْ كُلُّهَا وَالْأَفْكَارْ أَحْيَا
حَبَّاتِ الْبُلُورْ أَوْ جَوْهَرْ أَوْ الْيَاقُوتْ وَالتَّبَرَا أَوْ تَقُولْ ادْرَارْ
فِي سَايِرِ الْأَوْرَاقِ ذَا لَشَجَرْ وَغَنَ وَرِيْقَاتِ كُلِّ زَهْرْ أَوْ نَـ
وَشَعَى ضَيِّ الشَّمْسِ كَالسَّبَايِكْ تَنْفَذْ مِنْ كُلِّ جِيهَ مَا بَيْنَ غُصْنِ الْكُثَارْ
وَمَا عُلَّ الْأَوْرَاقِ مَنَ الدَّرْ يَتَبَارَقْ بَيْنَهَا وَالْمَطَرْ هَمَّارْ
يَاْمَنْ شَافَ الشَّمْسُ وَالشَّتَا فِ رِيَاضَاتِ الْوَرْدِ وَالزَّهَرِ وَالنُّورِ أَوْ الْأَنْوَارِ
حَالَتْ صَحْوَا فِ حَالَتِ الْمَطَرِ وَالْمَاصِافِي شَرِيْقْ وَالْكُونْ مُنْـ
شَوْفْ دَمُوعَ الْفَرْخِ عَنْ خُـ ذُودِ الْحَرَاجَاتِ مَنُورَا اشْرِيْقَا مَن دُونِ غِيَارْ
مَا فِيْهَا لَا حُزْنَ لَا كُـ وَالْدُّنْيَا شَارِقَا يَمِيْنِ أَوْا يَسَارْ

وكرر فقط كما لا شك قد لاحظ القارئ الكريم على قطرات المطر ، وهي تسو عالقة بأوراق الاشجار وكتتها حبات البلور ، أو جوهر ، أو الياقوت والترا أو تقول درار وتسلل أشعة الشمس من بين الخمائيل والاعصان لتعكس على تلك القطرات

فتحولها الى أحجار كريمة ترسل الالوان الزاهية البراقة ، التي تتراقص أمام الناظر وفق حركاته الخفيفة التي قد لا يحس بها .

أما المقطع الثاني يصرفه بكامله في التعجب ، الماء لا لون له ، ويلون كل الورود والازهار ، الماء لا عطر فيه ويعطر كل هذه الرياحين . وهكذا ... وهكذا ... الى نهاية المقطع

شَوْفُ حَرَّاجِ الْأَرْضِ كَالزَّرَافِي ، وَتَأْمُلُ فِي رُكْبِمُهَا لَا عَلْلٌ تَحْتَسَارُ
كَيْفَ حَثَرَتْ أَنْفَ : مَا ظَهَرَ وَذَهَلَتْ أَوْتَهَتْ كَيْفَ تَاهُو شَعَارَا
يَاكَ الْمَا هُوَ الْمَا اللَّيْ خَالِي مَنْ لِلَّوَانِ كَيْفَ حَتَّى لَوْنُ الْأَزْهَارِ
زَرَقٌ وَبَيْضٌ وَصَفَرٌ وَالْأَحْمَرُ وَالْوَانُ كُنَّارُ مَا تُوصَفُ بِشَعَارَا ؟
يَاكَ الْمَا هُوَ الْمَا اللَّيْ خَالِي مَنْ لِلَّوَانِ كَيْفَ حَتَّى غَلَّتِ الْأَشْجَارُ
فَ : الْوَانُ اللَّيْ مَا لَهَا أَحْصَرَ مَا بَيْنَ أَوْدَاقِ : الْغَرَّاشِ الْمُخْضَرَا ؟
وَالْبَرْقُوقِ أَمْعَا الْعَنْبِ مَآوِي وَالتَّقَّاحِ أَوْنَجَاصِ مَتَبَضَّعِ فَ : التَّشْبَارِ
وَالرُّمَّانِ مَجُوهَرِ آيْتَهَرَ وَاللَّيْمُونِ شَنْأَنُفِ أَقْيَاسِ عِبَارَا
مَنْ يَخْبِرُ غَيْرَ كَيْفَ حَتَّى يَخْتَالِفَ فَ : اللَّوَانُ كُلُّ مَارَاتِ ابْصَارِ
أَوْفَ : النَّوْعِ الشُّوْفِ النَّظَرِ أَوْفَ الطَّيِّبِ خَلَاصِ طَيِّبَا حَيَّارَا ؟
حَقَّ الْحَقِّ أَصَاحَ رَأَاهُ مَا كَايْنُ غَيْرِ اللَّهِ صَانِعِ أَوْبَادِغِ مَا يَخْتَارِ
سَرَّ اللَّيْةِ الْمَالِكِ الْأَكْبَرِ جَلَّ جَلَالُ الْجَلِيلِ فِي كُلِّ إِشَارَا

وهكذا دخل بنا بنو بن الصغير الى التوحيد من أحد أبوابه الواسعة ، باب الابداع الموصل الى المبدع أي أنه ركب وصف الربيع للوصول الى التوحيد ، وكذلك فعل بن سليمان من قبل كتب ربيعية في عشرة أقسام ، خصص النصف الاول لوصف الربيع ، والنصف الثاني لتمجيد الله ، والثناء على رسوله .

السَّحَابُ إِلَى هُمَا سَحَبُوا اللَّبَطَاحَ يَرْقُمُ الْفَلَكَ رَقَامَ الرُّعْدِ فَ : الْمَلَامِخُ
وَالْبَرْقُ بِحَسَامُو يَبْدُو شَجِيعَ الْكَفَّاحِ وَمَنْ سَيُوفُ الْهَجْرَا قَلْبَ الْغَضَا امْجَرَّحُ

وَالرَّعَادُ اِيْرَكَمَّ طَبَلُوْهُ عَلٰى الْوُغٰى صَاَحْ
حَمَلْ جِيْوشُوْ نَارْ جَمِيْعْ كُلْ نَاصِيْحْ
وَالْمَطَرُ يَرْسَلْ لِلْبَيْدَاْ عَلْوَمُ الْقَرْحْ
كَايْفَرْحْ بِقَدُوْمِ الْغَيْثِ كُلْ قَارَحْ
حَنْ قَلْبِيْ بِيْكَالْفِيْهَامْ عَنْ التَّجِيْصَاَحْ
وَصَبَبَتْ اَعْيَانِيْ عِلَلْ لَخُدُوْدُ دَمْعْ كَاْفَحْ
هَبَّتْ رِيَاْحُ الْغَيْثِ عَلٰى غُصَاْنِ الْاَدْوَاَحْ
سَرَهَا يَسْرِيْ سَرٰى الرَّاَحْ فَ الْجَوَارَحْ

فرقعات الرعد هي طبول العرب لجيش تكلل بانخذ ثاركل "نايح" مما سبق من جفاف ، و "قوس قزح" هي اعلام الشرى بالفرح تلوح بها السماء الى الارض

وأخيرا تاتره ببيكاء الغيم من "التجياح" أي ما اجتاحت الارض من ويلات الجفاف

حَيَاتِ الْأَرْضِ مَوْتَهَا مِنْ بَعْدِ الشُّوْمِ كَمَا تَحْيِيْ اَشْوَاهِدَ قُلُوْبِ الْفُهْمَامِ

أي معنى رفيع يمكن في هذا البيت ؟! وأية معلومة دقيقة تجمع بين صدره وعجزه ؟! المطر ينزل من السماء فيحيي الارض بعد موتها ، والشواهد - القرآن ، الاحاديث القدسية ، الفتوحات ، الفيوضات ، الوهب الالهام - أيضا تنزل من السماء فتحيي قلوب الفهم ، ولقد كان شيخنا الجليل سيدي إدريس العلمي رحمة الله عليه يقول الرحمان بإنارة القلوب بالعيوب ، إذ «الرحمان علم القرآن» والرحيم برزالة الكروب والعيوب «سلام قولاً من رب رحيم»، صدق الله العظيم

كَأَنْتَلِيْ فَارَقَاتٍ لِّبَعْلٍ كُمْ مِنْ يَوْمِ
بَآتَتْ فَ : الرَّهْوُ إِنْ بَانَ الْفَجْرُ اَعْلَامْ
حَمَلَتْ مِنْ زَوْجِهَا مِنْ يَوْمِ غُشَاهَا نَوْمِ
صَبَحَتْ فِي ثَوْبِ عَبْقَرِيْ يَسْحَرُ الْاَنْيَامْ

وَضَعْتُ فَصْلَ الرَّبِيْعِ وَالْخَيْرِ الْقَدَامْ

إنه - ككل فصول الشعر الملحون - ينطلق الى وصف الارض من التعبير القرآني المعجز [وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ] صدق الله العظيم

فِقْ مِنْ سَيِّنَتْ نَوْمَكَ يَاغْفِيلُ تَنْظُرْ
وَرَدَّ وَزَهَرَ حَمَلُ طَيِّبُوْ نَسِيْمِ نَشْرُوْ
كُلْ وَرَدَاْ عَنْهَا "حَبَّ النَّدَاْ مِنْجَوْهَرْ
عَمَّ بُسْتَانِيْ لِلْعُشَّاقِ طَيِّبْ زَهْرُوْ

الجزئية التي وقف عندها بن الصغير الصوري المقطع الاول بكامله ، "حب النداء امجوهر"

كُلْ مِنْ فَ : الْحَضْرَاْ بِيْرَايْقِيْ اَتَحْمُرْ
دُونِ مَنْ طَامَسَ شَيْطَانُوْ بَصَارْ فَكُرُوْ
قُمْ يَا سَاهِيْ تَنْظُرْ لِيْ شَمُوسُ الْبَطَاَحْ
كَيْفَ زَادَتْ حَلَّتْهَا سَرَّ لِلْبَطْطَاَحْ

وَسَجَلَجَلْ يَا قُوتَ عَلَى كَفِّهِ الْاَدْوَاخُ وَالْاشْجَارُ غَرَايِسُ بَغْصَانَهَا تُصَافِحُ

إنها فرحة اللقاء في مهرجانات الربيع ، الاشجار تتصافح باغصانها ، غصينات الاغصان وكأنها الاكف تحمل جواهر حب النداء وسوف يبدأ الغناء ، والرقص وتبدأ التصفيقات ، وتشارك الطيور بالحنانها في عرس الارض البهيج

☆☆☆

تَتَصَافِحُ بِالْكَفُوفِ فَرِيَاضُ السُّلُوفِ وَأَنْ
وَتَوَادَّدَ بَعْضُهَا الْبَعْضُ بِسُكْرِ بَنِيْنِ
وَتَصَفَّقُ بِالْوَرَاقِ تَتَرَاقَصُ الْاَغْصَانُ عَنْ صَوْتِ الْبُوحِ وَمَ لَحْسَنَ وَمَ قَنِينِ
الْاَطْيَارِ صَوَاتُهَا تَرْنُ بِلَا عِيْدَانِ نَعْنِي "مَآيَا" وَ "دِيل" وَ "الرَّمْل" أَوْ "لَحْسِين"

وَالنُّحْلُ يَجَاوِبُ الْاَطْيَارَ بِصَوْتِ حَنِينِ

انْسَاءتِ الْاَطْيَارُ نَغَائِمَهَا فَرَوْضُ الْاشْجَارِ عَرَبَطَتْ مَنْ جَرِيَالِ الطَّلْفِ : الْمَنَابِرُ
فِي رِيَاضِ السُّلْطَانِ الْوَرْدِ مِيرَ الْاَزْهَارِ لِيَهْ اَدَاتُ الْبَيْعَا سَايَرُ النُّشُورِ
مَا تَرَى فَا الْمَشُورِ إِلَّا سَيُوفَ وَرَمَاحَ مُصَافِينَ عَلَى صَفِّ اجْدَاوِلِ السُّوَارِخِ
فَارْعِينَ الْكُدَّارِ مَوْهَبِينَ الْارْوَاخِ كُنْهُمْ هَمَامَ عَلَى جِيْشِ جَنْدٍ فَسَالِحِ
كُلِّ قَائِدٍ مَنْ قِيَادِ الْجُنُودِ طُمُوحِ وَكُلِّ حَامِلٍ لَعْلَامِ سَمِيْتُو الْفَسَاتِحِ

☆☆☆

دَارَتْ بَيْنَ الْكُتَائِبِ عَلُومُ الْخَابِرِ دَارَتْ لِلْمِيرِ مِنَ الْيَبْرِيزِ جَوَامِرُ
وَالشَّرِي نَاشِرُ الْمُضِلِّ عَلَى الْمُنْصُورِ وَهَذَاتُ الْيَاسْمِينِ لِلْمِيرِ دَنَانِرُ
وَالْخِيلِي فِي تَبَاعَتِ الْوَرْدِ الْمَعْطُورِ بَمَا يَرْضَا وَيَأْمَنُ الْحُسْنُ الزَّاهِرُ

وَنَا مَقْتُونُ فَوْسَطِ الضِّيِّ الْبَاهِرِ

وَالنَّسِيمُ الْفَانِي يَهْدِي غَرَايِمَ الْيَاسِرِ لِيَهْ نَاصِبَ طُمَاجٍ فَوَاهٍ مِنْ خَمَاسِي
وَالْغَشِيْقُ بَرَزَ لِلْمَعْشُوقِ فَا : الْكِرَاسِي وَالْغُصَانُ السُّكْرَانَا دَالِذَاكَ مِيْسَاسِ

وَالْبَهَا يَسْقِي لِلرَّجَسِ صِرْفَ مَنْ كَاسٍ
وَالْبَهْرَ بِأَهِي وَالسُّوسَانَ رَاحِفَ جَنَاحِ
وَالنَّخْلَ بَقْلًا يَدْتَمِرُوتِهِيحِ الْاَفْـرَاحِ
مَنْ حَرِيرِ السُّدُسِ حَلَّلَ لِيهِ كَاسِي
وَالزُّيُولَ وَتَسِيمِ الْقَيْقِلَانَ فَايَحِ
بِالْعُقُودِ الْمَنْظُومِ مَا كُلُّ جَدَعِ مَآيَحِ



خَرَجَاتِ لَزَهُومًا حَوَادِقَ مَرْدَدُوشِ
وَقَرْنَقَلِ عُلْدَمِي وَشَاكُوكِي مَرَشَشُوشِ
وَمَدِيدَشِ مَنْ مَدِيلَكَ غَايِرَ مَقَرُوشِ
وَصَبِيحَ جُنْدِ الشَّقِيقِ بِالْفَرَحِ فَ تَشْوِيَشِ
وَالزُّفْرَانَا فَ طَاعَتِ السُّلْطَانَ بِجِيَشِ
لَيْسَ جُنْدُؤُ ثِيَابِ خَابُورِي لِلْفِيَشِ

وَالْحَرَكَ طَائِلًا وَقَضَاءُ التَّوْحِيَشِ

زَهَرَتْ أَفْتَانُ الرُّوضِ الْيَانَعَا بِالْأَصْنَافِ
مَا تَخَطَّاهَا بَعْلٌ مِنْ أَجْتَانِ بُوَصَافِ
ضَمَّتْ أَشْمَائِلَهَا فَ بَسَاطَ لِيهِ تَشَارَفِ
مَا بَخَلَّتْ أَهْلَ الْفَنِّ مَخْمَرِينَ الْاجْتِيَا حِ
وَالزَّهَرَ بِالنَّسَمَاتِ يَفُوحُ عِنْدَ الْاَصْبَاحِ
بَاهِيَا عَذْرَا بُكْرًا سَبَلَتْ السُّوَالِفِ
كُنْهَا حُورِيًّا فَتَنَّا لِكُلِّ عَمَارَفِ
لِكُلِّ مَعْنَارِي صِرْفَ كَوَانِهَا تُرَادَفِ
بِالْتَمَرَحِيْبِ طَلَّقَتْ الْخُوفَ وَالتَّسَارَحِ
وَالْأَشْجَارَ تَرِيَّاتٍ غُلُولَهَا اَمْصَابِ حِ



ويانتهاء هذا المقطع ، وهو المقطع الخامس من القصيدة ، ينتهي وصف الطبيعة ، الذي كان مجرد مركوب للوصول الى توحيد الله والثناء على رسوله

هَذَا تَسْخِيرَ مَا لَكَ الْمَلِكُ الدِّيَّانِ
الْعَالَمَ مَا اخْفَا وَمَا نَظَرَتْ الْاَعْيَانِ
مَنْ فَضَّلَ دِينَنَا عَلَى سَائِرِ الْاَدْيَانِ
تَكْوِينِ الْكَائِنَاتِ بَيْنَ الْكَافِ وَنُونِ
إِلَى قَالَ الشَّيْءِ كُنْ فِ حِينَ يَكُونِ
لَا جُلُؤَ خَلْقِ الْاَكْوَانِ خَالِي وَالْمَسْكُونِ
وَصَبِيحَ يَبْلِيسَ فِي حَزْنِ سَجْنُو مَرْكُونِ

لَاخَتْ شَمْعُوسَ الْحَقَّ عَلَى السَّلَامِ حُلَاً

و من هنا ينتقل بنا الى تمجيد الاسلام ، والثناء على نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم ونحن كما لم ندرج الشطر الاكبر من قصيدة بن اصفير لان مكانه الغرض الاول "التوسلات" ، كذلك سوف لا ندرج ما تبقى من قصيدة بن سليمان لان مكانه الغرض الثاني "المدائح النبوية" .

ونكتفي بهذين النموذجين ، من القصائد التي لم يكن وصف الربيع فيها الى وسيلة للوصول الى غاية اسمى وأعمق ، لننتقل الى القصائد التي يكاد يكون وصف الربيع فيها ، غاية في حد ذاته ، القصائد التي تصف الربيع ، من بدايتها الى نهايتها من هذه القصائد على سبيل المثال لا على سبيل الحصر الجبلي متيرد :

سَعْدُ السَّعُودِ خَيْرٌ بِخَبَارِوْ عَامِنَا عَامَ الْبَرَكَا وَالْهَنَّا وَعَامَ الْخَيْرِ

مَنْ بَرَكْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَى بَاهِي الصُّورَا

والشريف بنعلي :

نَادَا وَقْتُ الزَّمَانِ لِلنَّظَرِ وَالنَّظَرَا فَيَا رُبَّ الرَّبِيعِ تَجَارَا

لَهُ مَا تَزْهَى يَا خُنَارَا

والحاج الحسن بنشقرن :

هَلَّتْ مَزُونُ الْغَيْتِ عَلَى بَطَاحِ الْحَضِيضِ كُلُّ فَجٍّ اتَّخَضَ رَوْابِسِيْلَ فَايُضْ

والحاج ادريس :

الرَّبِيعُ أَقْبَلَ بِالْفَرْجَاتِ قَمُ نَسْطَابُو طِيبِ أَوْقَاتِنَا عَلَى نَوَارُوْ

بِالْبَهَا وَالْكَاسِ أَوِ الْوَتَسَارَا

ول : بن الطاهر المعروف ب : الشاوي :

اخْضَرَّتْ الْبَيْدَا يَا صَاحِي بِسِيْلِ الْأَمْطَارِ جَادَ الْكَرِيمُ بِفَضْلُو حَلَّتْ الْبَشَارُ

أما الرياض والبساتين على سبيل المثال ... منها "روض مريفق" .

نَزَّهَ الْبَصْرُ فَا : "رَوْضُ" خَصِيبٌ فَاحٌ بِنَسَامِ مَنْ زَهَارُ خَمَائِلِ الْأَغْصَانِ يَا لِفَاهَمِ

ومنها "عرصة" المسفيوي .

صُولِي صُولِي مَنْ مُحَاسِنُكَ يَا عَرَصَتِ الْأَزْهَارُ فَيْكَ اتَّجَمَعُوا الْبُكَسَارُ

ونستام سيدي قدور، وأكثر من "عرصة" للسي التهامي . زيادة على قصائد الاصال والبكور ، والدهبيات "والصباحيات" وكلها في اجواء الربيع . إنما نحن سوف لا نختار من كل ذلك وغيره الا قصيدة واحدة ننهي بها هذا الغرض . ولتكن هذه القصيدة

هي جَادَ يَا مَحْبُوبِي فَضَلَ الرَّسْعِ بَرَضَاءَ "للتهامي المدعري . وقد عاصر السلطان المقدس مولاي عبد الرحمان بن هشام وتوفي في عهده

هَلْ مَزْنَ الْغَيْثُ وَزَارَ الْعَشِيقُ وَسَقَاءَ بِالرَّحِيقِ مَنْ الْغَيْمِ حَبِيبَتْهُ سَقَاهَا

لم يقل كما يمكن أن يقول الاساس العادي " تساقطت الامطار" وإنما جعل المزن" هو المعشوق المدلل ، والارض هي العاشقة الولهانة

ويتفضل هذا المعشوق ، ويتكرم بزيارة لهذه العاشقة " الارض" فسيقبها الرحيق من "دنان" الفمام

وكانني بهذه الزيارة جاءت بعد فترة جفاف ، إذ نجده يقول في البيت الثاني "بعد ما ضاقت ، ذاقت والوصال محلاه" وأخيرا ... وبعد طول عطش وضما ، ذاقت من كزؤس الفمام

وَيَعْدَمَا ضَاقَتْ ، ذَاقَتْ وَالْوَصَالَ مَحَلَاهُ وَالزَّرَاطِي عَنْ كُلِّ الْوَانِ فِي وَطَاهَا

سَابِكُ فِ جِيدِ الْبَيْدَا جُوهُرُ فِ : مَعْنَاهُ

لم يقل ما يمكن أن يقول الناظم العادي " أصبحت الارض كلها ورود ، وأزهار ، ورياحين" وإنما قال "سَابِكُ فِ : جِيدِ الْبَيْدَا جُوهُرُ"

ف الارض هنا عادة حسناء . والحبيب يقدم لها هداياه ، وهي عبارة عن قلاند من الاحجار الكريمة

ونعيد هذه الابيات متصلة :

هَلْ مَزْنَ الْغَيْثُ وَزَارَ الْعَشِيقُ ، وَسَقَاءَ بِالرَّحِيقِ اَمِنْ غَيَامِ حَبِيبَتْهُ سَقَاهَا

مَنْ سَدِيمِ الْكُونِ الْعَذِيبِي هَطَلَ مِنْ سَمَاءَ بَيْنَ حَرَجَاتِ الزَّهْرِ فَتَاجَلَوْ مَلَاهَا

وَقَتَ مَا ضَاقَتْ ، ذَاقَتْ وَالْوَصَالَ مَحَلَاهُ وَالزَّرَاطِي عَنْ كُلِّ الْوَانِ فِي وَطَاهَا

سَابِكُ فِ جِيدِ الْبَيْدَا جُوهُرُ فِ مَعْنَاهُ حَارَتْ عَقُولُ أَهْلِ التَّحْقِيقِ وَالنَّبَاهَا

مَنْ سَيُوفُ الْبَرْقِ أَوْوَدَقَ الرُّعَادُ فَدَجَاهُ عَاتَقَ الزَّهْرُ بِمَزْنِ الْغَيْثِ مَنْ سَمَاهَا
دَرَجُ الْغَيْمِ الْكَاسُ الْأَرْضُ حَلَّتْ أَفْوَاهُ وَالْبَطَايِحُ مَنْ جَاءُوا نُوبِتُوا الْقَاهَا

إذا كان قارئ القصيدة الملحونة على شبي من الاطلاع ، في الشعر الجاهلي والشعر المخضرم ، والاموي ، والعباسي ،
والاندلسي لابد من أن يتمتع بحقيقة المثل المشهور : "الشيء بالشيء يذكر ..

فإننا مثلاً عند قراحتي لهذه الابيات أذكر ل : (العسين بن علي الملقب بابن وكيع)

وتمايلت فيه غصــــــــــــــــون قدوده من شرب كا سات العيون الهطل

وأنكر لابن خناجة

في أبطيح رضعت ثغور أقاحه اخلاف كل غمــــــــــــــــامة مدرار

وأنكر لابي تمام

فسقاه مسك الطل كافر الندى وانحل فيه خيط كل سمــــــــــــــــاء

أبيات كثيرة من المشارق والمعارب تقفز الى ذهني كلما قرأت للمبارين من شعراء الملحون

هَذَا فَصْلُ الرَّبِيعِ فِي رَّبِيعِ الْخَيْرِ

تزامن شهر المولد النبوي - في السنة التي كتبت فيها - السي التهامي المدعري هذه القصيدة - ولا أرتاب أبدا في أن هذه
السنة هي سنة 1260 هجرية ، التي وافقتها سنة 1850 ميلادية - مع أجمل أيام الربيع - وكان لاند لشاعر مغربي عربي
مسلم أن يبدأ المقطع بالشاء العطر - على النبي الكريم الذي ولد في هذا الشهر المبارك السعيد شهر ربيع الخير

هَذَا فَصْلُ الرَّبِيعِ فِي رَّبِيعِ الْخَيْرِ مَوْلِدُ حَبِيبِنَا أَحْمَدَ شَارِقِ الْأَنْوَارِ

ضَوَاتُ نَجُومِ الْأَرْضِ بِالْهَلَالِ الْمُنِيرِ فِي وَقْتِ مَنَازِلِ السَّعَادَاتِ مِنَ الْإِبْطَاحِ

بُوجُودِ الرَّمْزِ مِي غَنَمَنَا فَرَحَ كَبِيرِ فِي عِيدِ خَضَعَتْ لِيهِ الْمَوَاسِمُ الْكِبَارِ

فِي سَرَوْ مَنْ طَلَّاسْمُو حَارَتِ الْأَفْكَارِ

ويقف مشدوها بين أحضان الطبيعة ، مفتونا بجمال الربيع - وينبهر ، وتختلط المرئيات التي يرى ، والشاهد التي يشاهد
بصور أخرى تختزنها الذاكرة ، أو المخيلة فالوان الزهور في الربيع الخضر - والوان الافق - وقوس قزح - كل تلك الالوان
اختلطت في ناظره ب - السباني والشرابي والعبارق - وهي أسماء قديمة كانت تطلق على أشياء خاصة بالنساء ، فالعبروق
مثلا وشاح ، والشرابي مرادل ، والسفينة مما يوضع على الرأس - وكذلك أسماء الاثواب الزاهية "الشكرنط" "لمشجر" عين
علجة" مشرقية" ، والوان تلك الاثواب شمس لفسني" الخابوري" الشيببي" عكري" فلانصا" دم غزال" قلب حجر" ليمي"
سماوي" .. الى آخر ما جاء في هذا المقطع .

شُوفَ لِبَطَاحِ ، لِبَسَتْ الْقَمَاشُ وَالْقَلَايِدُ بِالْعَقِيقِ أَوْعَقِيَانِ وَجُوهَرُو الْوَقَادُ

لَبَسَتْ قَمَائِصَ مَنْ نُوبَ الرُّضَا الزَّائِدُ
هَالَتْ وَمَالَتْ بِنَسِيمِ الشَّدَا الْبَارِدُ
بَ: الشَّرَابِي ، وَسَبَانِي ، ضِيَهُمْ وَأَقْدُ
الشُّكْرَنْطُ لَمْشَجَرٍ سَلْبَنِي مَنْ سَمَاهُ
شَمْسُ الْعَشِيِّ وَالْخَابُورِي سَوَايَ وَسَوَاهُ
لَاقِحَةٌ بَرَزَتْ عَنْ شَلْيَانَتَهَا فَ: الْاَوْهَادُ
وَالْعِبَارِقُ وَسَقَلِي فِي أَحْسَنِ الْمَرَادُ
عَيْنَ عُلْجَا وَمَشْرِقِيَا عَلَامَتَاهَا
جَاوَزَ الشَّيْبَا وَتَحِيرَ مَنْ نَدَاهَا

❖❖❖

عَكْرِي وَفَلَانَصَا وَدَمَ غَزَالُ نَصِيحُ
لَمَى سَاعِدَاهُ شَيْئًا مَرَّ بِنَاصِيحِ
شَصَابَاتٍ مَعَ النُّجُومِ فَ: الدَّبْجُورُ شَطِيعُ
بَرَزَتْ فِي ابْرَارِهَا عَلَى كُرْسِيِ الْاِبْطَاحُ
خَذَهُمُ الْعَكْرِي فَ: رِيَاضَتُهُمْ نَائِيَسِرُ
رَافِدَاتُ سَلَاخِ الْقُضْبَانِ بَيْنَ الْأَشْجَارِ

رحم الله الاصفهانى إذ يقول في هذا المعنى :

قلت للورد مالشوكك يدمي
قال لي هذه الرياحين جند
كلما قد أسوته من جراح
أنا سلطانها وشوكي سلاحي

ويصف شاعرنا الوردة المتفتحة فيقول

شَابَةٌ حَشُومِيًّا خَارِجًا اللَّمَّ رَارُ
لَا حَتَّ عَلَى الْجِيدِ الْعَبْرُوقُ وَالضَّفَائِرُ

ولقد أبدع ابن المعتز في هذا المعنى .. بل توسع فيه أكثر ..

أتاك الورد محجوباً مصبونا
كان بوجهه دساراً
بياض في جوانبه احمرار
كمعششوق تكفه الصدود
نجوم في مطالعها سعود
كما احمرت من الخجل الخدود

أما الوردة التي لم يكتمل فتحها بعد ، والتي لا تبصر ، حمرارها إلا من يدركها الأكدم الحصر ، فقد وصفها شاعرا بقوله
 كَأَنَّ رَمِيَهُ شَيْءٌ فَتَمَرُّ شَاقِفُهَا رَأَى الْأَبْصَارَ رَأْسُهَا عَطَّائُوْ بِكَمَامِهَا الْعَوَاطِرُ

إمما فكره اسد السكندر عثر عليه البصري وهو من شعر الشاعر الأندلسي المعروف صاعد ، فعشقها لجم عنه

وبونك ياســـــيدي وردة يذكرك المسك أنفاسهـــــها

كعـــــذراء ابصرها مبصر ففطت بكمامها رأسهـــــها

والدرويش للحاضرة الحياه وانصبا ، وفيه رمة من لا يعرف فيه ، خصوصاً ونحن بعد الامام البصري بعشرون خواطر
 رائحة في ميمية ابن الفارض ، فيأتي بها الى بودة ، قال ابن الفارض

يا لايما لا مبي في حبهم سفها كف الملام فلو أحببت لم تلم

فتابعه البصري وقال :

يا لاني في الهوى العسري معذرة مبي إلك ولو انصفت لم تلم

كما تابع شوقي البصري فقال :

يا لاني في هواه والهوى قدر لو مستك السوق لم تعدل ولم تلم

ونعود الى شاعرنا ، وإلى ربيعته الرائعة...

كُرَّ عِدْرًا مَسْتَسْنَهَا وَحُفَّتْ اسْتِزَادُ حاجلاً من لحد عروق الدكا كساها

السُّكَّاسِي فِي صَوْلَا مِرْز حِوَاه له وجدا سور عكر لونها كفاها

☆☆☆

نَسْرِي مَسْنُودَ هَرَّاسٍ صَنَعَاتِ الْعَارِ سَوْسَانُ وَفَيْرٌ حَاتٍ حَلَا وَمَحَلَا

بَيْخَرٌ وَزُرْقٌ لَاسٍ بَرُّوْ مَضْنَا نَوْصُولُ مَسْنَا وَعَسْفُوْ مَا يَنْسَا

مَسْعُوفٌ مَحْتَا مِنْ هَوَاهَا لَا حَالُ وَصَلُ الْمَحْتُوبِ مِنَ الشَّهْدَا حَلَا وَغَلَا

وَصَفَى مِنْ سُرِّ خَدِي عَلَى وَجَنَّتْ عَيْلَة

شَوْفٌ عَاشِقٌ حَارُوْ بِهَوَاهُ شَارِبٌ مَرَارُ ما ينصب الرجا عمر وعشيق جارو

دَابَلُونُو مَسْفَارْ وَدَبْصُونُو جَارْ
وَالرَّقِيبْ مَكْلَفْ مَا بَيْنَهُمْ خَصَارْ
عَيْنْ هَذَا فِي وَجَنَتْ دَ تَطَالِبْ التَّسَارْ
شُوفْ كُرْسِي هَذِيكِ الْيَاسْمِينْ مَعْلَاةْ
مَاعْرِفْ حَقَّ الْجُورَا مَا طُفَا جُمُودْ
مَا حَمَلْ حَمْرْ يُقِلْ كُسرْ عَنْ سِيَارْ
وَلَا مِنْ فِدَا لِلْعَاشِقْ فَا : الرَّقِيبْ تَارْ
شُوفْ كُرْسِي هَذِيكِ الْيَاسْمِينْ مَعْلَاةْ
فَا السَّرَايِرْ شَرَنْتْ كِمَسَارْ مِنْ سَدَاها
كَيْفْ يَحْفَى اسْهَدْ عَلَى كُلِّ مَنْ يَبْرَاهَا
طَلَقَتْ ضَغَائِرْ مِنْ تَحْتِ اللَّلالِ مَعْدَاةْ



مَشْرِيقِيَهْ فَا لُونَهَا شَلَا يَدُكَارْ
تَبِيضًا وَمَذْهَبًا وَمِنْ ذَهَبِ الشَّحَارْ
زَهْرُ الْعَفْيُونْ فَوْقَ رَاسُوْ جِلْسَارْ
حَرُ قَصَتْ احْتُولَاهَا عَلَى حَمْرْ اسْفُكِرْ
الْوَرْدَا اَمْعَا السُّكْمَاسِي فَا غَدِيرْ
اَكْلا نُوْمُكْلا فَا مَرَّ كُتْمَارْ

جَنْبْ كَفَى انْوَاوُشُو وَنَزَلْ فَا غَدِيرْ

زَرْيِرْقَا وَشَامَاوُشَامَهَا مَنِيْلْ

الزَّيْرَقَا هي زهيرة برية زرقاء ، متناهية في الصغر ، وبكثرة في الاراضي الصحراوية ، فتشكل في الربيع والبطاح ، لوحات ولوحات قد لا يحس بروعيتها إلا العنان الشكلي المستبصر . شهد السبي البهامي هذه الزهيرة الدقيقة الزرقاء وهي تبدع لوحاتها في ناحية ما من أرض الله الواسعة ، فتراث له وشامة مددعة . تدعى الوشم على أطراف الأرض كما تفعل "الوشامة" بين النساء ...

الْعَمَارَة "السَّلْسُولُ" دَالْ وَخَرَطَه "طَابِعْ مَهْلْ" مَسْنَعْ فُوقْ الدَّرْعِي

حال وشامة "سَيْلَة مَسْنُولَة" زَكَاةُ السَّيْلَة مَعْرُوفَة السَّوْ رَحْرَحْ خَمَامَة وهكذا اختصنا في هذا المقطع بكل أشكال الوشم في كل القبائل المغربية وتلك المعري حسبوسية من مصوره يوت هذا الشاهد المهم

زَرْيِرْقَا وَشَامَاوُشَامَهَا مَنِيْلْ
شَيْبْ وَشَمَتُوْبَ الْعَمَارَا وَشَيْبْ سَلْسُولْ
شَيْبْ دَالْ وَخَرَطَه شَيْبْ طَابِعُوْ مَهْلْ
شَيْبْ حَالْ وَشَامَا "مَنْ شَافَهَا اتَخَلَّلْ"
شَيْبْ وَشَمَتُوْبَ الْعَمَارَا وَشَيْبْ سَلْسُولْ
شَيْبْ مَشْطَهْ فُوقْ الدَّرْعِي وَ"حَطْ مَعْرُولْ"
بَيْنْ حَالْ وَشَامَا كَمْ مِنْ عَشِقْ مَخْلُولْ

نَسِيَ عَلَى السَّيَالِ رُفَاؤِي مُسْتَعْدِلٌ كَذُعَاسٍ سَالِسًا لِرَاحِ مَدْمَعِي
شَيْءٌ هَمَزَ السَّاقُ وَتَدَامَهَا مَتَوَلٌّ شَيْءٌ نَزَحَ حَمَامًا فِي جِدِّهَا الْمَسْقُولُ
سَوَّفَ نَاكُ الْحَبْلِي حَسُو حُصْلَتِ قُوْعَاهُ مَسَرَّحًا مَلْعُونًا ضَلَّاتٍ فِي حَمَاهَا
كَتَبَهَا فَاَسَدُ اِنْ قُحْضِلَ هَا حَتَّى الْجَاهُ وَلَدَ سَمِي هَشَامُ الْمِيرُ ، وَلَدَ طَهْ

ربما الصورة تعالاه من نفسها وقد يصدر هذا الشعر وهو امر معروفه . الصورة الداعية التي يراها
صدا حسنة ، حتى انك مولاي عند الرجوع من هشام . وقد انصبت الحداد في طريقها الى صند عارة او احمار همة .
وبمثل هذه الاشارات الخفيفة يستطعم السامع بصيرة تاريخ المصور كمنه لا يعقل الشك فيها . ولد سمدي هشام . وهي
قصيدة زهرة

وَسَوْفَ مَلِكٌ سُلْطَانِي عَزَّ اَنْصَارُو بِنْ هَشَامِ النَّاكَ الْاَشْهَرُ

دَبَّابُ الْعِيَانِ وَلَدُ الزُّهْرَا

والسور من شعره ، الملحن ، من لم يزوج لنفسه ، اما يمثل هذه الاشارات . واما بقصيدة تنويه . وبصر الملك في حياته
او حتى باحداث وقعت في عصره ووجدناها عند الناصري او غيره من المؤرخين

قَرْنَقْلُ هَاجُ ، فَطَبِيبٌ نَسَمًا لِلْهَيَّاجِ هَيَّجٌ لَمَهَا جَ هَاجُ قُوَهَا مِ الْهَجَّةِ

سببها عرفنا ان هذه القصيدة ظهرت في عهد السلطان القادر مولاي عبد الرحمان ، والان نعرف انه كتبها بمراكش
ويستل هذه الاشعار تستعمله رصده بجزيرة الشعر . يقول في زهره . وقد سمعنا الاشارة اليها . نعطى سنزو الهجة
الخنرا وقصيدة :

سَمْتُ اَسْمِي سَدُّ رَمْلَانُكَ سَدُّكَ رَوْحُ مَنَّا لَهْ اَشْ عَلِي

كتبه بصفحة وفيها اكثر من دالة . واسمكة درر القيسى شيئا بفسر وهكذا . وعلى سكر العرطل الذي هاج
موهام البهجة أي في ضاحية مراكش يتوقف الشاعر لحظة وليعبر عن حبه لهذه المدينة وهيامه بها

مَهْجَتُ لَمُونُ حَبَّهَا لِلْمَلِكِ عِلَاجُ نَوْحُونَ السُّلْطَانَا وَالْهَنَا فِي طَهْجَةِ

حَضْرًا بَضْرَ طَلُوعَهَا فِي سَعْدِ تَرَاخُ وَطَلَا سَمُ سَرَّهَا غَمِيقَةَ عِلَلِ الْحَجَا

مَنْ دَخَلَ حَمَارًا جَالَهَا عَمْرُوتُجَا

على ان ستر . يا صهر اعلم لا فائدة في تكرار تكرار هذا الشعر من القصيدة . وقرأ القاري مع ما نفق من

العصيدة حتى لا يغوت عليه قرصه سمع برفعها الاطلة والعارجية وما بين كدها اندصها من صل وحرس

شَوْفُ النَّهَا وَ الشَّاكُوكِي عِنْدَ يَشْكِي
الْحَكْمُ بِنَاصَا حَكْمَ حَكَامَ مَرْكِي
بَيْنَ "مَعشُوقٍ" وَ "عَاشِقٍ" كَانَ جَاءَ يَشْكِي
كُنْ عَاشِقٌ بِصَدُودِ الزَّيْنِ رَاحَ مَنَكِي
شَوْفُ تَفَاحَاتِ الْعَاشِقِ زَيْنَهَا تَـاءَ
شَوْفُ ل : "الْدِيدِي" وَ "الْجَلَنَارُ" خَوْهَ حَيَّاهُ
الْبَهَامَا يَرْفَقُ بِمَحَايِنُو مَنْ شَكِي
شَوْفُ ل : "مَعشُوقٍ" وَ "عَاشِقٍ" كَانَ جَاءَ يَشْكِي
شَوْفُ تَفَاحَاتِ الْعَاشِقِ زَيْنَهَا تَـاءَ
شَوْفُ ل : "الْدِيدِي" وَ "الْجَلَنَارُ" خَوْهَ حَيَّاهُ

☆☆☆

شَوْفُ "الْجَمْرَاءُ" عَلَى خَدُودِ الْبَيْدَرِ مَاتَ
تَكْنِي بِخَدُودِ نَائِرًا بَيْنَ الْحَرْجَاتِ
"خَابُورِي" نَحْتِكِيهِ كَحَوَانِ افْ لَنَعَاتِ
جَمْرَاءُ ف : قُلُوبُ نَاسِ الْغَرَامِ الْعَاتِي
وَالطُّفْسُ خَلِيلُهَا مِنْ هَوَاهَا وَأَتِي
يَخْبِرُ مَنْ هَوَى الْعَاشِقُ فْ أَنْعَاتِي

خَرِيرِيَا خَرِيرِيَا زَهْوِ أَوْقَاتِي

"غَالِبًا" تَرَكَتْنِي مَقْلُوبِيهَا فْ غَلَبَا
بَلْفَجُوجُ" وَأَقْحَوَانِ رَبَاوَف : الْمَحَبَا
النَّهْرُ يَبْهَرُ تَسْخُورُ وَنَحْرُ نَسَا
شَوْفُ "غُنْبَاجُ" زَهْرَ مَنْ كَثُرَ مَا تَرَبَا
شَوْفُ "مَصْلَحُ لِنَظَارُ" أَلِيعَتُو مِنْ هَوَاهُ
إِلَى شَطْحَتِ أَحَدَهُ رِيَامُ الْخِيَامِ مَبْقَاهُ
وَالْعَاشِقُ الْمَعشُوقُو مَا يَزُولُ مَقْلُوبُ
شَوْفُ ل : "مَعشُوقٍ" وَ "عَاشِقٍ" كَانَ جَاءَ يَشْكِي
شَوْفُ تَفَاحَاتِ الْعَاشِقِ زَيْنَهَا تَـاءَ
شَوْفُ ل : "الْدِيدِي" وَ "الْجَلَنَارُ" خَوْهَ حَيَّاهُ
لَيْلُ وَنَهَارُ وَمَاهُ عَلَى النَّوَامِ مَسْكُوبُ
إِلَى سَمْعِ اللَّهِيْفَاتِ يَهْتَجُوا لِقَاهَا
كَأَيُّجُودِ بَدِينَارُو عَنْ رَضَا رَضَاهَا

☆☆☆

الزَّرَبِيَّاتُ فْ الْبَطَايِحِ لِلزَّهْمَا
أَبِيدُ الْقُدْرَا مَرْكَمَا سَبْحَانَ اللَّهِ

مَنْ لِيْلَهُ الْمَلَكُ الْبَدِيعُ مَطَرُ زَهَا زَهَرَ الْحَرَجَاتُ فَ الْعَفَا نَسْجُو مُوَلَاةَ
مَنْ حَقَّقَ فِي نَسِيجِهَا بِالْقَهَرِ فَهَـ سَبَّحَانَ الَّذِي انشَى الزَّهْرَ وَنَوَّرَ بِهِـَا

كَمْ مِنْ عَشَّاقٍ حَارَ فِي صُورَتِ مَعْنَاهُ

شَوْفُ هَيْفَاتٍ تَقْطِفُ زَهَارَهَا فَالْأَوْهَامُ كُلُّ بُكْرًا عَمَلَتْ فَوْقَ الْخُدُودِ مَشْمُومُ
رَافِدَاتُ الْبَارُودِ عَلَى حُجَابِ الْإِنْسَامِ حَادَاتُ الشَّقَرَا فِي سَحَرِ غُنْجٍ مَسْمُومُ
مَنْ طَمَعَ فِي الصَّيَادِ نَصِينُوهُ بِسَهَامِ فَ : الشَّبَاكَ حَصَلَ حَرْبُ الْبَاهِيَّاتِ ، مَعْلُومُ
مَنْ لَبَسَ شَيْ نَوَّارَ مِنْ الْحَرَاكِ وَتَاهُ عَنْ خُدُودِ الْأَرْضِ وَسَبَّحَانَ مَنْ نَشَّاهَا
وَاحِدَ انْحَمِدُوا وَتَشْكُرُوا تَبَارَكَ اللَّهُ عَلَى النِّعَامِ لِكَثِيرَةِ رَبَّنَا عَطَاهَا



جَادَنَا مَحْبُوبِي فَصَلِّ الرَّسْمَ بِرَضَاهُ مَا بَقَا غَيْرَ اللَّهِ وَرَاهُ لِلزَّاهِـَا



هذه واحدة من ستة رسومات كتبها أدهامر لدعوى هي وصف الطبيعة الحرة الطليقة ، الطبيعية في الرمي والبطاح ، في
الحيال والسهول من الغابة ، الروح ، أما رسومات الحداد والرماس ، والسماتين ، فلقد عرفت منها أريد من ثلاثين
قصيدة ، إنما فيما قدمناه كفاية لنتقل الى الغرض الخامس



* العشاقى *

إما ما سئل رجل المحور عن العشاقى ما هو ؟ لا بد أن يجيب بأن قصائد العشاقى إما أن تكون قصائد سموه . وإما أن تكون قصائد سماع أو أنها تسمى بالسموه ونسبها إلى سمير أو العكس . ويصعب أن نعلموا هي قصائد العشاقى إما أن تكون مواهى فنكون القصيدة كلها مدح وصر وعطه وشرا . وإما أن تكون محافى فنكون القصيدة مجرد أمات وحنين ، وأنين

ويستدلون على قصائد الجافى بمثل قصيدة الكنوز

مُغْدَاكَ "جَافِي" إِلَى جَفِيَّتِي رَسْمِي
مَا زَالَ يَا لَجَافِي يَجْفَى مُرْكَاحَكَ الْوَلِيْفُ
وَتَتَوَقُّ مَرَايِرُ الْجَفَا وَتَكُولُ أَوَاهُ كُنْتُ
حَتَّى أَنَا جَافِي .

أو " ناكرا الاحسان " لانجار

سِيرَ أَنَاكَرُ الْإِحْسَانِ الْإِيَّامُ تُشِيْطُ وَرَاكَ بِالْقَهْرِ
وَيَبْأَنُ الْبَرْفَانِ فَيْكَ أَمِنْ خَانَ حَبِيْبُو

وعلى قصائد " الوافى " ب : راضيا .. ل : بلفاسم :

أَسَاقِي رَادَفُ الرِّجِيْقِ اَعْلِنَا الْإِيَّامُ رَاضِيَا
تُوجُّو الرِّمَّ رَاضِيَا تَشْتَدُّ الرِّمَّ عَلَى الرِّمِّ وَرَاضِيَا

أو الياسمين للحاج ادريس :

طَابَ السَّرُورُ وَتَسْمُ رُضَاكَ بِفَوْحِ كُلِّ حَسْرَةٍ وَيَعْمَلُ الرِّمُّ مِنْ وَفْقِهِ الطَّيْبُ مِنْ كَمَامِكُ
كما يستدلون على القصائد التي مدح وسموه ونسبها إلى سمير بمثل قصيدة قصيدة سمير : سمير هو في شطرها الاول : نجافى

خَدِّي نَقْرَشُو بِالشُّوقِ الذُّوْكَ الْقَدَامُ

مَا كَانَ هَكَذَا ظَنِّي يَمَّا بَنَتْ الْكَرَامُ

ولكنها في شطرها الاخير :

جَأتُ المِيلَافَ رَأَيْتُ الهِشَامِسي

تَلَحُّفَتْ فَ ثِيَابُ رَفِيعِ مَـ

جَأتُ المِيلَافَ رَأَيْتُ الهِشَامِسي

تَلَحُّفَتْ فَ ثِيَابُ رَفِيعِ مَـ

جَأتُ المِيلَافَ رَأَيْتُ الهِشَامِسي

تَلَحُّفَتْ فَ ثِيَابُ رَفِيعِ مَـ

وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو

وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو

وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو

وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو
وهذه المفااتن الحسية . أجمل شفر على أحلا ثفر . وأحمر خد على أنهد نهد . وأملأ صدر على أنحل خصر أهو

والكافية ، بل وتزيد بكثير عن الكفاية كما وكيفا الى حد أنها تلج الصدر وتفرج القلب

[illegible]

وَقَدْ لَاحِظُهُ عَدْلٌ جَمِيدٌ مِنْ نَسْرِ خَصْرٍ سَوْدٍ عَلَى حُجَّةٍ وَبَعْدَ الْفَرْقِ مَضْمُونٌ

فَاتَّخَذَ مِنْهُمْ أَهْلًا وَمَوْلَىٰ لَهُمْ

ویند و کس ایا که بگوید که در این کتاب

وَيَصِفُ حَالَهُ مَعَ هَذَا الْحَبِّ الْعَنُفِ فَيَقُولُ :

أَهْ مِنْ قُسْرٍ مَسْكِيٍّ لَعْنَةُ مَعْلَمٍ مَسْكِيٍّ
وَأَسَى مِنْ مَسْكِيٍّ شَتَّى وَاسْتِغْنَاءُ مَسْكِيٍّ شَتَّى

غَيْرُ رَأَى السُّرُورِي الْعَدَسِي فِي حَالِي كُلُّ سَاعَا سَاقِي لِي طَبِيبُ أَحْسَالِ الْحَمَلَا

وحدثنا عن محاولاته اليأسية في التقرب الى المحبوبة : والنموذج هذه المرة من قصيدة "الشهدة".

أَمَّا أَمْسَاحِي سَحَبٌ أَفْدَأَمَلُ لَا حَتَّ الْعَمَادُ لَوْ كَانَ قَلْبُكَ نَصْرَانِي لَا غَنَاءَ بَلْيَانُ

ويصف لنا حاله بين الناس في نفس القصيدة :

مِنْ غَيْرِ حَالٍ تُوجِدُنِي مَا بَيْنَ الْأَسْوَاقِ هَائِمٌ

تَرَى نَغِيبُ تَرَى نَحْضَرُ حَتَّى تَقُولَ : سَكْرَانُ

فَ : الْحُبُّ هَكَذَا حَالِي

غَيْرُ سَلَّمَ لِي يَا مَنْ لَا بَلَاءَ وَعَذْرُ

والحق أنه لم يكن يلقي القول على عواهنه عندما كان يتفوه بعبارات مثل :

أَمَّا شَعْبِي قَوْمِي حَالِي غَيْرُ حَبِيبُ السُّبْرِي فِ الرُّوحُ هَلْ مَخْرُجٌ مِنْ جِسْمِي

والذي يبدو أنه قد كان يفسر بحساسية الصادق أن هذا الحد القوي ، العنيف المتمرد
ليس له أية علاقة بالحب ، بل هو كائن مستقل له وجوده الخاص ، وما يندفع اليه العهد ، اللذات من عمره ، رحمه الله من شباب كان
صادقا عندما قال عن نفسه .

قَلْبِي كَبِيرٌ ، مَشْرُوحٌ ، صَغِيرُ الرَّأْسِ فِ : الْوَلَايَمِ

طَبِيعِي رَهِيْفٌ فَإَيْنَ تُوجَدُ مِثْلِي وَإِيسَ نُوْهَانُ

نُضْرَقُ أَخِيَّ إِلَى

عَادَ يَنْدَمُ مَنْ كَانَ فِ : عَيْنَيْنَا مَكْشُورُ

والذي يبدو أنه قد كان يفسر بحساسية الصادق أن هذا الحد القوي ، العنيف المتمرد
ليس له أية علاقة بالحب ، بل هو كائن مستقل له وجوده الخاص ، وما يندفع اليه العهد ، اللذات من عمره ، رحمه الله من شباب كان
صادقا عندما قال عن نفسه .

اشْحَالَ عَايِرُونِي بِالنِّهَا فَ : الْأَقْوَالُ

الَّتِي بَلَا خُفًا جَهْلُوهَا

حَتَّى الدَّهَاتُ مَا عَرَفُوهَا

عبثوه بتحليقاته التي لا تكرر نسبي ، وسياحاته التي تتخطى كل الحدود ، وهذه الآلة التي لم تكن آوفاً عنهم

يومئذ

ف : زَمَانَهَا غَرِيبَةً مَا جَابُوهَا امثال

هو يقول عن هذه القصيدة : زَمَانَهَا غَرِيبَةً أما أنا فقول : سَمَانٌ مِنْ سَلِيمَانَ مِنْ أَلْفَةِ الْمَرَدِّ فِي زَمَانِهِ

ان بن سليمان نفسه غريب زمانه

ف : زَمَانَهَا غَرِيبًا مَا جَابُوهَا امثال

وَحَتَّى ف : الزَّمانُ الْقَابِضُ

وينتقل الى "الياقوتة"

الشَّمْسُ مَنْ ضِيَاءَهَا غَارَتْ

وَالَّتِي يَكُونُ عَقْلُهُ ثَابِتٌ

تَارًا يَقُولُ حَمْرًا

تَارًا سَفَرًا

وَلَوْ فَخْرًا

مَا شِي نَقْرًا مِنَ الْأَصْلِ مَا هِيَ مَطْبُوعٌ

وَلَا هِيَ فَخْرَيْنِ عِنْدَ عُنْمَانِي

مُورِيَتْ سُبُوتُهَا مَا هِيَ مَسْرُوعٌ

مَنْ جَنَّتْ رَضْوَانُ

هِيَ "عَرَفًا مِّنْ بَحْرٍ التَّفَافَحِ" صَافِي مَجْرَاهَا

أَبْهًا وَعَلَا مِّنْ النَّدْرِ بَأَقْوَتَا مَحْضِيًّا فِي حِسِّ السُّلْطَانِ

وَقَانِي بَ : الرَّأْفَا بِلَا شَمْعُوغٍ رَسَامِي ضَوَاهَا

وبعرق في ضياء برق الاشرافه التي اشرف عليه من وجهها والتي سرعان ما احتفت لتتركه بكيها هي "الشهدة" هي العلامة في الدالة إلى أن واقعته المنيه أبها الدرام المحففة إلى محبة عن انوع معرسة لسرح معرير "طبعاً لا أعنى الدافوة وحدها وإنما أعنى حياه من دافمان "حمله وبهضبة" حده المسوى لهذه الدافوة أو الشهدة أو الوردية معانيه من أقر المذبح في عصره وخصوصاً بهد د علو ود ر من القدسية أو المعوقه التي صدرت على علاقه هذه ودوره إصابته بدأ بصحم القلب لقد انهمز له من عسر وبنا أكثر هذه الكلمات فأنلف بعضها وعسى أن أعيد كدانه هذه المعجمه فالحه وحده هو الذي يعلم ما أنهي من سنا كلم يعاسب مع شعر هذا الانسان

اضْوَي مِّنَ الْمَصَابِيحِ فِي دَاجٍ إِلَى كُحَالٍ

وَنَهَى مِّنَ الثَّرَا بِكُـ

وَبَهَا مِّنَ "النَّدْرِ الْمَبْدِي"

"عَلَى التَّمَامِ هَذَا قَصْدِي

النَّدْرُ الْمَبْدِي أي الظاهر من بدايته ولكنه مشي في هذا المعجم لندر لمبدى أي الذي في بدايته ولا يزال كالشجرة ، فسارع الى القول عَلَى التَّمَامِ هَذَا قَصْدِي

ضَوْأً مِّنَ الْمَضِيَّاهِ = الشَّمْسُ

هِيَ صَبِيحَتَا

عَلَى الثَّرَا

هَذَا هُوَ كَسْلُهَا وَصَدَّ هَذَا شَمْعُوغُ

وَالْبَرْقُ الضَّائِي فِي شُرُوقِهَا فَأَنْبَسِي

لَعَقُولُ مِنْهَا فِي شَطْنَا مَذْهِبًا شَطَانَتُ الْأَذْمَانِ

يقوتا حرا وكل ضاوي ، ضاوي بضياها

ابنُها مَنْ الادْرَارُ السَّيَّارُ فِي كَمَالِ
هَانُوا مَنْ الْفَلَكَ النَّامُورُ
هِيَ عَطَاتُهُمْ مُحَاسِنُ
وَاللِّي يَكُونُ طَرْفُوْهُ وَأَسْرُورُ
بَعْدَ الْمَنَامِ يَنْظُرُ
سِرًا مُعْتَبِرُ
بِهِ يَفْهَرُ

حَتَّى يَرْجِعَ مَنْ كَمَالِ ضِيَاهَا مَفْزُوعُ
وَأَنِيَا شَلًا نَصِيفُ بِلْسَانِي

عَمْدِي صَدْرِي مَرِيضِي عَمْدِي هِيَ مَرِيضِي

وَنَجْمُ الدَّاجِ إِلَى ضَوَاتِ يَظْهَرُ فِ : الْفَلَكَ سَنَاهَا

☆☆☆

وَفَرَا عَلَيِ الْجَبِينِ ، اللَّيْلُ فِ : وَسَطُوْهُ هَلَالُ

دَائِجُ الْمَعْدِ طَرْفِيْهُ نَدَامُ

صَدْرِي سَعِيْدِي عَمْدِي

وَمَنْ مَقُولُ عَمْرٍ رَحْمَتُ

لَعْلَامُ لَيْلٍ وَفَقْدُ

رَبِي الْحَقُّ

مَدِيرُ نَوْفِ

بَدَأَ فِي حَمْرِ الْأَسْوَاقِ مَالِ سَمِيرَةٍ رَا لِنُؤْلِسُوعُ

وَالْأُورَا هِيَ حَسْبِي وَرَحْمَتَانِ

وَالْعَصْفُ هِيَ عَشِي وَالْهَمْرُ مَنِيَا وَالْجَفَا نَسْرَانُ

وَالْوَجْنَا هِيَ رَاحَتِي وَلَا يَقْلَعُ إِلَى مَلَقَامَا

☆☆☆

أَحْلَا مَنَ الشَّهْدَ فَنِي قَلْبِي وَمَنَ الْمَصَا

أَحْلَا مَنَ الْخَمْرَ فِ : طَلُوعُو

وَيَعْمُرُو رُسَيْفَ نَبِوعُو

بِمَرَاشِفُو يُكُونُ قَطُوعُو

نَجْنِي فِ : كُلَّ لَحْظَا

وَرَدَّ فِ : لَحْظَا

وَحَالُ يَرْضَا

كَتَقَطَا مَنَ أَمْدَادُ فِي وَرَدَّ بِلَا مَقْطُوعُ

حَاضِيَةُ غَلَامُ عَلَى الْيَمِينِ سُودَانِي

نُورِيكَ حَلَّتُو يَأْسَايِلَ زَنْجِيَا جَاتُ مَنَ الْحَجْبِ كَانُ

لَأَبْسُ بَرَنَاتُهَا مَنَ نَشَاهُ مَنَ سَرَّ الزَّيْنِ أَنْشَاهَا

☆☆☆

يَأْسِيْفُ عَنَّتْرَا فِ : نَهَارُ يَطُولُ الْقَتْلَا

يَابِتْدُ دَوْلَةُ الْعُلَاوِي

صَبِّحُوا يَغَايِرُونِي بِالتَّيْهَاتِ: الْاَقْفُ وَالْ

الذي قد جئنا به ههنا

حَتَّى الدُّهَاتِ مَا عَرَفُوهُمَا

هذه النسخة

— ۱۱۱ —

شَعَرُوا هَاجِرًا

رَاحُ خَاسِرٍ

وَالْعَاشِقُ مِنْهَا — رُوحٌ مَوْلَى مُلْكٍ — رُوحٌ

الغاشية فلما عفاها الموتى والصغير يعود عن القصيدة في أن يمدحها ، أو يقرأ هذه القصيدة أو اسمها بها ،
 ، مولود مملوك ، وصبي ، أو سيف ، على اللحو - فردوس ، في حصن هذا المعاني لا ، من مملوك يعيس ، وحف
 ب : الفنانين قرحا مثنيا " فرحته بسلام الرجوع ، فرحته بما جاء من دخان

أَنَا سَفَرْتُ عَلَى الْجُوعِ قُرْصَانِي

وَرَجَعْتُ بِالْغَنَائِمِ فَرِحًا مَتْنِيًّا " قَابِضٌ لِيهِ دِمَآنُ

هَذَا لِهَوَى يَآ اَهْلَ الْهَوَى مَخْتَصِرٌ ف : هُوَ اَـ

ويسر من هذه أن نمر هنا إلى أن مثل هذه العبارة أو ستقرب على اللوح فترصد والامعان التي هي الشهدا

هذا سُحَالٌ وَذَا فُرْصَةٌ عَاجِزُ الْعَمَامِ وَالنَّوْحُ سَاعِدُو رِيحٍ سَعِيدٍ عَلَيَّ

الْوَصُولُ عَوَالٌ

هُوَ رَمَاهُ لَلْمَالِ رَابِعُو عِلَلٍ لَغْنِيْمًا صِيْفُتُ سَوْنُ دَوْرٍ

رِسًا امْخَاطِفُوفٌ: الْمَرْسَا وَتَكَلَّمُوا الزَّرَائِمُ

خَرَجُوا أَهْلَ الْمَدِينَةِ قَالُوا هَذَا الرَّأْسُ فُلَانٌ

نَادَا سُرُورَهَا فَالْـ

فِي اسْوَاقِ الْفُرْجَا تَدْخِيرْتُ وَيَشْهَرُ

أَنْفُوسَ عَنْ بَذِيْعِ الْحُسْنِ فَفُتِقَ اللَّجْـ

نَفْسِي إِلَى وَقْفٍ لِي دَيْـ

وَجَابَ الْغَنَائِمُ قُرْصَانِي

مَنْفُوتٍ مَعْرُوفٍ

مَوْحَا تَلَوَّحَهَا مَوْجِدَ مَرْفَعِ

وَلَا قَدَرُ رَأَيْسٍ يَرْصَدُهَا

عَارِفُ الشَّحْرِ وَخَدُهَا

عَلَى جَهْدُهَا

بالويلات التي صادفته

أَنَا رَهَيْتُ رَأْسِي فِي الْبَحْرِ لِحَسْبِي

وَهَذَا الرُّبْعِي تَعَارُ كَمَنْسَا

أَنَا سَفْسَتِي كَسَرْتُهَا مُجَابِسِي

نَجْنَا يَا صَاحِبَ الدَّمَامِ غَرَقْنَا

مَاحِثَ لَبْعَا عَا صَبَقْنَا رَأْسِي

وَالْجَارِي عَمَلِي

كما لم يستعمل سيدي عبد القادر العلمي الفرص في الحالات الاخيرة بل اكتفى بـ الرايس كذلك اكتفى بن سليمان بـ "البحريا"

وليس هذا المرح وحده هو الذي يفيد امداد سيدي عبد القادر في شخص بن سليمان . بل في طروحات وطروحات . يمتد فيها شعر الاول في شعر الثاني . زيادة على اللفظة المشعة . والعمارة الموحية في شعر هذا كما في شعر ذاك . وزيادة على طرو السبر في كل الموضوعات التي يلقي فيها هذا بذاك . وزيادة على الكيفية التي يسكن بها كل واحد منهما عصابة قلبه . وحلاصة نحاسيه . ومقارعة الحصور بقوة . منصو وبصاعة بعسر في هذه القصيدة أو تلك . وفقه الدارحة المعرّبة في شعر هذا كما في شعر ذاك . وبوصو . مقولاتها . ومعانيها ومثلاها . على كل حال نطق اللقاء الذي يلتقي فيها بن سليمان بسيدي عبد القادر كثيرة وكثيرة جدا جدا . وليس من شئنا القول أن نشير هنا الى أن عمر بن سليمان لا يريد عن ربح عمر سيدي عبد القادر إلا بسنتين فقط

والله الزين ما ندور ولو يسخا بي في طبع زمـان

عشقي صافي حبا وحالت الفساد ما نرضاها

أنا المولوع بالهوى كيف مولع بي ما عندي رقـبان

غير عذايا بمشاهب اللضا تتخبط ف : لضاها

تخوض الرنق والخمر في شفا عسـلبا من غير الكبـسان

هذيك الدات منين تنتقل من داهـا لنواها

والرنجار وحل يمتزج ونعصر ويبيـبا ف عيون العديـبان

وتضررت الكرة من الحسود قامت الاريـاح معاهـا

قل هو الله حصن حصين وقل أوحى وايات الرخـسان

هذا الحمسا هما حجاب وسورت ياسين وطه

وسلام الوهب واهبو لصحاب الوهيـبا برجال أو نسـوان

ف : رياض المعنا قال بن سليمان عقود رواها

كَانَ سَهْبَتِي سَتَقْضِي مِنْ حَالِ سَهْـوِكَ وَآلِي تَهْتِي النَّيَّ تَغْرِيكَ أَيَّامُـو
تَنْظُرِي بِمَلَامَحِ الْأَنْصَارِ الَّتِي سَبَقُـوْهُنَّ كَمَا فَرَعُوْهُ بَفَرَّغِ سَوْفِكَ وَرَحَامُـو

سِيرِي حَتَّى يَشْرَبَ عَوْدُكَ بَلْجَامُ

أَلَمْ تَرْفَعِي قَسْرَكَ بِصَعْرَارِ لَأَدَاتُ يَدُلْ عَلَى كَمَالِ طِبِّ النَّسْبِ
لَا تَصْرِفِي فِي حَيْسِكَ عَارَ رَدِّي شَيْطَانِ تَلَاحُ عَنْ عَيُّونِ الْوَدْبِ
الْجَفَا بَعْدَ الْوَصْلِ غَسَارَ صَاحِبِ عَرْضُو بَيْنِ الْأَصْحَابِ مَا لَوْ صَحْبِ
لَا تَغْلُظِي حِينَ تَنْظُرِي بِنَاضِ الْكُمَامِ عَمْرَ وَقَاتِ أَهْلَ الْعَلَطِ مَا نَطْبِـو
لَوْ شَرَقْتَ وَلَا حَتَّ فِي الدَّوِّ شَمْسُكَ غِلَامَ لَا غِنَا اللَّيْلُ يَنَادِي خَلْقَهَا حَجِيْبُـو
لَوْ تَعِدْشِي مَا عَاشَوْفَ الزَّمَانِ الْأَهْرَامِ لَا غِنَا مِنْ لَكْرٍ بِأَنْتِ جُنْدَ شَيْبُـو
إِلَى حِكْمَتِي وَتَحْكُمَتِي بَفَرَّغِ الْأَحْكَامِ سَاعَتِ الْمَلَمِ تَقُوتُ ، وَنَاسَهَا نَغِيْبُـو



حَسْبُكَ وَالْخَبِيرُ لِلْعَاقِلِ تَنْبِيْهُ تَرْكِي صَدَّ الْجَفَا وَجُولِي فَ أَوْصَافِي
عَرْضُكَ صَوْنُهُ ، وَعَيْنُكَ الْمَاقَصُ غَطِيْهُ مَحَلٌ مِنْ جَا يَصْدُقُ وَالْقَوْلُ الْوَافِي

حَافِيَتِكَ بِالْجَفَا وَلَازَلْتُ انْحَافِي

مَا أَحْدَثَ لَكَ مَنِّي هَجْرَانِ يَا مَنْ لَا فِيهَا خَيْرٌ مِنْ شَغَافِي يَكْفِ
بِإِخْ سِيرِي بَعْدَ الْكُمَامَانِ لِمَنْ نَشْكِي بِحَفَاكَ يَا قَلِيلَتِ الْوَفَا
قَسَالَتِ الْوُدِّ وَالْعَرْفَانِ مَنْ لَا يَحْسُنُ بِإِحْسَانِ مَا يَلِيهِ مَعْرِفَا
بِالْوَفَا وَأَهِي مِنْ وَأَفَاكَ بِكَ يَنْعَامُ أَشْرُ مِنْ حَرِّخِ نَرَامَا عَالِحُو طَبِيْبُـو
إِلَى أَمَانٍ لَا زَمَّ عَنِّي وَأَجِبَافِ الْأَهْرَامِ لَا يَقْطَعُ مِنْ بَهَاكَ السَّاحِي نَصِيْبُـو

بِإِمْكَارِهِ كَرَمِي ، وَالرَّاحِمِينَ تَرْحَمُ لَوْ بَخَلَّتِ الْبُخْلُ لَا لَبَّوْادُ مَا أَرَحِبُ
صَالَتْ الْعَرَبُ زُورِي بِسَرْعِ الْأَقْدَامِ ضَرَعُ نَاسِ الْبُودَا مَا غَرَّ مِنْ حَلَابِ



مَنْ بَاعَ حَبِيبَ خَاطِرُو بِالْفِزْلَةِ بَاعُوا بَيْعَ الْخَطَا بِوَمِ رُخِيصِ
أَنَا قَلْبِي عَلَى الْمُحِبِّ مَا وَلَّى وَفَتِ قَلْبِكَ كَبِ الْحَبْرِ جَلْمُودُ بَيْبِ

مَبْقَانِي مَنْ جَفَاكَ كَانَعَدَلُ وَتَمِيسُ

أَشْ قَلَّ حَسَانُكَ وَجَدَاكَ حَتَّى خَدَّاهُ عَدِي بَغِيرِ
شَسْرُ قَبِيحِ أَفْعَالِكَ يَلْفُكَ مَا يَنْجَحُ مَنْ لَا فِيةَ صَدْوٍ وَلَا
فِي نَهَائِتِ مَسْطُورِ غَنَّاكَ رَدِّي نَفْسَكَ لِحَجَّاسِكَ لَا تَكُونُ سَهِيَا
لَارْمِي مَنْ طَاعَكَ وَلَفِي عَلَيْكَ الْمَسْلَامُ وَأَشْ قَلْبِكَ وَصَدَاكَ شَاءَ عَمِي رَهِي

لِلصَبْرِ شَدِّي يَا تَاجَ الْغَوَارِمِ مَزَامُ عَارَ الْمَشْيَاحِ الْعَاقِلُ لَاغْنَا يُوِيبُوا
بَيْنَ لَمَحَاسِنِ لَيْكُ رَغِيثِ حَسَقٍ وَدَمَامُ لَاغْنَا كُلَّ مَنْ الدَّاءُ الْيَقِينُ يَبِي
إِلَى قَرِيْبِي مَسْطُورِي جَوِيْبِي بَسْمُ سَلَامُ وَأَشْ شَرِّ الْمُحْتَوِي صَفَا عَلَى حَرِي



أُمُولَاتِي إِلَيَّ وَتَيْتِ الصَّفْحُ يَقُمْ نَوَيْتُ بَحْرَ نَارِ شَوْقِي وَغَرَامِي
قَوْلِي يَا أَشْ خَيْرُكَ الْمَنْعُومُ نَتَمُّ هَلْ تَرْجَعُ كَيْفَ كَانَتْ أَمْعَكَ يَا مِي ؟

نَكَارُ الْخَيْرِ قَالَتِ النَّاسُ حَرَامِي

لَمْ يُوْثِقِي عِلْمُ لَشَهَادِ حَامِي نَفْسِي يَا بَرِي
كَأَنَّ عَشْقَكَ إِلَيَّ جَسَادُ مَا لَوْ نَهَضَ يَا بُولَالُ نَارِي

بـ ما نرى للفساد... سفق خيرا...
 ب الزنارا ولقني حساك التمام... كل يوم تهب نسيم الرضا تطيب...
 فالكذني ، زورني في... الى غضبك لقلب نروق من غضبك...
 عبدا لحبل تراعى ليك عندك سلام... ليك طاعا والعاذر رشا حسيب...
 الكدوب امولاتي ف المداهب حرام... قال مملوك غرامك بردي لهيب...

كانت هذه هي قصيدة قصيدة أو القصيدة كما سماها فقيد مدرسة الملحون المعاصرة محمد دلال رحمه الله وهي للجدلاي ميمود المراكشي وقد سبق القول على ما مر أنه كان رحمه الله على رأس شعراء الملحون الذين عاصروا السلطان الصالح المصلح سيدي محمد بن عبد الله

والقصيدة كما لا شك لاحظ القارئ الكريم ، غير عادية ، عاطفة صادقة ومن شجاعة مرعاة لها أن الشاعر يعاطف فيها وجه العصبية ، ومنهم من يصنفها قصيدة هي أم النجار صاحب قصيدة نور الحق السماوي وأن هذا الأخير نشأ في أحضان الجدلاي ميمود إذ يروح أمه التي ترميها في عرشها ، ويسرى طفلها ، ومنهم من يقول لا أنها مجرد شبيحة عاطفية ولم بها وعاش مدة طويلة لا يفوقه لها من لدني الافراح الذي كان حبسها بعد الحوري وهي نفسها التي قال عنها في غنيته من أغانيه **يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ تَلَحَّقَ عَيْطُونًا طَائِحًا بَ : الْمَدَامُ تَلَاغِي**

أما أما فهم الرأي الأول ، ويحدي من الأدلة ما يدعيه ، أما الموضوع برمته مكانه ليس على صفحات هذا الكتاب وإنما في الترجمة للجدلاي امتيرد من كتاب **أعلام الشعر الملحون** وسيصدر قريباً إن شاء الله

الشعر الغزلي

أما القول فيمكن في نظري أن يقول الرجل لامرأة أو ثوبها جميل وأن الالهة مداسقه يرداح اليها العسر فقد مررنا واحداً ولم يقصد وعلى الأساس أنيقه قصيدة اسامير الحاج إدريس بن علي وهو من العاصرين السلطان الجليل الحسن الاول قدس الله سره

حبات السرور ونسيم رضاك تفوح كل حين... ويعطر الرناض أوغفو بالطيب مر كاهلك
 وغراس الارهار تحضفوا لتهالك ما طير... والناس فامتك بمحتر وبند من قوايك
 وحساف ضل عطفك باموالاي مرفس... في العز والهناء والسطوا ، والسعدان غلامك
 لانه لا حقا لا حتر العاود... بالفرح والسرور ولما والعسر في مقامك

انت للي علاشاك علل لبنات كاملين
 وانت جميع هل لمحاسن لنهاك خاضعين
 انت الساكنة في قلبي ما طالت استنين
 والسر والطاقا والعقل الراجح الفطين
 والشمس في الصبح تسبحيا وتغيب في حجب
 ما ريت ف : الغوالي مسرارا باهيا ابحالك
 وب المالكسي من بعد كنت لك مسالك
 غزيلة لبقا وعذاب القلب من جمالك



انت جويهر مكنونا ف : العقد الممين
 والجوهري النفيس الساطع والدرؤ الجين
 انت الروح والراحا ، عندك خاطري رهين
 وتبسمي بين الجوهرف : الخاتم الحصين
 وننت وبقنا والياقوت قليل في امثالك
 قدام صورتك يتلاشا ، واش قيمتو قبالك ؟
 فكى يسير حسنتك وفدي من زاك في دلالك
 وشايلي وتيهي يحلالي كل ما خلالت



انت في وصاف بهاك يحبروا الواصفين
 وغصين القيد وخراب التيت والجبين
 وعيون كعيون الضبي اسرادا مهذبين
 طلبت الشرع من لشقار اللي امخبلين
 والقول ينتهي ، ويختصر الكلام في وصافك
 ونجاه حاجبك لمعرق رفعي لي حجابك
 ولى انحيوا للحق الضبي بغير من عيانك
 والخذ ورد حباشي يجري فيه ما شيباك



بك السوانع او الايام او الاوقات زاهيين
 وتتي في حلل وحلي والبهدين واقفين
 والعود ينحرق وذموع الشمعات ساكبين
 هاك الالفاظ تسحر هل الانواق المادبين
 ومباسم السعادا تضحك بسرور هاتفالك
 نحكي لويمنات تقول لمن جايشوف : مالك ؟
 وب ف : قلب قبا ملوكا بمارهـالك
 نحكي عقود حذك ، وحلوا كنها مقـالك

عن (أبي) (الأنبياء) (عليه السلام) قال: **الْبُغْيُ عَلَى قَوْلِ مَا بَيْنَ الرِّثَامِ سَمَّاكَ**

اللازمة أو " الحرية "

[illegible]

• ★ ★ ★

المذموري ، الذي لا يدانيه ، ولا يمكن أن يجاريه أحد في هذا الباب :

[illegible]

هَذَا هِيَ الْفَصَاءُ بِهَا فِي مَدْعَى بَعْدَ نُونِ عَرَبٍ مِنْهَا مَا لَا يَخْرُجُ سِلَّاتٌ مِنْهُ فَصَاءٌ وَتَقَارُّنُ كُنُوْنَ كُلُّهَا عَلَى أَهْلِ

إدريس بن علي :

١١- ماضي الحاضر:

عبد القادر العلوي

ولولم يكن في مثل هذه القضايا (شيء) شبه حميد من هؤلاء، ويمثلان، ومعاني مغربية صعبة، وبنو، وطرائف

وحكيات ومعربات كثيرة رائجة في أوساط الجماعات القبلية والشرقية ولم يعد لها من أثر يذكر ما بها إلا هي مثل هذه القصائد قول لو لم يكن في مثل هذه القصائد شيء وحاضر برائته لا لبس سمعها وبحاول أن يوثقها لعاديت بالفتا حبيبها في الشعر حتى ولو كان غير صحيح في حقه ما هو إلا قصد تصويره ولا يخفى ما فيه من كبير نفع لمخيلة الانسان الذي لا يقرأ ولا يكتب ، أو لتصوراته

مع محمد بن عبد الله بن أبي حمزة في القصيدة التي لا بد من كتابتها في البصرة حينما جاءه كقصيدة رسول من علي ولد ادریس

رمح "قَدْكَ" ديوانِي صَابٌ وَ "السَّوَالِفُ" تَكْسِي ذَاتَ الْكَمَالِ كَمْ مِنْ نُوبٍ

وَ "الْجَبِينُ" انوارُ تَلَهَبُ

"حَاجِبُكَ" قَوْسٌ رَمًا شَسَابٌ وَ النَوَاجِلُ شَهْلًا بِالسَّحَرِ رِيثَهَا مَكْتُوبٌ

شَيْءٌ مِنَ السَّحَرِ وَذُوْجُ احْرَبُ

وَ "الْخُدُودُ" وَرُودٌ فَ : تَخْصَابُ بَيْنَهُمْ "غَنَجُورٌ" فَ تَسْلِسُ زَانَهُمْ خُصُوبٌ

وَفَ : "التُّغْرُ" دُرُّ اللَّأِ نَكْسَبُ

سَرَفُ : "الْعَتُّونُ" الرُّكَّابُ زِينَتُ اللَّبَاءِ وَ "الرُّكْبَا الْوَاقِيَا الْمُسْلُوبُ"

وَ "الْعُضُضُ" بَرُوقُ فَ : لَحْجَابُ

وَ "الكُفُوفُ" اصْبَغَ مِنْ عَنَابُ وَ "الصَّبَاعُ" قُلُومًا بِخَوَاتِمِ الذَّهَبِ مَرْكُوبٌ

وَفَ "الْصَدْرُ" رَمَانُ امْحَجَبُ

ويقف عند هذا الحد ليقول :

شَيْءٌ مِنْ وَصْفٍ وَصِيْفِكَ جَابُ مَا لِي مَا شَبَّهَ لَبْهَاكَ يَا هَيَّا مَا نُوبُ

لَافُ : لَمُنُونُ وَلَافُ : عَرَبُ

ومنهم من وقف عند محاسن الوجه ، ومنهم من اقتصر على جمال العيون أو جمال الشعر ، ومنهم من اشتهى بأشراقه بسمة ، أو رنين ضحكة بل قد نعثر على أبيات هنا وهناك ، وحتى على قصائد كاملة ، تتجاوز جمال المرأة الحسي لتصل الى جمالها المعنوي ، رقة مشاعرها ... رهافة أحاسيسها نبل أخلاقها و و إلى آخر محاسنها المعنوية

وخير من أعطى العطاء الاوفر في تجاوز القشور للتعامل مع اللباب هو سيدي هاشم السعداني رحمه الله

زَيْنٌ وَتَحْتَ الزَّيْنِ سَرٌّ مَا يُوصَافُ فَ : الْأَشْعَارُ مَا يَنْتَظَرُ بَيِّنَاتُ

زَيْنٌ اِيْحِيرُ الْاَفْكَارِي زَيْنُ الرُّوحِ الطَّاهِجَا يَخْلِي لِمَحَاسِنَ عَاطِرَا

وَقَلْبٌ حَلِيبٌ صَفَاوَتْهُ وَبَعِيدَا مِنْ كُلِّ غِيَارٍ وَالرُّوحُ مِنَ التَّطَهَّارِ

يزيد كل ساعة شوقي من فقد لا تمشي وتعود السعا على خدوبي مسكوبيا
 باقي غريب في فاس البالي فرسد من شفو حالي
 كانبسات تقسم داحسي ودمعت الشوق عطيسلا
 ايمتى كان هنا الفراق

فرقت ناسي وزجالي أو اللي شطسنو بـالي
 والمساييف شلا وطريقها من الخوف طويلا
 طول زمانني نسعى الله لملل العالي
 نصف شملي بقر السبي

للمدينا الحمراء نمشي نشوف زين التخليلا

غائب غائب هذا شال ونام الغباط الواسي راس الله في زسر القرنا مشسوبا
 عمدا عمدا للي غريب كفي وهوا تحسوالو ملاد اسس ما يقصب الرجا مشسوبا
 طالب نعم المتعال ما خيب قصد من سعالو بصعقي ه منبت الحضر فامانو محسوبا

والغريبيا جوبا وخرفا والوعذ المكتسوب

مسنرني للنبه والجفيا وفرا منك راس الملب رحنفا
 نار الفراق صغا والعبا واعرا على لحنان والرزق والطعام تدي اللي ساقنا مكتساب

واللي هو ان ما يصنفاب

طالب ربي عالم الخفيا بجمعنا فدا ساعا رهيا

ونقسلو على سلامت الفيساب

هذه أغنية ملحونة السرايا وقد سبق أن تناولناها بعض التفصيل في الفصل الاول من هذا الكتاب

هلت هذه اعمدة ملحونة كتبها شاعر مراكشي وهو من مدينة فاس ولا ندر في مقابلتها ما عده الملحونة أخرى كده

شاعر فاسي ، وهو في مدينة مراكش

ي ش يسسني فراق لوساس أعشيري خلّيت أما بلاد الحُصُر

وبعيت غريب في بلاد المساس

مري لا عسري لا حشر رهاس أعشيري يا تبي ب الأبرأ يخبر

وبهينسي على مدينة فساس

عسري هي أرض امتدة وغر مر عسري هي بقما نكل ضاسر

مدعها حراف القضا مدعساس

أعلي ضامنها سلطان أرضنا عساس

ن نحررو ماله فساس روح داسي مولاي سربساس

أيه طبع عت من نور عكساس من الهدى وثبت المقتساس

ب فدرود املاحة لاقه فساس داه عفتو ما صرت ونساس

مري ولف ما تنفك نوب الامواس اعشيري سمير نورب النواعر

وبذور الزين من اختيار الناس

اعشيري يظهر فاس الحد فساس اعشيري مر العفات والعناصر

تما قصر وبيان ف : العسقساس

اعشيري ساهف : نعر : مر الاعراس اعشيري يظهر بين العمال كسر

زلاغ على مدينتو عساس

أعلي شوف جنان النوح ف : البطايح مساس

ولعشيق ب : الغرام ثقساس

مزل ناعلي كم لي سرحا مر عرشي مدعو سنا هذا اشحال كاسرجا

ولا فطقتني لـيــــــــــــــــاس جرح العـضـــــــــــــــــب نـعـــــــــــــــــيـــــــــــــــــر مــــــــــــــــاس

خوباً وصاحبني طالب ربي ، تلقى عشائري واصحابي ، نفسي امحاني وشعابي ،

مَنْ اللّٰهِي نَرَى مَدِينَتَ فــــــــــــــــاس

يقولون الشعبي للشعبي بسبب أما الائمة الداسة في هذه المجموعة فهو الغريب للفرقة من

منارك عبدك واهبا البرأتني من لالو سنين والعام يتراحد معا اللي ملو في الغربا قريب

واللي عندو محن صار ليه وكبـــــــــــــــــد يـــــــــــــــــعـــــــــــــــــسا فــــــــــــــــروا صــــــــــــــــح العــــــــــــــــبيــــــــــــــــد

وَأَنَا مَعَكَ تَتَفــــــــــــــــافــــــــــــــــر

قرب لي نعيد ليك اختباري

ونعيد لي خبارك

نحكي لك أش صار في أيام اغديدا

أنا متغرب .. والغريب يرجأوة ناسو

بعد حين في أيام سعيدا

وأنا ناسي جويأ اضحواوا

حايزهم واد " غمــــــــــــــــات "

المكني " صــــــــــــــــرا "

وواد " نفيس " مــــــــــــــــواجة للحدار

وجبال " الدير " و " تــــــــــــــــيودار "

بهجا ونعم بهجــــــــــــــــا

صالت بسرورها على القلب لذيــــــــــــــــدا

حُورَانُ كَالْحُسُودِ لَابِدُ

غَزَلَانُ يَبْهَوُفُ وَطَيَّانُ الْبَيْسِ دَا

أَنَا فِي قَاسٍ قَرِيدُ

وَالْحَبِيبَا رَاهَا فِي بَهْجَتِ الْمُتُونِ الْحَمْرَا أَرْضُ اجْرِيدُ

وَالْمَرْكَدُ نَادَا

وَنَقْدَامُ مَوْلُو سِي عَلَى اللَّيِّ سَابِقُ لِسِي مَكْنُوتُوبُ

فِي سَطُورِ التَّنْفِيدِ

وَسَوَائِعِ الْفَسْرَاقِ يَفْسُوتُ

وَتَرَجَعُوا الْفُرْجَاتُ لَذِيدَا

أَنَا الْغَايِبُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ

عَشْرَ أَيَّامٍ طَرِيقُ

وَالْمَسَايِفُ شِلَالًا وَطَرِيقُهَا

مَنْ الْخَوْفُ شَدِيدَا

لَكِنْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَشْرُ يَدِي نَعْمَلُ لِحُكْمَامٍ لَيْسَ

أَرْجَايَا فِيهِ يَلْمُ لِسِي السَّمَلُ . وَأَمَهُنَا وَلَا نَعُودُ نَكِيدُ

نَفْرَحُ بِالرُّضَا وَنَزِيدُ

أَوَامِدِ الْبَيْسِ رَائِي

قَرَبُ لِي التَّوْحُو غَيْرُ أَنَا وَيَّكَانُ

شَاوُ شَوْفِي

وَتَفَكَّرْتُ لَا مَتِي وَتَسَاسِي

وَصَبَحَ جَمْرِي زَنِيدُ ... يَوْمَ الْعِيدِ

وشعر الغريب لا يوجد في الاعراب منجزاً فليس يجرى السير ولا يفرق القصد من العبد الذي لا يهاجر إلى
خبر تغريبة الفقيه لعمرى بتأدلة ، ومسقط رأسه مكناس :

يا مغربي على الغربة الغداي عروءه على سفود في ادب ، واضطرب على غريبي في حافة سقوف ،
على كل حال عروءه من قصيد من شعر الغربة ، لم أحسن قصيدة سمعتها من ادب الادب فقصيدة من
العمال مع أكثر من شاعر مع حوه ولا هو الموعود ، بل هو غداهي لا يجرى سير ولا يفرق القصد من العبد

والى جانب شعر الغريب نجد شعر الرحلات رحلة بلقاسم الى سلا

هَلْوَ الْأَحْصَارُ السُّقْرُ قُصَّةً اسْقُودُوا الْأَنْبَرُ هَلْوَ الْأَحْصَارُ
وَبَرَّ بَصْمَارُ وَبَرَّ بَصْمَارُ وَبَرَّ بَصْمَارُ
صَحْبُ الْأَحْصَارِ الْهَارُ نَسْرَبُ لِلْمَقَرِ قَدْ أَمَلْنَا حُدُودًا سَعِيرَ
هَامُ بِسْرِ قُفَارُ نَابُ مَوْزُ شَبَّ الْبَصْمَارُ
مَاعَيْتُ قُرَارُ عَرَّ أَنْدَجِي الْأَهْوَا وَبَرَّ بَصْمَارُ
وَبَهْمَا الْأَهْوَا رَسْمُ مَوْزُ شَبَّ الْبَصْمَارُ
نَابُ الْحُدَارُ وَصَهْرُ حَمَا هَمَامُ حَمَامُ عَرَّ بَصْمَارُ
رَاقِبُ عِلَّ الْأَسْوَارُ بَرَّ بَصْمَارُ وَبَرَّ بَصْمَارُ

رحلة البحار الى فارس رحلة بوراند الى بفسور ورحلات الرحالة جفوة الى سلا ، انظر الى هذه
وبعالمها كما يحفظ له الكثير من أسرار الانهار والقفور والسير الى بلاد مصر ، انظر الى هذه
الاسفار ، وهذه الرحلات قد أنتجت لنا شريحة أخرى من شرائح العشاق هي

شعر المراسلة

قَدْ يَكُونُ سَاعِي الْبَرِيدِ مِنَ الْحَمَامِ

لَنْ نَأْخُذَ بِحَمَامٍ إِذْ نَحْمِلُ عَنْهُ السَّيْلَامَ

لَلصَّحْرَى يَا وَرْشَانَ تَغْدَالِي وَهْدِي سَلَامَنَا كَانَ وَصَلْتِي لِلْأَشْرَافِ
فَكُنْهُمْ فَ: الْغِيَابِ

سِيرْ بَكْتَابِي يَا وَرْشَانَ سَلَّمَ عَلَيَّ الْبَذْرُ السَّيَّارُ
وقد يكون مجرد نسيم ، أو ضوء القمر ، بل قد يكون من البشر :

أَمْرَسُـوْلِي لِلَّهِ صَبْرِي هَذَا اشْحَالُ وَأَنَا فَانِي مَهْجُورُ
مَيْسُورُ الْبَيْنِ وَطَالَ صَبْرِي نَوَاحٍ فِيْ اِبِلَادٍ بَعِيدَا مَهْجُورُ
وَالْهَاجِرْنِي مَا جَابَ خَبْرِي مَا خَفْتُ غَيْرَ نَمَضَا مِنْ قَبْلِ يَزُورُ



صَيِّفْتُ لِلْفَرَّالِ بَرَاتِي مَرْسُـوْلِي مَشَا طَرْدَاتُـو
قَرَأَ لَهَا حُرُوفَ اِيَّاتِي قَبْضَاتُ الْكُتَّابِ اَرْمَاتُـو



هذا وقد رمزوا بالمرأة الى أمنا الارض :

صَبَحْتُ بَارِزَا ف : كَسَاوِي حَسَان دَامَ اللّٰهُ جَمَالَهَا وَحَسَنُـو

ورمزوا بها الى الكعبة "مليكة" للغرابلي "فضيلة" ل : بن علي .

"ليلي" للحاج ادريس ، ورمزوا بها الى الحكمة "دامي شرادا" لسيدي عبد القادر

ورمزوا بها الى "اشحيا" أو "الإلهام" أو "الموهبة" "حمامت الاسرار" للاموري و كما يقول المثل العرسي : "ما لا يدرك كله

لا يترك كله" هذا باختصار شديد هو ما اصطلح أهل الملحون على تسميته ب : العشاق

* "الساقى" أو "الخمرية" *

كل الـ اءا ، الذي يسمى اسفافي . فمماذا الا افهم ، سر ادب السافى ، سر داء السافى هي حياء
والسدى في الـ الملسون ، لانهم عند حد ما يوسى بدائسها بل حوى فضائل وفضائل لا تكاد تجد في أى
غرض آخر من أغراض الملحون

لوحات الاصنام ، سائر الكور ، أنوار الشفق وروح القمر والبراق ، أي اسم البراق هذا القبح الأخير من العاصم
 المثلث من الرؤس من العصور ، وقد أقامه الصانع العاقل والرجل الصوفي ، على شاعر الماسور
 والعور من الدبيب من التصوير في المذاهب من العصور ، وقد سمع ما لا يحصى ، وحده ما لا يحصى ، وسمع
 الله الجليلي متبرداً إذ يقول :

الرَّهْمَ وَكَأَنَّهُمْ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَالْهَوَىٰ مَبَاهِي وَمَبَاهِي

وفي بعض النسخ زيادة هي : **وَلَا زِيَادًا إِلَّا خَيْرٌ** .

فرغم شدة الخسائر التي بالزارع اموالها ، وانما عداها وحال ساقطها والرائي والرائك والحدود ، وما
 ان زاد ما زاد الا ان هذا الاكسوسوار من صناعه السعداء او اما المصون هم انطادهم امدد هو انما هو مع ما
 بكثير من هذه الشكليات

وسنكتفي في هذا الغرض بقصيدتين فقط فجر "التهامي" لدغري" وفجر عبد القادر العلمي

المحقق أيام 8 9 10 يونيو 1990

يقول التهامي لذرعي في نسائم الفجر:

وَمِنْهُنَّ مَنْ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَفَلَا تُحْشَرُونَ ۖ خُذُوا زِينَتَكُمْ مِمَّا فِي خُنُوعِكُمْ ۖ لَا تَأْكُلُوا زِينَتَكُمْ سِرًّا وَلَا يَشْرِكُ بِأَعْيُنِكُمْ قَوْمٌ فَاعْلَمُوا بِأَنَّهُمْ قَائِلُونَ ۚ

والله اعلم بما فيه العلم الاعلى او هيجرها ، فيبدأ الرثر من اوراق الاعصار ، وانه قد يكون المقصود به ان يهده وهذا
على اشارة الى فمرا الحمل المصحف على الوراق ، وكيفية اثار النار ، والفتنة ، والوسوس ، والبرص ، والمهوس ، وشدة
لعنات اي ورشات الارهاب التي يتسلط بها على المسلمين وهي النار ، والمهوسون ، والاسلح علمه الهرة ، ولله

مَا شَقَّيْتُ هَزَارَ تَابُورَقْ بَاوْرَاقِ السَّرُوضِ وَيَخْطُبُ فِ مَنْابِرِ الْاَدْوَاخِ
وَعِيْسُونِ النَّجِسِ ط_____أَفْحَةً بِنْدَاهَا خَاشِعًا وَدِيمًا نَوَاحَا

ومن قاموس الدارجة المجهور أيضا "التوريق" ف العلامة المحدث يحدث الناس مما جمع الله في صدره من علم ومعرفة ، فهو يوما يرحل حديثه أما الغيبة "امورق" فهو الذي يحدث الناس من كتاب يقرأ لهم بعض صفحاته

والهزار عند الهامي لدعري هو ذاك "الغفية المورق" تَابُورَقْ بَاوْرَاقِ الرُّوضِ وَيَخْطُبُ فِ مَنْابِرِ الْاَدْوَاخِ
مَا شَقَّيْتُشْ الْبَاغِ كَا يَحْفَظُ لِمَحْضَرَا مِنْ الطَّيْرِ وَرَدُو فِي كُلِّ صَبَاَحِ
وَالْوَرْدِ وَذَاتُ مَفْتَحَا يَصْغَى لِقَرَايَتُوَا بِنَعْمَا صِيَاَحَا
"لمحضرا" لمحاضريا أيضا من الدارجة المجهورة .. والمعنى ، تلاميذ الكتاب القرآني .

والطير المعروف باسم الداع "يلقى" لمحضرا أولاد الطيور . الورد الذي يردونه قبل الشروق في كل صباح
وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ ، أَوْ عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْعَلَمِيِّ : "وَتَحَقَّقُ ضِلَّ الْوَرَاقِ"

مَا تَشَقَّقْتَنِي ضِلَّ الْوَرَاقِ يَتَعَانَقُ بِالْعَشْقِ الْحَقِيقِ فَوْقَ زُرَابِي الْاِبْطَسَاَحِ
تَقْضُولُ عَرُوسَا جَابَ رَايَحَا فِ كَمَايَمَهَا بَغْرُ حَنْطَا وَسِيَاَحَا

وهذه الإشارة الجميلة الى الرياح وهي تكتب على صفحات المياه الساكنة "سطور الوهب"

لُوشِفْتِ السَّهْرِيَّجْ سَطَّرَتْ فِيهِ الرِّيَاحُ سَطُورُ مِنْ الْوَهْبِ قَرَاَهَا نَصَاَحُ

من أجل معجم الدارجة المجهور ، ومن أجل ما في هذه القصائد من وصف الاحياء ، الاحداث والكور ، والضحي والليل ، إذا سجي والليل إذا يسري والعصويح إذا سفس ، من أجل هذا وما شابهه ومن أجل ما في هذه القصائد من إشارات صوفية سوف يكشف عنها الاسرار عبد الصارق سالم بعد لاي من أجل هذا وغيره مما لا يريد أن نحيل ذكره . نجد هذه القصائد ونعتز بها ، حتى ونحن نتعرج في إذاعتها ، أو الترويج لها

النص الكل لقصيدة "الفجر .. أو "الساقى" وهي من غرر قصائد سيدي عبد القادر العلمي

اللازمة:

رَا حَ اللَّيْلُ وَعَلَّمَ الْقَفِيرُ تَاكَ الصَّبِيحَ الرَّاقِي يَا سَاَقِي
دُورَ عَلَى الْحَضَرَا بِفَتْجَلِكَ نَرِيَانِ الْمُسَيِّقِي جَرَعُ لِلْسَّاهِي يَغْيِسُونُ

القسم الاول:

شُوفْ هَمَامُ الضُّوْ بَانَتْ عَلَومُوفْ : الْاَفْاَقِ

وَنَظَرُ لَشَمْسُو الْبَاهِيَا عَلَّ لِحْدَارُ شَرِيْقَا هَزَمَتْ سَلْطَا اَنْ الْغُسْبِيْقُ

وَطِيَارُ السُّنَارُ كَسَحَ لِّلْحَيِّ الْمَاقِي

فُوقُ عَصَانِ الرُّوضِ كَانَحْنِيْ بِاصْوَاتِ رَفَقَا صَوَاخُ النُّلِّ وَالشَّشِيْقُ

شُوفْ اَمْ الْحَسَنُ شَاكِيَا لِّلْحَيِّ الْخَلَاْقِي

مَغْرَامُ هَوَاهَا لَانْهَا مَوْلُوعَا وَعَشِيْقَا بِالْحُبِّ جَسَمُهَا رَقِيْبُ

وَالْحَرْبِلُ يَنْشُدُ مَايْثُوفْ : طُلُوعُ السَّرِيْقَا

وَالْحَدَادُ اِنْجَاوُو نَرْنَا فَا نَعَامُ لِبِيَا تَسْنِي السَّوَالِغُ وَالْعَشِيْقُ



القسم الثاني :

مَاسُ الْغُصْنِ السَّايِقُ وَخَرَفَتْ لِحْدَايِقُ وَتَحَقَّقْ ضَلَّ السَّوْرَاقُ

وَالسُّتَانُ الْبَاسِقُ وَمِيَاهُو مَدَافِقُ مَغْرَاسُ نَوَاحُو مَسَاقُ

فَاحُ الزَّهْرِ الْعَابِقُ وَأَصْبَحَ غُصْنُو رَاقُ وَرَوَاتُ الْعَصَانِ الرِّقَاقُ

طَابَ سِرُّو الْعَاشِقُ ذَاتُ الْحُسْنِ الْفَايِقُ بَخَلَّ مِنْ شُوفِ الرَّمَاقُ

طَارَ غَرَابُ الدَّاجِ وَالْخَمْرُفْ : الْاَوَانِي بَاقِي

اَهْدِي كَاسَكَ لِلْمَلِيْحِ وَخَضَعَ لُو سِتْرُفَا وَفَهْمُ مَعْدَانُ وَغَبِيْقُ

رُوي يَا سَاقِي خَمْرُ قَمَضَا لَكَ وَسَطُ رَوَاقِي

وَيْلَا فَاضَ الْكَاسُ كُلُّ قَطْرَا فَا الْاَرْضُ عَقِيْقَا وَاصْفَا مِنْ الدُّرِّ اشْرِيْقُ

غَدَرُ لِي تَكْمَلُ فَرَحِي يَتَحَقَّقُ رَوْنًا قَسِي

تَرَكَ الْخَمْرَ وَهَاتَ لِي الصُّهْبَا فَ الْكَاسُ حَقِيقَا وَمَلَأَ لِي ذَاكَ الْبَرِيْقُ

كَاتَبَ مُؤَلَّنَا السَّعِيدُ سَاعَدَ وَالشَّاقِي شَاقِي

لَا تَسْتَكْرِبْ مَنْ ذُنُوبُ وَلَا تَتَكَبَّرْ عَنْ تَيْسَقَا مُؤَلَّنَا غَانِي شَفِيقُ

القسم الثالث:

رَاحَ اللَّيْلُ وَلَدَبَقَا إِلَى وَقْتِ الْمَعَانِقَا كُبُ أَرَا وَدَخِي الرُّوَاقُ

بَيْنَ الْأَشْجَارِ الْيَاسِقَا أَوِ الْأَطْيَارِ الشَّاطِقَا عَمَرْتُ بَلْعَاهَا أَسْوَاقُ

كُبُ الْخَمْرِ الْخَارِقَا فِي كَيْسَانِ ابْدَقَا مِنْ رَاحِ أَبْلَادِ الْعِرَاقُ

تَظْهَرُ خَمْرًا بَارِقَا فِي أَوَانِي شَارِقَا فِي لُونِ سَحِيقِ الرَّهَاقُ

سَرُّهُ الشَّيَا وَزَهْوُهَا فَ الرِّينُ أَوْ الْعِرَاقِي

وَالصَّبْوُ لَا وَالْعَزَّ فِي رُكُوبِ الْفُرْسَانِ حَقِيقَا وَمَعَ الْفَضَا وَالْوَدِيقُ

سَعْدُ زَمَانِي تَاكَ كَوْنِي وَتَنُودُ إِشْرَاقِي

هَذَا وَقْتُ سَعِيدِ كُبُ كَاسِ الْخَمْرِ لَعْنِيَقَا لَا تَرْتَاشِي لِلرَّحِيْقُ

غَنِيَّ بِأَشْفَارِ الْقَدَامِ وَدُكْرُ طَبِيعِ الْعَشَاقِي

مَتَعْنِي فَ جَمَالَ صُورَتِكَ وَالْحَائِثُ لِنَفْسِيَقَا يَا خَدَّ الْوَرْدِ أَشْهَرِيْقُ

بَصْنَائِعِ وَسَجْوُلِ وَالتَّوَاشُخِ مَنْ شَغَلَ نَوَاقِي

وَأَذْكُرُ قُصْدَانِ الْكِبَاحِ وَبِرَآوِلِ فَ تَرُونِيَقَا مِنْ شَغَلَ الْحَبْرِ اللَّيْدِيْقُ

القسم الرابع:

خَلَعَ الدَّأَجُ غَسَاقُو وَدَخَا الصَّبِيحُ أَرْوَاقُو وَلَبَسَ حُلَّتُ الْأَشْهَرَاَقُ

دَاقُ الْحُسْنِ أَوْثَاقُـو وَرَخَا سِرَّ امْسَاقُـو وَالزَّيْنُ خَلَقُـو اليَاقُـو
دَارَ الْحُبِّ ثَمَاقُـو لَمْ طَرَزْ بِمَسَاقُـو وَخَرَجَ لِاصْنَابِ الاشْـوَاقُـو
وَأَمَرَ عَنِ عَشَاقُـو قَدَّامُوا يَنْسَاقُـو وَحَيَا لَعْنُهُودِ الْوَثَاقُـو

امضِلْ ، وَقَادَاتْ ، وَالْمَزَارِقُ ، وَالنَّاجِ الرَّاقِـي

وَكَدَّاشُـو ، وَمَحَافُـو وَرَايَاتُـو فَا : تَرْوِينِقَا وَطَبُولُ الْحَرْبِ الرَّعِيقُـو

أَمَّا فَالَكُمْ مَن دَهَاتْ ، وَمَا زَمَقُ مَن تَاقِـي

وَمَا بَعْدُ مَن أَفْضَالَ عَنْ لَمَزُوا وَالتَّيْقَا وَمَا عَادَا مَن صَدِيقُـو

مَن حَرَبُوا لِعَصِيفِ تَاهَ "قَيْسُ" وَ "جَابِرُ لِعِرَاقِـي"

وَالْعَبَسِـي لَهُمَامُ "عَنْتَرَا" تَرَكَو الْحُبَّ فَضِيقَا وَسَقَاهُ السَّمُ الْخَرِيقُـو

كِي كَانَ مَن اَزْمَانُ حَاطُ قَدَّامُوا عِلَّ لِعَنَاقِـي

الدَّابَا مَا زَالَ سِيرَتُوا عِنْدَ النَّاسِ حَقِيقَا لَا حَدَّ لِحَرْبُـو وَيَطِيقُـو



القسم الخامس:

يَا مَن دَرَا تَتَلَاقَا بُونَجَلَاتِ غَسَاقَا وَكَيُوسُ مَذَامِـي يَسْدُوقُـو
صَالِ يَطْبَعُ عَشَاقَا وَكَيَاسَا وَفَيَاقَا يَجْرَحُ مَن شَوْفُ الرَّمُوقُـو
وَحَسْنَا زَوْجَ رَفَاقَا وَالصُّهْبَا دَفَاقَا فَ : دَوَاحِلُ غَمَقِ الْغَمُوقُـو
فِيكَ الشَّوْفُ عَشَاقَا بُوَصَالِكَ تَتَلَاقَا رَافَا يَا بَذَرَ الشَّـرُوقُـو

وَصَالِكَ فُرْجَا الْمَرْسِـي وَنَزَاهَا لَخْلَاقِـي

وَصَالِكَ تَفْرِيجُ لِلْحَجَا ، وَصَدُودُكَ تَضْيِيقَا لَا أَحْسَاسُ الْجِسْمِ الرِّقِيقُـو

[illegible]

القسم السادس:

صدرُ الزَّيْنِ رَوَّامَقُـــــو وَرَخَا السَّرُّ اسْتَوَابَقُـــــو وَخَلَفَ عَارِي لَاتَقَا
تَظْهَرُ غَيْرُ مَنَزَارَقُـــــو وَسَيُوفُ وَدَّمَاحَقُـــــو يَطْعَنُ ذَاتَ اللَّيِّ لُقَا
وَحَبُولُ وَصَوَاعِقُـــــو وَبَطَالُ وَرَوَاعِقُـــــو مِنْ قَابِلٍ جِيشُ الْقَا
مَا قَدَّسَتْ نَرَّافَقُـــــو وَلَا طَقَّتْ نَرَّافَقُـــــو وَكَيْوسُ مَدَامِي سَقَا

رَاكِبٌ عَنْ سَلَوِي سَرِيعُ شَهَانُ مِنْ لَعَنَاتِقُـــــي
أَهْمَزُ سَمَحُوجُـــــو وَسَارُ خِلَانِي فِي تَشْوِيقَا
سَلَنَابُ الْخِلَاقُ قُلْتُ لَوْ بِاسْتِطَانِ رَفَاقِـــــي
وَقَفْ لِي حَتَّى نَكَلِمَكَ يَا سَاهِي لَخَلِيقَـــــا
رَاقِبٌ فِي وَجْهٍ سَيِّرَتِي وَعَشْرَتِي وَمَلَاقِـــــي
شَاهِدٌ فِي وَجْهٍ طَاعَتِي وَعَهْوِي لُوبِيقَا
هَذَا حُكْمُ اللَّهِ ، الْجَلِيلِ ، الْبَرِّ ، الرَّزَاقِـــــي

يَا سَعْدَاتُ اللَّيِّ سَعَادَتُوفَ : الازل سَبِيْقَا وَرِضَاةَ الْحَقِّ لِحَقِيْقَوْ



القسم السابع والاخير :

مَنْ لَا يَرْكَبُ نَاقَا هَيْرِيًّا سَبَاقَا مَا يَرْبِي نَهْجَ الطَّرُوقِ
مَنْ لَا يَمْلِكُ طَاقَا مَا يَبْرَأُ مِنْ فَاَقَا وَلَا يَتَدَانَا لُسُوقِ
حَقْظُ النَّظْمِ قِيَاَقَا وَفَرَاَسَا وَحَدَاَقَا يُدْرِكُ بَحْسُنَ الْخَلْقِ
وَالْمِيزَانَ الْيَاَقَا وَلَطِيفَا وَلِبَاقَا شَلَا يُدْرِوَا الْوَشُوقِ

أُوَيْحَ السَّادِعِي إِلَى يَذُوقُ فَنَاجِلَ تَرِيَاَقِي
زَهْلُوْلِي بِمَخَالِبُو يَمَزُقُ دَاتُو تَمَزِيْقَا وَدَمَاهُ يَتَرَكُو هَرِيْقِ
وَأَمَّا مَنْ طَاغِي رَاحَ يَشْتَكِي مَنْ ضَرَبَتْ سَعْنَاَقِي
وَأَمَّا مَنْ بَاغِي تَرَكْتُ دَاتُو بِالشَّوْمِ حَرِيْقَا وَسَقِيْتُو خَرَقُ الْخَرِيْقِ
وَأَمَّا مَنْ هُوَ جَحِيْدُفَ سَجَانُ غَلَالِي بَاَقِي
وَأَمَّا مَنْ هَرْتَالُ غَرَّتُو النَّفْخَا وَالْتَرُوِيْقَا سَرَطُو الزُّخَارُ الْغَمِيْقِ
وَسَلَامِي لِلْمَاهِرِيْنَ الْارْخَاخِ أَهْلُ التَّحْقَاَقِي
مَا هَبْ نَسِيْمَ الْاَزْهَارِ وَدَكَا بَنَسُوْمُ غَبِيْقَا مَهْدِي لَارِبَابِ الطَّرُوقِ



كان هذا هو النص الكامل لقصيدة "الفخر" أو "السامي" كما يسمونها في حضيرة الملحون . وهذه مداخلة الاستاذ عبد الصادق سالم كما سبقت الإشارة اليها

وإذ ثبت هنا بكل فخر واعتزاز ، وبكل عظمة وانشراح وارتياح اجتهد هذا الشاب الطيب ، الهادي ، النبيل ، فلان المحاولة في نظرنا ، وحسب اطلاعنا وتبعنا ، بالأكورة الناضجة الاولى في التعامل الصحيح الجاد ، مع القصيدة الملحونة

قراءة في قصيدة الساهي

بقلم الاستاذ عبد الصادق سالم

العنوان : الساهي ، من السقي - الري والارتواء

والسقي والري لا يكون إلا بالماء ، وحملنا من الماء كل شيء حي السقي إذن هو "زرع عنصر الحياة في الحي من الميت" حديث قدسي : "الناس نيام ، إذا ماتوا استيقظوا"
إذن العالم كتاب مسطور الهي - الفتوحات / ج / 2 / ص 163

1- في عنوان القصيدة : الساهي

يحمل الكثير من قصائد الملحن الحمزية عنوان الساهي مثلما سمعنا عند الحيلالي أميرر أو عند الدهام في المصطفى عيرهما ، والساهي في أدبيات الحمزة هو العلام أو (الحارية) الذي يتولى توزيع الحمر على الدمامي ، وحاطبه الساهي في القصيدة :

رَأَحَ اللَّيْلُ وَعَلَّمَ الْفَجْرُ تَأَكَّ الصَّبْحُ الرَّاقِصِي بِسَاقِصِي
دُرَّ عَلَى الْحَضْرَاءِ بِفَنَجْلِكَ تَرَيَانِ الْمَوْسِيقِي وَارْزَعُ لِلْسَاهِي اَيْقِصِي

فإن عبارة ياساهي يحافظ المشدون على ذكرها ، فشكل شطرا مبعرا راحل اليد ، ويصبح القصيدة موزونة ، مفادها أن الخطاب من المرسل (الشاعر) موجه الى المرسل اليه (الساهي) مما دلالة هذا المفهوم المركوز في كلمة "الساهي" اسم فاعل من فعل سقى ، أي أروى الغلة والعطش -

فالسقي هو الري والارتواء ، والري لا يكون إلا بالماء ، والماء هو مبدأ الحياة ومعلنا من الماء كل شيء حي هو : الارتواء وإخراج الحي من الميت

وفكرة خروج الحياة من الموت الواردة في قوله تعالى "أخرج الحي من الميت" مما دلالة استعملها الصوفية لهذا الطريق وخوض التجربة، إذ أن التصوف هو إخراج للحياة الحقة اسمها هو الروح ، اسمها الرذائس هي الجسد أي المادة رمز الموت والجماد ، والصميمة ولا يأتي هذا للصوفي إلا إذا هدف الله في هذه المراتب أبي حامد الغزالي ، وهذا هو المسمى إشراقا أو إلهاما أو حدسا

وعليه فإن مفهوم السقي والساهي هنا يفيد الإشراق والنورانية

2- البنية السردية في القصيدة :

بنى الشاعر قصيدته على خطة سرديّة ، سر فيها تدرج الصالات واللحظات الشعرية وذكر سقي ، قصيدة الاساسية التي تقوم عليها البنية الدلالية للقصيدة

يحكون القصيدة من سبعة أقسام كل قسم تتقدمه سويرجة (أوباعورده) ، باستثناء القسم الأول وهي كثر سويرجة
أشار ثلاثة الاشارة ، كما أن باقي أقسام القسم أربعة ، يضاف إليها في نهاية القسم لأربعة القصيدة ، ولك عدد الاشارة

وبهذا تكون لدينا سبع وحدات شعرية هي التي تشكل الخطة السردية للقصيدة

هي الوحدة الأولى مخاطب الساقى ويوقف وإداه عند العنصر الأول في الصورة الرمزية القصيدة وهي العنصر

شَوْفْ أَهْمَامُ الضُّوْ بَاتْ عُلُومُو فُلَا فَا هِي وَتَغَرُّ لِنَسْوَ سُو النَّاهِي عَلَى لِحْدَارْ شَرْدَقَا

هَزَمْدُ سُلْطَانُ لُعَسُوْ

وَاضَارُ السُّنَّانُ كَتَسَحَ لِّلْحَيِّ الْبَاقِي فَوُوْ أَعْصَارُ الرُّوْضِ كَعْنُ بَانُصَوَا رُقْبَقَا

صَاخُ الْبَلْبَلِ وَالْبَسِيقُ

هي الوحدة الثانية والثالثة ، ظل عنصر الطبيعة حاضرا ، وبهذه الخط ، إلى الساقى بطل العنصر والمصاحب المميز

الثاني الذي ظهر هنا هو : الخمرة فيصفها ويصف مجلس الطرب المصاحب لها

مَاسُ الْعَصْرِ النَّابِيْ وَتَرَحُّرَفَتْ أَحْـ دَانُوْ

وَأَتْحَقُّ ظَلُّ الْوَدَاقِ

وَالسُّنَّانُ النَّاسِقُ بِمَنَاهُو تَدَافُوْ

وَأَنَوَاحُ أَعْرَاسُو سَنَاقُوْ

المرحون

- وَارَوَى سَاقِي

- عَدَّ لِي سَمَلْ

إلى أي يقول في القسم الثالث :

- اسْرُورُ الدُّنْيَا ..

سَعْدِي رَا

في الوحدة الرابعة ، لم يسهل على العنصر الرمزي الثاني ، بعد هي نفس الم الم يصف سخطاته وحجراته

وقوة تأثيره ، ومن الحب إلى المحبوب ، يصف قوته ، ويفتح باب المناجاة والتدريج إلى المعشوق

.. دَاكُ الْحُسَيْنِ أَوْتَاقُوْ

.. دَارُ الْحُزْبِ اِثْمَاقُوْ

وَأَمْرٌ عَمِّنْ عَشْأَقُوْ

نَمَحْ... سَالْ أَوْ كَدَاتْ

الى أن يقول

.. سَلَّتْكَ بِالْخِلَاقْ

.. هَذَا حُكْمُ اللَّهِ الْغَنِي

في الوحدة السادسة والسابعة يدخل الشاعر لحظة الحيرة بين الخوف والرجاء في الوصال والانصال ، لتدور في النهاية السبيل الى ذلك : ضرورة سلوك الطريق، متحديا العوائق المادية الشهوانية

.. اَمْدَرَا نَتَلَاقِيْ

.. فِيْكَ الشُّوْفُ اعْشَاقًا

.. اَوْصَالُكَ فَرْجًا

الى أن يقول

.. مَنْ لَا يَرْكَبُ نَاقًا

.. مَنْ لَا يَمْلِكُ طَاقًا

الى أن يقول :

.. وَأَمَّا مَنْ دَاخِي اجْهَدِيْ

.. وَاسْلَامِيْ

يتضمن البيت الأخير في القصيدة الذي يتضمن السلام .. على عادة الملاحون .. عبارتين جديرتين بالانتباه "أَهْلُ التَّحْقَاقِ" "أَرْيَابُ الطَّرِيقِ" ... أنهما عبارتان تكشفان عن شحنات صوفية واضحة .

من خلال هذه الحالة نتبين أن العناصر المكونة للمنصوصة الرمزية في شعر الخمرة الصوفية ، تحتويها القصيدة وهي ثلاثة

الطبيعية - الحمرة - الحب (أو المرأة) فما دلالات هذه الرموز ؟ وما هي السمة الدلالية التي توظف القصيدة ؟

3- البنية الدلالية في القصيدة :

سنقف هنا عند المفاهيم الأساسية الثلاثة التي استخلصناها من وحدات القصيدة للبحث في دلالاتها

أ - مفهوم الحب :

هذه مقولة أساسية ضمن أدبيات التصوف بل هناك من الصوفية من يعتبر المحبة حالاً من الأحوال أو مقاماً من المقامات ، فلا يوجد صوفي من المتقدمين والمتأخرين إلا وتحدث في الحب والمحبة . وهذا امر طبيعي لان السجرة الصوفية مبينة من مدنها على أساس الحب . فلولا حب الله والتعلق به الى درجة الخلو والعناء أو الاتحاد ، لما انقطع الصوفية عن الدنيا وملذاتها لينقطعوا الى الله كلية

وهنا حديث سوي يدعم هذا المسعى ويحفز عليه وما يتفرب امر عدي شيء أحب مما افترصت عليه . وأنه لينفرب الي بالخواهل حتى أحبه . فإذا أحسنه كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به . ولسانه الذي ينطق به . ويده الذي يبطش بها . إن دعاني أجبتة وإن سألني أعطيتة .

هكذا تلمع العلاقة بين الحب والمحبة أقصى درجاتها وهي حالة الوجود حين يجعل الرضا والقبول من طرف المحبوب ويتحقق الاتصال فالرضا وهب من الله يمنحه لمحبيه وهذه حال السعادة القصوى يقول شاعرنا :

يَا سَعْدَاتُ اللَّيْلِ سَعِدْتُمْ فِي الْأَرْزْلِ سَيِّفَا وَارْضَاهُ الْحَقُّ الْحَقِّيقُ

وهكذا نرى ان مقولة الحب والمرأة وشبهائهما من الكلمات ليست إلا رموزاً يوظفها الصوفي لاداء معاني دقته ومخالاة خاصة

ب - مفهوم الطبيعة :

ما دلالة أن يتوجه الشاعر في مطلع القصيدة الى الطبيعة شوقاً اهتماماً الصو دانت علومها والأوقى " يعامل الصوفي مع الطبيعة تعاملًا متميزاً . وينظر اليها نظرة غير نظرة الانسان العادي اليها . فبست الطبيعة هي ذلك القطاع الذي يتحرك فيه الجسد . ويتحقق المازب والاعراض المادية بل هي - حسب اتجاه صوفي عريض - محلي لله الذي أحب أن يعرف بعد أن كان سرا مجهولاً . فخلق الخلق لمعرفة " كما قال محيي الدين بن عربي . مدار الله تعالى تتخلر في مخلوقاته على درجات من ادماها (الحمادات) إلى اعلاها (الانسان) باعتبارها انعام الصغير الذي انطوى على العالم الكبير

وبذلك تصبح ذات الصوفي بعد أن يحقق لها الكمالات يرى الله في كل شيء . كما قال ابن العربي

تراه (أي الله) إن غاب عني كل جارحا في كل معني لطيف رائق بهج

في نغمة العود والناي الرخيم إذا تألقا بين الحان من الهـزج

وهي مسارج غزلان الخمائل فيها
برد الاصال والاصباح في البلج

ج - مفهوم الخمرة :

بما كان لحد هو العاصفة الحداثة وابتاعث اقوي ، الذي يدافع الحرية الصوفية ويوجهها ويؤصرها . وما كانت الطبيعة

هي الفضاء الذي تتحرك ضمنه هذه التجربة كقول ابن عربي :

فَمَا نَظَرْتُ عَيْسَى إِلَى عَيْرٍ وَحَيْهٍ— وَلَا سَمِعْتُ أَرْدَنِي خِلَافَ كَلَامِي—

فأما هؤلاء الجمره هم العلماء الذين سعوا في المحرمه الصوفيه إر الحالات التي تتروح منها راب الصوفي حين يخطر

فر سيد الذكر ، هما حالة ، حذله بعد فيها عن لوفه المحسوس ، (عالم الشهادة) ويخرج من مدار الزمن العادي .

لنستل علم العبد انعلم لحواشي . بكلمه واحدة . عالم الحقيقه . وهذه كلما وقف الشاعر عند موضوع الطيبه الا واورد

اشارات متنوعة لعالم الطير في القسم الاول :

اطْيَارُ الْبُسْتَانِ كَتَسْبِغٌ لِلْحَيِّ الْبَاقِي .

مساح البتيل

صَبَّحَاتُ أُمِّ الْحَسَنِ شَاكِيًا لِلْحَيِّ الْخَلَائِي

وَالْحَرْبِلُ يَنْشُدُ مَا يَتَوْفَطُ لَوْعِ السَّرْيَاقِي

والْحَسْبُ دَاوُدُ يُجَاوِبُو

ويقول في سيرة القسم الثالث :

أَوْ لَطِيَّارُ النَّاطِقَا عَمَرَتْ بَلْعَاهَا سَسْوَاقُ

فما دلالة الطير وعالم الطيور في النسق الصوفي الرمزي؟

پڑی لوئیس ماسٹون ان اضلاع رمر لمبھڑ، ولسبور۔ وریک اسٹیکھا ما من قولہ تعالیٰ واد فال ابراہیم رر ارہی کیف۔

١٥- أوتد يومين ١٥- على ولدو البصمير فلي هل هحد أربعة من الصر فصره من الك ثم اجعل على كل

جبل منهم جزء ثم ادعهم يأتينك سعيًا * (سورة البقرة 260)

ويقول تعالى: إني أخلق لكم من الصبر كهنة يطهر فانية فيه فيسكنون طيورا مائة الله (ال عمران أنه)

وإذا كان الأمر هكذا ، فهل من باب الصدفة أن يقول الشاعر العلمي :

وَاطْيَارُ الْبَيْتَانِ كَتَشِيحَ الْحَى الْبَيْتَانِ ٩

لماذا لم يختَر من أسماء الله الحسنى إلا اسمي "الحي" و "الباقى" ؟

فالعلاقة واضحة هنا ، إذن بين رمزية الطائر الى الطلوع والبعث وبين مفهومى الحي ، الباقى ، حالة عيوية أو سكر والسكر كناية عن الوجد الصوفى " وما تقابله من معاناة في طلب المحبوب ، وهذه هي الحالة التي تجعل عقدة لسان العارف تنفك فتبوح الذات بأسرارها وتنتطق العبارة بالإشارة ، لأن العبارة مهما أفصحت وبانت لا تقوى على استيعاب المعطى الحاصل ، ألا ، هو انكشاف الحقيقة ، فنخرج اشارات مختصرة ، وعبارات مبهمه وهي ما يعرف في اصطلاحهم بالشطح الصوفى

أما الحالة الثانية فهي حالة الصحرأى الارتباط بالواقع العيني والمادى ، وهو عالم مرفوض من طرف الصوفى وهكذا فالخمرة التي تحدث حالة السكر ، ليست شيئا آخر غير الحقيقة التي تشرق في قلب العارف ، فتدخله في عيوية يبدو فيها نشوة السكر وحلاوة الوصال فهذا ابن الدراج السبتي يقول :

ألا كل عقل لا تخامره الخمر	فمعناه من معنى اشارتهم فقـ
اضاعت كمشكاة غدت في زجاجة	تلاىء اشراقا كما يشرق الشهر
خلعت عذارى في لدا نذ شربها	فلا خير في اللذات من دونها سـ
سمحت لنفسى كي افوز بنيلسها	ومن خطب الحسنة لم يغفلها المهر

أما الاواني التي يتناول فيها شاعرا الخمرة ، وقد ذكرها في أسماء متعددة الفنجل (الفجان) / الكأس / الأبريق هانها لا تحلو هي الاخرى من إسماء رمزية ، فالكأس للاستمتاع بنعيم الجنان ، يقول تعالى في سورة الواقعة يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين .

ويقول في سورة الانسان : وسقاهم ربهم شرابا طهورا .

(وهكذا نجد الصوفية ينتشون بالنعيم الذي يشربونه خمره ورحيقا وصهباء .)

يقول العلي في القصيدة نفسها :

غَدَرُ لِي نَكَمَلُ فَرَحَتِي يَتَحَقَّقُ رُونَا قَسِي تَرَكَ الْخَمْرَ وَهَاتِلِي الصَّهْبَاءُ فَبِ الْكَاسِ مَدَهَا
وَأَمْلَأُ لِي ذَاكَ الْبَرِيْقَ

الصهباء هي الخمر ذات اللون الابيض تخالطه خمره فهي خمره جيدة ونفيسة ومؤثرة فهو يفرق هذا بين ، نوبات هي جودة وهذالة الخمره ، كما يفرق الصوفية بين درجات في الحقيقة فهناك الحقيقة التي هي من شيم الحاصه وهناك الحقيقة المعه وهي من شيم خاصة الخاصة أي الاولياء والانبياء

4- بنية النور / الظلام :

بعد أن تبيننا العناصر الرمزية الأساسية التي تشكل حولها القصيدة وهي الصبيحة - الحمره - حرة - سوف
لاستخلاص البنية التي ينظم هذه العناصر الرمزية في بناء سفي محكم يعكس رؤية خاصة للحقيقة
ووقوف عند المعجم اللغوي الذي وصفته القصيدة بعد مفهومين يورعا قصاه النص كله يتمظهران في تشكلا مختلفه
حسب كل عنصر من العناصر الرمزية المشار اليه هذان المفهومان اللذان يشكلان لبنة العميقة للقصيدة هما
مفهوم النور ومفهوم الظلمة والظلام .

أ - مفهوم النور : العلامات التي تعبر عن مفهوم النور في قصيدته يذكر منها : ورد ، ولا هي المطلع

بُشْرُوفُ هَمَامٌ خُ لَصُو بَانَتْ غُومُو دَلْفَقِي

هذه الكلمات الصورية التي لم يسبق لها أن تظهر في هذا النص مصدرها لكلمة همام أي سلطان ، الدلالة على السلطة

والنفوذ والجبروت

المعجم : هَمَامٌ لَصُو . بَانَتْ غُومُو . بَشْرُوفُ دَلْفَقِي . شَرْفَا . عَمَّ الْفَجْرُ . نَاكَ الصَّبِيحُ لَرَمِي .
التشويقاً . نَاكَ كَوْنِي . انْمُوزُ بَشْرَمِي . رَمَى لَصْبِيحُ رَوَافُو . لَبَسَ حُلَاتُ لَشْرُقِي

وبمع هذه الكلمات الدالة على النور بصورة مباشرة هناك مجموعة من المفاهيم مركبة من أفعال وأسماء تعيد هذه الدلالة بصورة

غير مباشرة مثل :

مَاسَ الْعَصْنُ . تَرَخَّرَفَ احْدَايُو . هَاخُ الزُّهْرُ . وَاوَاتُ غَضَانُو . ضَابَ اسْرُورُ الْعَشُو

الْبَيْسَانُ الْبَاسُو . الْفَصْنُ الدَّايُو . اعْصَدُو الرُّدُو

فالنور والجمال والحلاوة صفة للحقيقة ، هذه هي التي شرفنا في قصاه القصيدة ، نور هي لسو الزمراء الصورية
هو الله جل علا ، مصداق لقوله تعالى : (الله نور السموات والارض) وكلمته في سورة القصص : هذا قصي
موسى الرجل وسار بآلهة ابيه من حذر شعور . في قوله لاهله ، مكنته التي سميت نور يعني ايكم منه حذر أو حذره من
الذي يهلككم بمصطلح . فلما أتاه نور من شاطئ الوادي الايمن في لغة المبالغة من الشجاعة أو يا موسى أو الله رب
العالمين .

ب - مفهوم الظلمة : والعلامات التي تفيد هذا المفهوم في القصيدة :

رَاخُ الْبَيْلُ . صَارَ غَوَايُ الدَّاحُ . حَتَّعَ الدَّاحُ اعْصَانُو . اعْصَدُ

يتلاحظ أن هذا المعجم اللغوي الذي يعبر عن الظلمة في قصيدته يذكرها في قصده ، قصده ، الاتزان في

، الدخيل من الليل والداج و (الدحي) قد انهمز وولى ، فلم يره حضوره في القصيدة إلا بصورة سلبية
 وشعره من بلعه الصوفي ان الطلعة رمز لحجب النور الحقيقة والذين تظل بينهم وبين الحق سبحانه حجب فهم بعيدون كل
 البعد عن الحقيقة

وقالوا فلورنا في اكنة مما ندعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبسك حجاب سورة فصلت ، اما الذين ارتفعت الحجب بينهم
 وبين الحق فارلئك هم السعداء

سهرت على هذا الى أن القصيدة التي بين أيدينا تعكس تجربة صوفية ورحلة رمزية ، توحد بالوصال ، لان صاحبها يدري
 نهج الطريق ويملك طاقة لانه صبر ليق ومن أهل التحقيق و أرباب الطريق .



* "الترجما" *

"الترجما" بتسكين الراء والجيم هي كما قال عنها الحاج إدريس في قصيدة "الكاس" قصصاً وعجوباً وترجماً فهي أولا قصة ، قصصاً جرأت للخادم والحرّة ياقاضي قصصاً جرأتلي معنهما سمعوا قصصت حمان وهي ثانياً أعجوبة من أعاجيب الزمان إذ أن الحياة الرتيبة الهادئة التي لا غرائب فيها ولا أعاجيب ، ربما لا تثير انتباه الانسان العادي ، فضلا عن أن تحرك شعور الانسان الممتاز

وهي ثالثا تترجم لشخص أو لاشخاص ، تماما كما تفعل الترجمة في الادب الفصيح إلا أنها في الملحون لا تترجم للشخص أو لاشخاص ، من الميلاد الى الوفاة وإنما تهتم فقط ، بالحظات الغير المألوفة في حياة من تترجم لهم لنقرأ أولا هذه الترجمة لشيخ هرم ، تزوج بفتاة في عمر الزهور ، وبعد سنة أو أقل من سنة ، ضاقت به ذرعا وقررت أن تنفصل عنه مهما كان الثمن :

قَالَ الشَّايِبُ لِلشَّابِّ مَالِكُ لَفَرَاقِي زَارِبَا
قَلْبِي أَنَا مَغْرُومُ بِكَ ، وَتَعْرِفِينِي يَا حُرَّتُ الْغَوَالِي وَالْفَتَكِ
فَرَاقُكَ . مَا نَطِيقُ صَبْرًا ، وَلَا نَقْدَرُ عَلَى

لِلَّهِ الْحَدَّ أَشْ ذَنْبِي يَا مُوَلَاتِي ؟ وَبَاشْ مَنْ جَرَمَ كَرِهْتِينِي وَحَرَسْتِي ف : فَرَاقِي بَعْدَ الْمَوَالِفَا
وَالْعَشْرَا ؟

ولا قطعت في قلبك ونسيتي وصايت امك وبياك منين رحت ليك .
وَصَاوُوكَ ، مَا تَمَرَّتِينِي ، وَتَسْعَفِينِي وَلَا تَهُونِي بِي طُولَ الْحَيَاتِ وَقَبْلَتِي وَيَغِيْتِي عَلَا رَضَايْتِ
نَفْسَكَ ، وَنَهَارَ جِبْتِكَ تَعَاهِدْنَا بِيَنَاتِنَا ، وَف : الْمَصْحَفَ احْلَقْنَا لِبَعْضِنَا لِبَعْضِكَ مَا نَكُونُ رَاجِلْ وَنَتِ
لِلْغَيْرِ مَا تَكُونِي زَوْجَا ، وَلَا تَفَرَّقْنَا غَيْرَ الْمَوْتِ الْوَاجِبَا عَلْنَا وَتَرَاضِينَا عَلَى الْمَحَبَا ، عَشْنَا وَعَطَاتْنَا
الْوَجِبَا ، وَطَبَايَعْنَا أَتْوَالْمُو ، وَنَتِ كُنْتِ مَطَاوَعَانِي وَأَنَا مَا مُورُ كُنْتِ عِنْدَ كَلْمَتِكَ ، وَيَوَالْدِيكَ رَافِعَ ،
وَضِيافَتَهُمْ كَيْفَ شَفَقْتِي عَمْرَنِي مَا بَخَلْتِ فِيهَا ، وَصَدَاقُكَ بِالْوَفَا ادْفَعْتُوا وَآكْثَرُ مَنُو عَطِيَتَهُمْ زِيَادَا
مَنِّي حَسَانُ .

وَعَطَاوُوكَ لِي ب : الصَّفَا عَلَى السَّنَا وَالْكِتَابَ وَأَمْرُوكَ عَلَى الطَّاعَا مَا تَخَالِفِي ف : كَلَامِي وَالْيَوْمَ

بَعْدَ مَا تُؤْمِضَاتِ أَيَّامَهُمْ ، جَرَّتِي عَنِّي بَعْدَ الْعُطُوفِ ، وَسَعَفْتِي قَوْلَ الْحَاسِدِينَ فَيَا وَكَرِهْتَنِي بِدُونِ
سَبًّا وَلَا خَفْتِي مِنَ الزَّمَانِ يَفَادِي وَعَقُوبَتِ الدَّهْرِ وَالْوَقْتُ ائْتَقَلَبَ لَا غِنَا وَتَجِيبُكَ الْإِيَّامُ كَيْفَ جَابَتْنِي
لِيكَ وَطَاحَ بَيْنَ رَجْلَيْهَا وَدَمُوعُ سَكَابٍ وَتَنْتَرَاتِ الْبَنَتِ مِنَ الشَّائِبِ مَا سَمِعْتَ لَوْكَلَامَ ، كَانَ تَسْأَلُو
يَا حَاضِرِينَ

نَطَقَاتِ الْبَنَتِ عَلَى الصَّوَابِ قَالَتْ لِلشَّائِبِ ف : الْجَوَابِ

بَعْدَ مَنِّي ، يَكْفَاكَ مَا تَعَزَّرَ فَيَا ، مَلَيْتَ مِنْ عَشْرَتِكَ ، وَاللَّهِ مَعَاكَ مَا تَزِيدُ نِكَابَرُ وَلَا نَكُونُ مَرَّتَكَ ،
وَلَا لِي تَكُونُ رَجُلٌ ، دَوْرُنَا مَا كِتَابٌ .

وَالْيَوْمَ ائْتَيَا سِيرَ شَوْفَ غَيْرِي ، وَنَا نَمَشِي شَوْفَ غَيْرِكَ ، وَالشَّائِبِ مَا تَنَاسَبُوا غَيْرَ مَرَا قَدُوا
تَسَاعَفُوا وَيَسَاعَفُهَا وَيَتَوَالَمُوا ف : الْعَشْرَا مِنْ حَالَتِ الْكَبَرِ ، فَارَقْنِي اللَّهُ سِيرَ شَوْفَ مَرَا قَدُكَ شَائِبَا
اِبْحَاكَ ، وَتَقَبَّلْ عَلَيْكَ بَرَمَتَهَا ، وَتَطْلُبْ لِيكَ مَا كِتَابُ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى شَهْوَتِ نَفْسِكَ

وَيْلَا جِيتِي تَلَقَا ، مُوضَعُكَ مَفْرَشٌ ، وَالطَّعَامُ وَاجِدٌ ، وَالضُّوْ مَشْعُولٌ ، وَالْوَضُوْ يَسْنَخُنُ لَكَ
ظَنَيْتِ الرِّتَاجَ زَهَقَ لَكَ ، عِنْدَاكَ الْوَضُوْ يَبْرُدُ لَكَ

وَيْلَا وَجِبْتَ لَوْقَتِ تَوْضُؤُ تَوْضُؤًا ، وَقَابِلِ الْقَبْلَا وَتَهْلَؤُ ف : دِينَ رَبِّي
وَعَمَلُ تَسْبِيحٍ لِلذِّكْرِ ، وَتَوَلَّعَ بِالصُّومِ . وَالْفَجْرُ ، صَلَّيْهِ ف : وَقْتُو لَا يَفُوتُكَ وَعَمَلٌ فِي بَالِكَ
الشَّهَادَا ، وَشَهْوَتِ النَّفْسِ تَبَّ عَنْهَا

وَحَتَالِ اللَّيْلِ الْقَبْرِ ، وَاعْتَصَمَ بِاللَّهِ لَا يَنْ كِبَرْتِي وَهَرَمْتِي وَلَا بِقَالَكَ قَدَ مَا فَاتَ ف : الْعَمْرُ
وَأَنِيَا مَا زَلْتَ شَابَا وَصَغِيرَا ، رَبِّي يَجِيبُ لِي رَجُلَ قَدِّي نَوَالْمُو وَيُوَالِمَنِي وَنَحْسَنَ زَوَاجِي وَنَفَادِي
كُلَّ مَا مَضَا ، وَتَدَوَّرَ صُغْرِي وَصُولَتْ شَبَابِي كَيْفَ بَغِيْتُ ، وَتَتَمَتَّعَ بِنَزَايَةِ كِي نَرِيدُ ، فِي أَيَّامُو نَبْرَزُ
فَابْرَازُ ، أَوْ نَعْمَلُ مَا دَارَتْ الْبَنَاتُ اِبْحَالِي ، وَتَذُوقُ غَلَّتِ الرَّجُلُ وَتَتَ كُلَّ مَا خُسْرَتِي قَبْضُو وَعَطْنِي
فَصَالِي بِالْعَقْلِيَا بَلَا شَرَعَ تَتَفَرَّقُو ، وَلَلَّ تَدَوَّرَ عِنْدَ الْقَاضِي ؟

يَفْهَمُ كَلَامَنَا وَيَجُولُ ف : مَعْنَاهُ وَيَفْرَقُنَا بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ . هَكَذَا قَالَتْ لَوْ مَرْزُوبَا
وَالشَّائِبِ كَشَفَ الْحَيَا وَشَدَّ عَلَى الْعَيْبِ احْزَامَ كَانَ تَسْأَلُو يَا حَاضِرِينَ

تَمَّ الشَّائِبُ حَالُو نَضَامٍ وَغَوْلٌ عَنْ تَاجِ الرِّيَامِ

وَجَهْلٌ عَنْهَا مَنْ حَيْثُ جَرَحًا تُوفِي قَلْبَ جَوَارِحُو وَقَالَ فِ قَوْلُو :

خَمَعْتُ فِيكَ يَا أَدِيًّا وَنَظَرْتُ فِيكَ نَصِيْبَكَ مَبْغُوضًا وَفَاجِرًا ، وَقَلِيلَتُ لَحْيَا وَبَانَ عَيْنُكَ وَلَا صَبْتِي
حُكَامٌ ، وَتَشْهِيْتِي لَفْجُورٍ وَالْمَلَاهِي وَالْمُنْكَرُ السَّائِيَا قُلْ اللَّهُ حَيَّاكَ يَا الرَّهْطِيَّا ، يَا مَكْرُوهَتِ النَّسَا ،
يَا عُرْتُ لَبَنَاتٍ ، يَا الْمَقْضُوحَا ، يَا قَصَارَتِ الرِّقَابِ ، اغْوَاكَ الشَّيْطَانُ يَا الْكَرْفَا ، وَتَنَفَّكْتِي عَلَى النَّعَائِمِ ،
مَا خَلَيْتِي حَيًّا لِنَاسِكَ وَلَا هُمَا وَلَا عَنَائَا وَفَضَحْتِي عَرْضَهُمْ ، أَوْ سَفَلْتِي وَلَا بَقَاتُ فِيكَ تَمَارًا ،
وَمَنْزِنُ شَفَئِي حَالِكَ يَا مَخْرُوبَتِ الْعَقْلِ ، وَتَفَكَّرْتُ أَحْسَانَ وَالِدِيكَ ، ابْغَيْتِكَ تَبْقَايَ كَيْفَ كُنْتُي ، مَنْ
نَاسَ الْعَرَضِ وَالْمَرْوَا ، وَحَفَرْتَكَ خَفْتُ مَنْ عِيُوبِكَ وَسَتَرْتُكَ مَارْضِيَّتِ شَوْهَا ، وَتَسَفَّهْتِي وَلَا قَبْلَتِي
رَغْبَا .

وَقَرَّتْ مَا نَفَعَتْ وَقَارًا ، بَشَرْتُ مَا نَفَعَتْ ابْشَارًا ، وَكَرِهْتُ بِالْخَوَائِجِ ، وَعَطَيْتُ الْمَالَ وَالنَّعَائِمِ فِي كُلِّ
اصْنَافٍ مَا خَطَاوَكُ ، وَنَتِ دِيمَا امْخَنَّتَا فِي دَارِكَ ، وَالسُّخَارَا عَلَا مَرَامَكَ ، وَلَا خَلَيْتُ لِيكَ بَاشُ
تَعْيِيْبِي يَا الْعَائِيَا ، وَبَغَيْتِي عَنَّا بَلَا سَبَابٍ خَصَامِي يَاكَ الظَّالِمَا شَفَئِيْبِي زَعْمًا كَبِيرًا ، وَحَتَّجِيْتِي
بِالشَّيْبِ يَا الْبَرَهُوشَا ، الشَّائِبُ اللَّهُ وَقَرُو ، وَسَتَحِيَا مَتُو إِلَى حَسَنَ دِينُو بِالتَّقْوَى وَشَابَ مُسَلِّمٌ وَحَفَرَ
رَجُلُو مِنْ الْحَرَامِ ، وَخَالَفَ نَفْسُو وَلَازَمَ أَوْقَاتُو وَاهْدَاهُ الْكَرِيمُ

وَنَا مَنْ فَضَّلَ اللَّهَ وَالنَّبِيَّ ، عَمَرُ لَوْقَتُ مَا خَطِيئَتَهَا ، وَالْجَامِعُ دِيمَا مُوَابِدُوا ، وَالْفَجَرُ مَعَا النَّاسُ
كَانْصَلِيَّةُ فِ : وَقَتُو مَا يَدُوْرُنِي ، وَنَخْرَجُ لِعَشَارَ وَالزُّكَا وَنَصَدَقُ وَنَحَاسُنُ الْمَسَاكِنُ

وَالشَّائِبُ فِ : الْإِسْلَامُ دِيمَا مَكْرُومٌ بَقَايَتُ اسْمَاحَا

وَالشَّائِبُ سِيرَتُو قَوِيْمَا يَخْبَرُ وَيَفِيدُ بَ : النَّصَاحَا

وَالشَّائِبُ بَرَكَتُو عَظِيْمَا عِنْدَ أَهْلِ الدِّينِ وَالنَّصَاحَا

الشَّائِبُ مَا يَعْرِفُ حَقُّو غَيْرُ اللَّيِّ صَوْرُو وَخَلَقُو

وَالشَّائِبُ حَقَّ يَنْعَذَرُ ، وَبَنَاتُ الْعَرَضِ كَايَقْبَلُوا بَ : الرَّجُلُ يَا الظَّالِمَا كَيْفَ مَا جَابُو اللَّهَ
وَجَهْلٌ عَنْهَا وَبَغَايَسْفَهَا لُو مَا فَكَّوْهَا النَّاسُ مَتُو وَقَرَا لَعْقُوبَا ، كَانَ تَسَالُو يَا حَاضِرِينَ

قَالَتْ مَصْبَاحُ الْبَاهِيَّاتِ لِلشَّائِبِ حِينَ تَغْلُفَلَاتِ

هَذَا الْمَعْيَارُ امْعَا اللَّيْ بِحَالِكَ دِيرُو، وَتَامِرًا عَلَيْكَ بَ: لَوْقَرْ، وَحَلَفْتُ لَوْيَمَا يَلْزَمُهَا، لَا بُدَّهَا فَ: دَارُ الْقَاضِي ...

وَمُنْشَاتُ لَالَا كَاتْتَمَاحُ كَالْعَلَمُ بَيْنَ عَسَاكِرْ فِي حَوْمَتِ السَّقَرْ، وَالشَّيْبَانِي فِي خِلَافِهَا تَابِعُهَا
مَنْوُضُ الْعَجَاجِ بَرْجَلِيَّةِ، وَمَتَبَعُ الضَّبَابِ بَعِينِيَّةِ، وَحَالَتْوُ تَشْفِي، وَسَبَقْتُ الْبَاهِيَا الدَّارُ الْقَاضِي،
وَبَقَاتِ وَأَقْفَا نَصْرُ نَهَارُ تَعَايِنُو يَلْحَقُ بِهَا، وَمَنْزِينُ جَاوَزَادُوا عِنْدَ الْقَاضِي بَرْوُجْ
كَعْدُوا قُدَامُو بَعْدَ بَايَعُوَالِيَّةِ، رَفَعَ سَيِّدُ الْفَقِيَّةِ عَيْنِيَّةِ، يَصِيبُ مَقَابِلَاهُ بَنَتْ صَغِيرَا، تَسْحَرُ بَرْيِنَهَا
وَحَدَاهَا رَجُلٌ كَبِيرُ شَائِبِ، يَحْسَابُو غَيْرُ جَدَّهَا، وَتَلَفْتُ لِلْبَنَتْ قَالَ: مَا لَكَ؟ قَالَتْ لُو، خَيْرُ
يَالْقَاضِي، حَالِي يَغْنِيكَ عَنْ سَائِلِي، هَذَا الرَّجُلُ قَلَّ جَهَنُّو، وَكَبُرَ وَالشَّيْبُ هَرَمُو، شَوْفُ أَوْصَالُو
وَأَجْفِينْ.

جَاوْخَطْبَنِي مَنْ عِنْدُ وَالِدِيَا، وَغَوَاهُمْ يَا فَقِيهَ بِالطَّمْعِ رِيَّةَ عَطَاوَنِي، وَصَبِرْتُ صَبِرْتُ، صَبِرْتُ،
يَالْقَاضِي، أَنَا بِاللَّهِ وَالشَّرْعِ فَاصِلْنَا بِحُكَامِ اشْرِيْعَا، هُوَ يَمْشِي سَوْفَ غَيْرِي، وَنَا نَبْقَى أَمَامَنَا
فِي دَارِكَ، حَتَّى تَشَوْفَ لِي مَنْ يَا خُدْنِي عَلَى يَدِيكَ، وَالْقَاضِي فِي عَوْضِ وَالِدِيَا، نَحْسَنُ دِينِي عَلَى
الرِّضَا وَتَوَلَّى مَنْ جُمِلَتِ النِّسَاءُ وَتَوَلَّدَ أَوْلَادِي إِلَى عَطَانِي رَبِّي، وَالْحَالُ مَاخْفَاكَ تَعْرِفُو، وَنَتْ تَبَارَكَ
اللَّهُ فَقِيهَ نَبِيَّةِ وَأَشْ فَارَسْ مَقْوَارْ بَصَارْمُو مُهَنْدُ يَشْبُهُ تَرَأْسُ عَنْ شَمَالُو كُلْخَا مَعْيُويَا؟ وَيَاكَ اللَّي
مَا فِيهِ قَائِدَا مَا يَدْخُلُ لَزْحَامُ كَانَ تُسَالُوا يَا حَاضِرِينَ.

اَنْطَقَ سَيِّدُ الْقَاضِي وَقَالَ هَذَا الشَّائِبُ بِهِ الْهَيْبَا

وَنْتِ يَا هَذَا الْبَنَتْ غَيْرُ هَنِّي نَفْسَكَ، وَاللِّي يَلِيْقُ بِكَ نَدِيرُو، اَشْتِ مَا نَتَاعَتْ مُحَنَّا عَمْرُ الرِّزِينِ مَا
يَتَمَرْتُ، وَعَلَا الصَّوَابُ صَبَتْ كَلَامَكَ لَا عَيْبَ فِيهِ وَالشَّرْعُ الْحَبِيبَا اللَّهُ جَعَلُو رَحْمَا، وَالْحَقُّ مَا
يَنْجَحْدُ وَيَحَالِكُ فَ: الْبَنَاتُ مَا يَتَغَيَّرُ

سَبْحَانَ مَنْ نَشَاكَ وَوَدَّكَ بَ: الرِّزِينُ وَالْبَنَاهَا وَالطَّيْبَا، وَالسَّرُّ وَالْحَيَا وَالْهَيْبَا وَلَا نَشَاكَ رَبِّي مَنْ

مَنْ شَيْءٍ ، وَقَالَ بِالْأَمْرِ لِلشَّائِبِ هَذَا أَلَمَّا شَكَتَ بِعَيْنِكَ جَهْرًا بِهِ ، وَالْعَيْبَ اللَّيِّ بِأَشْ عَابَتَكَ ، فَبِكَ
ظَهَرَ لِي بِشَوْفٍ عَيْنِي ، مَا نَحْتَجُّ لَوْ شَهَادَ

قَصَرَ الْكَلَامَ وَتَوَضَّ لِلْعَدُولِ اعْطِي لِلْخَلْقِ بَرَائَتَهَا وَاسْتَرِ رَأْسَكَ مَا أَتَا أَدْيَالَ صَغِيرًا يَكْفَى خَلَاصَ
رَأْسِكَ كِبَرَتِي ، وَاللَّيِّ كِتَابَ دَوْرَتِيهِ مَعَهَا وَمَا يَغْلِبُكَ مَنْ غَيْرَ اللَّيِّ يَقُولُ لِيكَ فَرَقْنِي ، أَوْ اعْطِينِي
مَتَاعِي أَوْلَا خُرْجَ مَنْ مَكَانِي وَنَتِ هَذَا جَرًا وَلَكَ بِثَلَاثًا

وَعَطَاكَ خَاطِرَكَ ، دَوْرَتِيهِمْ بَعْدَ مَا سَمِعْتِيهِمْ ابْذَنِيكَ غَيْرَ مَنْ سَيَّالًا لَعْرَابٍ قَالَتْ ف : مَعَهَا
قَطْرَانِ ، الْعَرَّ وَلَا عَسَلُ الدَّلَا هُوَ طَبِيعُ الْأَحْرَارِ ، وَلَا يَنْبِي بَعْدَ ادْوِي نَسَمْعُ كَلَامِكَ ، وَنُوبِي وَقَالَ ذَاكَ
الشَّائِبُ أَيَا فُكِيه .

لَوْ كَانَ نَمُوتُ حَرَامٌ مَا نَطْلُقُ مَرَّتِي لَنِي فَرِيَسْدَ ، مَا عَنَدِي وَلَدٌ وَلَا بَقَاتِلِي بَنَتْ تَشَوْفُ الْحَالَتِي
وَكِبْرِي وَلَا عَنَدِي مَرَا خَفِيفَتِ الْعَضَامُ ، تَقَرَّبُ الْبُعِيدُ وَتَجَالَسُنِي إِلَى صَبَحَتْ ف : دَارِي ، وَتَكُونُ لِي
وَنَيْسَا ، وَنَوَالِيهَا وَقَلَّتْ بِهَا نَكَلْعُ خَمَجًا عَلَى قَلْبِي ، وَتَوَاكُضُنِي إِلَى وَقَالِي عَمْرِي عَنْ كَلَمْتُ اشْهَادَا
حَتَّى يَغْفُو اللَّهُ عَنِّي وَسَكَتَ مَسْكِينُ ، غَرَّغُوا بِالْدمْعِ عَيَانُو وَصَارَ يَشْهَقُ وَيَكُحُّ وَطَاحَ عَلِلَ الْأَرْضُ
أَيَقُولُ أُنْيَا ف : عَارُ رَبِّي وَفَ عَارَكَ رَدَلِي عَمَارَتُ دَارِي مَا لِيكَ خَيْرُ ، أَيَا قَاضِي مَا لِيكَ خَيْرُ
نُوبِي فِي حَقِّ الْكَرِيمِ ، بِأَحْسَانِكَ صَالِحِي مَعَا غَزَالِي ، سَاعَا وَحْدَا إِلَى أَخْطَاتِ عَلِي رَأْنِي بَذْ
نَمُوتُ ، وَفَرَّاقُ الزَّيْنِ صَنْعُوبَا كَانَ تَسَالُوَا يَا حَاضِرِينَ

مَيِّزَهُمْ فَصِيحُ الْعُلُومِ وَلَقَا نَفْعُوفَ فَرَأَقَهُمْ

شَافَ الْغَادَا تَسَاهَلَ النَّصْرُ بَسُوَالَفَ يَهْجِيُوا بِالْعَطَرِ

وَالْفَرَاكَ : دَارَتِ الْقَمَرُ

وَخَوَّاجَبَ نُوبِينَ ف : السُّطْرُ وَالْعَيْنِينَ كَوَابِسَ الْغَدْرُ

وَخَنُودُ كَمَا الْوَرْدُ وَالزَّمَرُ

وَشَفَايَفَ تَقْصِيرَ الْعَمَرِ وَعَلَى الْجَوْهَرِ فَايِقُ الثَّغَرِ

والرقبـا عراض في قفـر

وَالْعُضْدَيْنِ اصْـسَوَارَمَ اسْقَـسِرْ وَصَبَاعَ قَلْسُومًا بَلَا فُـسِرْ

وَالْبِلَالِ لَرَزَخَامَتِ الصُّـدِرْ

وَالنَّهْدَيْنِ اتْفَسَافَحَ اشْجَـسِرْ وَرَدَفَ بُو نَوَاحٍ مَعْتَمَـسِرْ

وَالْبَطْنِ الطَّائِي مَعَا الْخُـصِرْ

وَالسَّرَّاءُكَ : طَاسَتِ الْخَمَـسِرْ وَالْفَخْـدَيْنِ اشْوَابِلُ الْبَحـرْ

وَالسِّيْقَانِ تَهَيَّجَ الْفُكـرْ

وَقَدَامَ اخْـدَلَجَ بِلَا عَـكِرْ وَالْقَدَفَ : جَهْدُوا بِلَا حَـكِرْ

وَالْعِـذْرَا تَرْيِيَتِ الْخُـصِرْ

وَالْقَاضِي مَا فَادَلُّو صَبَـسِرْ تَيْهَتْـو مَسْبُـوَلَتِ اشْعَـسِرْ

بَصَفَرُهَا وَالتَّيْبَةِ وَالْعَفْـسِرْ

وَيَذَاكَ الشَّمْـسُوخَ كِي ظَهَـرْ فَ : وَجِيهَهُ كِي طَلَعَتِ الْبَدَـرْ

أَوْتَسِرِيًّا وَسَطَ شَيْ قُـصِرْ

وَالشَّيْبَ مَنْ يَمَـيَزُ الْكَبَـرْ

وَالشَّايِبَ مَسْكِينٍ ، غَيْرَ كَا يَبْكِي وَيَنِينٍ ، مَـأَلُو ؟ مَـأَلُو ؟

مَغْبُونٌ عَاجِزُ الْقُدْرَا وَكَبَرُ مَا بَقَاتُ فِيهِ مَزِيًّا ، وَمَلَامَحُو اشْهَابُو ، وَالسَّعْلَا قَبْطَاهُ ، عَادَ يَكْحَكُحُ
وَيَزِيْمُ وَالْبَخَاشُ تَعَاقَبَ ، وَلَا بَقَا فَ : عَمَ الشَّايِبَ ، مَنْ غَيْرَ مَا بَقَا يَاحْضَرَا فِي شَيْخِ الضَّبُّوعَا قَلَّتْ
لَمَلَقُ وَالنَّكَارُ ، وَقَالَ الْقَاضِي - وَشَارَ لَاعَوَانُو - : عَدَلْ لَعْدُولُ نَوْزُوهُ . أَوْدَغِيَا . . . سِيرُوا مَعَاهُ ،
يُعْطِي لِلْمَسْكِينَا اِبْرَآتَهَا فَ : السَّاعَا ، وَيَلَا تَفَاصَلُّوَا رَدُّوَهَا بَيْرَآتَهَا الْعَنْدِي ، وَمَا خَسَرُوا غَيْرُ
نَوْزُوهُ السَّعْدُولُ بَقَا وَلَا كَرَهُ حَتَّى طَلَقَهَا وَصَيْفُطُوهُ مِبَالُضُ ، وَمَشَى بَلَا عَقْلَ لُوكَارُو وَيَقُولُ مَنْ

صَمِيمٍ اسْتِيَارُوا ، اغْرَبْتُو فَرَقَ خَنَارُوا ، وَبَقِيَ بِلَا عِمَارَتٍ دَارُوا وَمَنْ الْفِرَاقُ شَعَلَتْ نَارُوا
وَالشَّابَّاءُ رَجَعَتْ أَمْعَا الْحَرْسِيِّ مُطْلَقًا لَا عِنْدَ الْقَاضِي وَبَتَدَقَّتْ لِيهِ ، وَقَالَتْ لَوْ يَجْزِيكَ خَيْرٌ عَنِّي وَأَنِيَا
لِيكَ يَا الْقَاضِي خَادِمٌ مَكْسُوبًا ، وَمَنْشَاتُ الدَّارِ وَأَمْعَا الْجَوَارِ أَوْتَقَطَعَ الْكَلَامُ ، كَانَ تُسَالُو يَا حَاضِرِينَ
وَيَعْدَهَا شَخْشُ الشَّخْشِ وَشُ حَبُوهَا جَ وَمَا سَامَحُوشُ

وَنَدِمَ عَنْ مَرَّتُو غَايَتِ النَّدَامَا ، وَالْقَاضِي لَوْ غَرَضَ طَلَّقَهَا لَوْ
وَالْحُبُّ جَارٌ عَنُو وَفَرَعَتْ عَزَائِمُو وَبَارَتِ الْحِيَالُ وَقَالَ مَا يَفَاجِي صَمِيمِي غَيْرُ الْهَمَامِ ، وَيَقَا وَأَقَفْ
سَاعَا وَكَأَ يَرْجُلُ رَأْسُو وَيَرِيضُ الرِّعَامَا وَيَجُولُ فِ : مَا يَقُولُ قَدَامَ الْمِيرِ إِلَى دَعَا الْقَاضِي ، وَرَجَعَ
عِنْدَ الْفَقِيهِ وَدَعَاهُ وَسَارَ مَعَ الطَّرِيقِ كَأَيْتَخَرُوعَ ، مَرًّا يَتَوَضَّأُ مَرًّا يَكْعُدُ ، مَرًّا يَزِيدُ مَرًّا يَسْخَفُ ،
وَحَدِيثًا لِسَيِّدِ الْقَاضِي ؟

وَلَا لَقَلْبِ دَارُوا ، وَرَفَدَ مَصْحَفٌ تَحْتَ بَاطُو ، نَادَا لِلشَّابَّاءُ تَبَعْتُو ، وَمَنْشَاوَا بَزُوجَ لَحَقُوا لِلشَّابَّابِ ،
صَابُوهَ كَأَعْدٍ وَكَأَ يَنْهَجُ ، فِ : الْحَيْنَ جَاوَا زُوجَ مَنْ أَصْحَابِ الْمِيرِ زِيدُوهُمْ بِثَلَاثَا وَالْهَمَامُ جَلَسَ فِي
مَحْفَلٍ مَا يَلُوهَا يَا وَالْوَارَا عَلَى يَمِينُو وَشَمَالُو وَالْمَزَارِكِيَا ، حَتَّى الْقِيَادَ وَالْفَرَادَا ، وَالْأَمْنَادَ كُلَّ
حَنَطَا وَالشُّكَايَا مُصَافِينَ ، مَنْ مَوْرَاهُمُ لِمَسْخَرِينَ ، عِنْدَ الطَّاعَا مَشْتَمَرِينَ ، وَكَلِمَتِ الْمَلِكِ نَافِدَا ،
وَالْمَشُورَ بِعَجَائِبِ الْمَلَكََا عَامَرًا .

وَبَشَّرَتْ سَيِّدَنَا مَبْشُورًا ، وَكَذَلِكَ صَوَّرْتُو مَهْيُوبًا ، وَالشَّابَّاءُ مَعَ الشَّابَّابِ وَالْقَاضِي سَرَاتٍ فِيهِمْ
رَهْبًا مَنْ هَيِّتُو ، وَنَطَقَ الْهَمَامُ اللَّهُ يَنْصُرُو قَالَ لَهُمْ : ادْوِيُوا مَا لَكُمْ أَشْكِيُوا عَلَيَّ وَخَضَعُ لِيهِ الشَّابَّابِ
وَتَوَا وَقَالَ لَوْ : يَا سُلْطَانُ ، أَنَا جِيتُ شَاكِي لِّلَّهِ وَلِيكَ خُذْ لِي حَقِّي وَانْظُرْ مَنْ الْحَالُ هَذَا الْخَلْقَا مَرَّتِي
وَجَارَتْ عَلَيَّ وَبَغَاتُ الْفِرَاقِ مَنِّي وَأَنَا وَالْفَتْهَا وَقَلْبِي مَا طَائِقُ لِلْفِرَاقِ ، وَعَيَّيْتُ أُمُولَايَ مَا نَسَاعَفُ ،
وَنَسَمَعُ الْعَيْبَ وَنَتَعَامَا ، وَمَنَّاينَ شَفَقْتَهَا بَغَاتِ الْمُنْكَرُ حَجَبَتْهَا فِ : دَارِي ، وَيَعْدَهَا غَدَرَتْ بِي وَمَنْشَاتُ
دَعَانِي لِهَذَا الْقَاضِي وَشَكَاتُ لُوبْشِييِي وَرَجَعَ لِي خَصِيمٌ ، وَشَتَمَ فِي قَدَامَهَا ، وَبَهَدَلْنِي ، وَنَهَرَنِي
وَبَزَمَنِي طَلَّقَهَا لِي وَحَارَهَا لَوْ كَارُوا ، وَلَا قَرَا عَقُوبَتِ مَخْرَنَ ، وَتَتَ قُضِي بِعَرَفَكَ ، شَافَ السُّلْطَانُ

ف : الفقيه أو فهموا برجاحة العقل ظلم الشايب في غراض لمرأ ، وأمر سياف قال درج رأسو ،
وتشوف سيد الفقيه اجبد مصحف للدخيل وخطو للمير فوق صدر وبتسط خدو وكثف يديه وقال أنا
ف : جبرتك يا أمير المؤمنين وعفا عنو سيدي وخيتو وحلف لو لولا كتاب ربي حتى يبريه

وأمر ويلازم دارو ، ولا بقات ليه حكما ، وأمر علي العدول اتوجتوا ف : الحين رجعوا للشايب
مرثو وسار بها مبشور وخطرو مهنني وتما القول . خالقي يسمع لي قصا بدعتها للناس فراجا
ولا يظن صارت ولا جرات ، غير رجاحت عقلي معا الرياسا ، ماجيت خبار من الشايب ، ولا
شاهدت شابا مغرورا ولا تواصلوا للقاضي ، والمير من سلطان الهوى ، أما الهام سر ف : لو قر
ومعا اهل الافكار كلامي والدا مزين هل العقول المخروبا ، مافقهوا معنا ولا الداوا يقاد التمام
.. كان تسالو يا حاضرين .

خذ احفاظ على الثقان حلا مركزو مساف . الوزان

بجواهر زهوا للادهان ، والياقوت الشعال والتبر ، وسلامي بالورد والزهرة والخيلي والياسمين ،
والنسري والسوسان والعطر ، وعطرشا والغاليا وعنبر ، والنند معا العبير ، والجاحدني ما جاف :
شاي يغدار ف : جهادو مايلو ذرايا ف : فنون القول ، والكلام معا هل لعقول فاهمين المعنا ،
ومعنتها عجيبا بلسان الحال رايقا كا تشرح لعقول ، والغنى يسمع لي فيما عصيت ، ما وقع
خصام ولا حضرت لو غير السان الحال كيف راد تكلم ، وخيار ما نقول : الشايب حاشا نمازحو ،
مولانا عذرو وسامحو ، وسمعت اللي شاب ف : الاسلام معنى غد ف : الاخر ما يدخل النار ما
يراهم ودعوت الشايبين . مقبولا من ربي وقالت اهل التحقيق "الشيب نور"

واللي ماشاب يشيب لا غنا يا حفاظ الى طوال لعمر كما قالو شياخ من قبلي حتى أنا نقول
ما أنا جاحد ما أنا سفيه ، ما أنا داعي ما أنا قبيح ، قابض وقري وملازم الصبر والدعوا ما
أنا ف : سوقها واهل الدعوا ماله صولا ، ولاوصلو الجاه وسلام الله على الاشراف نعم استيادي
وعلى الاشياخ هل الامجاد ، وعلا

أَهْلَ الْغُلَامِ أَوْطَلَبَا وَعَلَى أَهْلِ الذَّكْرِ مَثَرَا
وَعَلَى الْأَقْطَابِ هَلْ لَمْحَبَا وَعَلَى السَّامِعِينَ انْشَادَا
دُونَ الْجَحُودِ وَهَلْ الْغُثْبَا ، عَلَى أُمّتِ الْمَهْتَرَادَا
سَيِّدَ الرَّسُولِ خَيْرَ النَّسَبَا

مُحَمَّدُ الْمَفْضَلُ عَيْنَ الرَّحْمَا شَفِيعَنَا صَلَّي اللّٰهُ عَلَيْهِ قَدْ مَا دَائِمُ مَلِكُ الرَّافِعِ السَّمَا وَعَلَى الْوُغَايَتِ
الرَّضَا ، وَهَلُوْ وَارْوَاجُوْ وَلَا مَتُوْ وَأَنْصَارُوْ ، وَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِلدَّائِمِ وَاسْمِي نَبِيْنُو الْمَدَانِي عَبْدُ
الْإِشْرَافِ هَلْ الْإِسْرَارُ الْمَوْهُبَا ، قُولُوْ كَاغْ : اللّٰهُ يَرْحَمُوْ ، وَالرَّاحِمُ يَرْحَامُ كَانَ تَسَالُوْ يَا حَاضِرِينَ

الحربة ، او "اللزمة"

شَاهَدَتِ الْيَوْمَ عَجُوبَا شَايِبَ ضَلَّ مَعَا الشَّابَا ف : مَعَايِرُ وَخَصَامُ
كَانَ تَسَالُوْ يَا حَاضِرِينَ

هذا إبداع من إبداعات "فن الترجما" في المحزون ، ولا أقول قصيدة من قصائد فن الترجما "فنحن في هذا الإبداع لم
نكن مع "الشعر المحزون" وإنما كنا مع "الادب المحزون" مع "النثر الفني" المعروف باسم "السوسي" وقد مر معنا ذكره في أول
الفصول

نعم ليست كل "الترجما" في السوسي بل فيها ما هو مكسور جناح "أقاضي قصا جراتي معانا الحادم والحرّة"
"الجلنار" "الطير" وفيها ما هو من الشعر العمودي "الدجور" "حمان" و"حراريز"
إلا أن معظم "الترجمات" وأروعها ، هي تلك التي في "النثر الفني" أي السوسي وقد قدمت منها "الشايب والشاما"
كنموذج

فماذا يرى القارئ الكريم في هذا النموذج الأدبي الدارجي الذي عمر مائة سنة بالتمام والكمال ؟ أو نحتاج الى شيء من
التجاوز لنطلق عليه اسم "أقصصوصة" ؟ فهو كما لا شك قد لا حظت لم يبدأ بتمهيد ولا بتوطئة أو مقدمة وإنما بالحوار
قال الشايب للشابة ومن خلال الحوار ، والتعليق على الحوار نبدأ في التعرف على الحدث شيئا فشيئا الى أن يكتمل
الصورة

حتى رسم الشخصيات لا يأتي إلا حيث ينبغي وبالقدر الذي ينبغي ، ملامحوشها أبو ، والسملأ قانطاة "منوص العجاج"
برجلية "متبع الضباب بعينية" بل نحن لم ننتبه لمفاتن الحسناء ، إلا عندما رأيناها من خلال نظرات القاصي ، هي تكاد
تلتهمها أما اللفظة العامة الساطعة والعبارة الشعبية الرائعة وكيفية السير في الموضوع ، وتلك السلسلة وذلك الانساب
وما بين السطور من إشارات خفية يستلزمها الطرح ولا ينبغي الإفصاح عنها على أية حال النماذج بين يديك ، والرأي
رأيك ، وما أنا إلا دلال الخير "والله الموفق" صحيح أننا في المحزون ، لا نعرف عن هذا العرض إلا أنه طافح بالمسملحات

اللطيفة والطرائف الشيقة ، والهزليات الممتعة ، والانتقاد الساخر لكل من ، وكل ما يستحق الانتقاد والحق أنه . أي هذا الغرض - أكبر بكثير من مجرد مستملحات ، وطرائف ، وهزليات ف . ترجمات الحراز مثلا وقد تجاوزت في عددها المائة حراز لو وجدت من يحلل بعضها التحليل السيكلوجي الصحيح الجاد ، لتبين أنها في جملتها تحارب الكبت والقهر بكل أنواعهما ، وفي تفصيلاتها تحارب سائر ضروب الاحتكار والاستغلال ، وجميع أشكال الشعوذة والتدجيل ، وأنماط الذل والمهانة وأوضاع الدعة والاستسلام .

وإذا كان الملحون خصوصية مغربية لا يمكن أن توجد إلا في البلاد المغربية ، فإن الحراز خصوصية من خصوصيات الملحون المغربي ، ولا يمكن أن توجد في غيره من سائر أنواع فن القول .

و "ترجمات" الخادم الحرة " وهي أربعة إبداعات ، ظهر الأول في السبعينيات من القرن الميلادي الماضي ، وظهر الثاني في التسعينيات من نفس القرن ، والثالث في الثلاثينيات من هذا القرن ، والرابع في الخمسينيات منه ، وأصحاب هذه الإبداعات هم على التوالي :

"الحاج أحمد الغرابلي ... فاس" ، "المدني التركماني ... مراكش"

"الحاج الحسن بنشقرون مراكش" "الغيساوي الغلوس ... فاس" .

فقرأة متأنية في هذه القصائد تظهر بوضوح ، أنها أكبر من مجرد شجار عابر بين امرأة سوداء وأخرى بيضاء ، بل أنه الصراع الأزلي المزمع ، بين سكان شمال أرض الله ، وأبناء جنوبها ، بدأ بالاسترقاق والاستعباد ، مروراً على الاحتلال والاستغلال ، وصولاً إلى انتفاضات الأفارقة التي لا تزال متوالية في بعض الجهات إلى يوم الناس هذا

وترجمات "الفقيه المسلم والمبشر المسيحي" و"العابد والراهب" و"النخلة والصمصافة" و"الناسك والشیطان" كل ذلك فكر وفن ومعرفة وثقافة

وليس من لغو القول أن أشير إلى أن هذا الغرض الذي يسمونه "الترجمة" يعيد قراءة كل الاغراض التي تعامل معها الملحون ، سواء منها ما تناولناه حتى الآن ، وما لم نتناوله بعد ...

فالمناجات الالهية والامداد النبوية نجدها في ترجمات "جمهور الانبياء" "جمهور الاولياء" "جمهور اهل النبوا" جمهور رجال الله

والوصايا الوصيات " تتناولها "الترجمة" لا بالاسلوب الواعظ ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل بأسلوبها الفني الرائع الذي يجعل الشعور يمقت المساوى ويهجمها ، ويغضب بالمحاسن ويتعشقا

ف "الترجمة" لا تقول عن الخمر مثلا . "كُلْ مُسْكِرٌ حَرَامٌ" وكفى أو يبيعها وشراها وشرايتها حرام . وإنما تصور لك المضمود الفاقد الوعي ، الذي "عَمَا لَمِيْمَتُو الْعَيْنِ" ، أو الذي صفع أباه أو الذي تبول في الفراش ليلة زفافه ، وهكذا كل أنواع الفسوق والفجور والزنيغ ، من كذب ، وخيانة ، وغدر وما شابه ، وغرض "المشاقبي" في "ترجمات الحراز" وفي غيرها ووصف الطبيعة في الربيع ، وفي غيره من فصول السنة نجده في "ترجمات" الفصادة ، والشراطة ، وأوشام للثناك و "ترجمات" الصيد

والقنص والنزه الجماعية "للتذكور" وهكذا وهكذا الى أن نأتي على كل الاغراض التي تعامل معها الملحون ، فنجدها جميعها حاضرة في هذا الغرض الذي أطلقوا عليه اسم "الترجمة" أتراهم قد أخطأوا الصواب بتسميتهم للإبداعات هذا الغرض الترجمة ؟ لنرى

إذا نحن اعتمدنا مفهوم اللفظ كلفظ "ترجمة" وتجمع على "ترجمات" فقد سبق لاحد رواد الفكر ، وجهادة اللغة أن أطلق على ديوان شعر له اسم : "ترجمان الاشواق" انه محي الدين بن العربي .

وإذا جاز أن نعتبر الشعر ترجمان الاشواق ، جاز أن نعتبره ترجمان الخلجات التي تختلج في الاعماق ، وترجمان المشاعر والاحاسيس بل وجاز أيضا أن نعتبره ترجمان الاحوال في كل الحالات ، وتلك هي حقيقة "الترجمة" الملحونة

أما إذا اعتمدنا مفهوم اللفظ كاصطلاح أدبي "ترجمة" وتجمع على "تراجم" ، فإن هذا الاصطلاح ما كان ينبغي أن يقتصر فقط على الترجمة للأشخاص ، النابغة فلان ، والعبقري فلان ، والبطل فلان ، فاهل الملحون مثلا ترجموا للمدن

مَدِينَتُ سَلَوَانَ كَالْمَنَارِ مَنْ سَبَّحَ مَدُنَ مَا تَبَسَّحُوا
مَاقْبَلُوا نَاسَهَا جَسَارًا كَتَبُوا فَا شَوَاهِدَ السُّطُورِ
لُوجَاتُ قِبَابِلِ الْجَسَارِ تَقْنًا بِدَوَائِبِ الشُّرُورِ
صَالَتْ بِأَسْوَارِ قَلْعًا مَبْنِيًا حَازَتْ الْوَعَرَ بِالْهَيْبَا وَالْعَزَّ وَالْوَقَرَ
وَمَنَازَهُ وَدِيَارِ بَيْنَ سَقَايِلَ لِبَرَاكِ عَامَرَا
فِي كُلِّ شَبَارِ مَهْرَازِ الْكُورِ يَهْدُ مَنْ دَسَرَ وَتَفَاضَ الْعَسَا عَلَى النَّمَرِ
وَالْعَسْكَرُ جَرَارِ وَصَحَابُ الْوِزْنِ بِمِيزِ غَارَزَا

وترجموا للجبال :

حَدَّثَنِي عَنْ عَيْنٍ فِي ضُلُولِ الصَّفْقِ صَافٍ مَبْرَدًا وَعَذْبًا تَحِيَّيَ الْارْوَاحَ
وَعَلَى شَيْءٍ طَفَلَاتٍ رَايَحَا وَالشَّيْخُ رَوَايَحُوا فَا : الْهَوَا فَيَا حَا
يَاطُودُ مَنْ اَطَاوَادَ اَرْضُنَا عَالِي مَثَلِ انْفُوسِنَا اللَّي مَا تَخْصَعُ لَوْقَا حَا
حَدَّثَنِي عَنْ كُلِّ مَا ضَحَا كَايْنُو لَيْسَ كَانَ يَخْطُرُ فِي وَاحَا
حَدَّثَنِي لِلَّهِ عَنْ الصِّيَادَا وَعَلَى خَيْلِهِمْ وَعَلَى ذَاكَ التَّحِيَّاحَا

وَسَرَّابُ الضَّأْيَا اللَّائِحَا وَالصَّلَاحُ الْقَطَابُ وَقَتُ السَّيَّاحَا

وترجموا الحصان :

هَاجَ وَجَدِي وَجَوَادِي هَاجَ لِي مَسْرَجُ نَجَالِ جَرْدٍ مَجْرَدٌ مَتَقَنَجًا دَعَا جَوُ

☆☆☆

سَالُ عُوْدِي عَن وَعْدِي يَبَاتُ يَرْتِي وَيَضِلُّ مَعَا اللِّجَامُ مَسْكِينٌ يَكْدُ

وترجموا النحلة :

صَوُّلِي يَا شَامَا الضَّرِيفَا وَزَهَايَ وَغَنِّي وَدَنَدَنِي قَطْفِي مَنِ الْإِزْهَارُ

يَا تَرِيحَا قُ عِلَاجُ كُلِّ ضَرَرٍ يَابَتَتِ الْمَلِكُ فَيْكَ هَمًّا وَتَجَارَا

وترجموا للشمعة :

لِلَّهِّ يَا الشَّمْعَا سَلَّتْكَ رَدِّي لِي اسْأَلِي اَعْلَاشُ كَاتِبَاتِي تَبْكِي مَا دَا لِكِي شُعِيلاً

بل وترجمو للفتيل الذي بداخل الشمعة :

أَنَا اللَّيِّ اتَّخَرَقْتُ وَمَا انْتِيَا غِي الصُّهُ دَاكُوا كَ

ترجموا للذئب:

فَرُخُ الذِّئَابِ مَا يَتَرَبَّأُ قَالُوا النَّاسُ وَأَنَا رَبِّيْتُ

ترجموا للنملة:

"لَحْوِيْدَكَ" دِيمَا امْحَرَمْنَا مَشْمُورَا وَمَخْمَلًا جَلِيلَهَا كُلُّ نَهَارُ

هِيَ وَالنَّحْلَانِ لَا مَنَ الْفَجْرُ وَجَنُودُ الْمَلِكِ مَا اتَّخَالَفَ لِيْشَارَا

وترجموا للاطلال :

جِيَّتْكَ يَا رَسْمَ الْبَاهِيَّاتِ صَبَّتْكَ خَسَالِي مَهْجُورُ

سُكَّانَكَ جَابُوا نِي نَزُورُهُمْ لِلَّهِ وَأَيْنَ سَارُوا وَأَعْطَيْنِي الْاِخْبَارَ
وترجموا للمسجد :

لَوْ شَفَقْتَنِي كَمْ مِنْ حَبَابٍ دَخَلُوا مِنْ هَذَا الْبَابِ ، مَنْ عَلِمَا وَأَقْطَابِ
مَنْ ذَاكَ الْيَوْمَ الدَّابَا وَالصَّلَاحُ الَّتِي اعْتَاكَفُوا فِيهِ سَنِينَ مَوَاضِبَا
وترجموا الانهار ...

مَلُورِيَا ، مَنْ حَيْثُ عَايَرْتَ وَرَغَمَا بَيْنَ هَضَابٍ وَ"سَبُو" يَسْمَعُ لَخْطَابِ
وَاللَّيْرَ وَالسَّبَابَا وَالرُّعْيَانُ يَوْرَدُوا وَلَبَنَارَتُ عَلَى الْمَدَاعِبَا

لا بد من أن نعود الى "الترجما" مرة أخرى ، عند تناولنا للملحون المعاصر ، أما الآن ، علينا فقط أن نتعمق لها حصتها من
النماذج كباقي الأغراض .

"بَيْك مَالِيُون" كما لا يخفى على مثقف ، يبحث تماثيل الاجسام من الحجر ، ومن غير الحجر ، وقد نحت مرة تمثال امرأة
فابدى فيه كما لم يبدع في أي تمثال آخر قبله ، ولما فرغ من العمل ، وأصبحت المرأة ماثلة أمامه تكاد تخاطبه ، أحبها ، وطلب
من الآلهة أن تهيبها الحياة ففعلت ، وارتمت المرأة في أحضانها وجن جنونه ، وقرر أن يتزوجها فصبت عليه اللعنات
وسمع الاصوات تردد من كل جانب "بيكاماليون الملحون" أو يتزوج الخلاق من مخلوقاته ؟ هذه في سطور ، هي أسطورة
"بيكاماليون" وكما ترددت في اليونان قبل الاف السنين ...

وسوف يأتي برنادشو فيستوحي من الفكرة مسرحيته المشهورة . "سيدتي العزيزة" وستأتي السينما ، فتنجح المسرحية
في أكثر من فيلم

ويأتي بن الصغير الصوري . وقد مر معنا ذكره وسبقت الإشارة الى أنه شاهد عهد السلطان العلوي الحازم مولانا
الحسن الاول فيستوحي من الفكرة هذا الابداع الخفيف المرح ،

كَانُوا بِأَثْنَيْنِ مَسَافَرِينَ فَ : طَرِيقُ الْخَيْرِ مَرَافِقَيْنِ

وَأَحَدٌ فِيهِمْ نَحَاتُ صَانِعٍ رَفِيعٍ بِهِزَ جَمْعِ الْعُقُولِ ، مَا عِنْدَ بَنَادِمٍ مَا يَقُولُ ، مَنْ غَيْرُ صَوِيرِي مَا
يَطْوَعُ جَدَرَ دَالْعَرَعَارِ الْمَهْشِيشِ ، مَنْ غَيْرُ فُشْرٍ مَنْ نُونٍ فِيشُ كَايَصْنَعُ ب : الْعَرَعَارُ شَيْ عَجَائِبُ مَا
يَشْرِيهَا الْوَيْزُ وَلَا جَوْهَرُ وَلَا بَرِيزُ وَالثَّانِي كَانَ مُجَادِلِي ، وَفَ كُلُّ أَفْرَاحٍ مَوَاوِلِي

وَتَجَرَ دَغِيَا دَغِيَا غَنَاهُ أَتَايَ وَصَارَ مِنَ الْبَابِ يَبِيعُ وَيَشْرِي فَ : الْاَثْيَابُ ، عَتَدُوا لِحَرِيرٍ مَعَا

السَّابِرَا ، عَنَدُو الْمَلْفَ مَعَا الْكَامِرَ ، عَنَدُو لَفَوَالِي الْعَاطِرَا وَعَكَرَ وَالْحَرْقُوسَ وَالسَّوَاكَ وَالْكَحُولَ ،
وَمَا عَلَى الْجَمَالِ مِنْ حَمُولَ ، زَارُوا مَقَامَ سَيِّدِي مَكْنُولَ أَوْسَكْدُوا
خَرَجُوا فَ : السَّرُوبِيَا مِنْ الصُّورِيَا جَدُّوا فَ : السَّيْرَفَ : الْفِيَا فِي وَأَقْفَارَ ، كَايَغْنِيُوا اشْعَارَ
قَاصِدِينَ بَعَزَمَ وَنِي الْبَهْجَا الْحَمَرَا



فَ : غَوِيْنَتُ سَيِّدِي يَا سُّنِينَ صَابُوسَ صَاحِبَتَا بَنَ الزَّيْنِ
هَرُوهَ وَكَالَ كَلَامَ مَا نَقَدَ نَكُودُ ، وَاللَّي قَوَا عَلَيْهِ فَضُولُ ، زَعَمَا
بَغَا يَسْمَعُوا ، إِيْجِي حَتَّى الْعَدْنَا وَيِرَافَقْنَا فَ جَمَعْنَا وَنَجِييُوا إِلَيْهِ خِيْنَا
وَحَدَاهُ نَهْرُوهَ إِلَيْهِ ، أَوْ يَسْمَعُ أَشْ يَكُولُ إِلَيْهِ ، عَنَدَاكَ يَكُولُ عَلَى سَفِيهِ لَحْدِيْثَ قِيَاسَ وَغَايْتُو دُرَاوَهَ
قَابَطُ دِيكَ الطَّرِيْقَ

وَدَجَعَ حَتَّى هُوَ رَفِيْقٌ ..

يَا مَا حَلَاهَا دِيكَ الْمَرَاْفَقَا ، مَنْ حَكَايَاتُو الْخَارَقَا ، وَالْمُغْرِبَاتِ رَايَقَا وَالضُّحُكَ أَوْ الْأَقْجَامَ فِي
طَرِيْقِ السَّيَّارَ ، هَكَذَا دَارَ انْهَارَ ، رَوْحُو فِيهِ الْفَرْخَ عَرِيْسَ لِلْمَسْرَا
رَاحَتِ شَمْسُ انْهَارِ الْاَثْنَيْنِ دَقُّو قَيْطُونَ مَعَاوِزَيْنِ
تَوَضَّأُوا وَصَلَّأُوا عَادَ جَبَدُوا الْعَشَا وَيَعْدَمَا تَرَايَا وَايْقَسَمُوا لِيْلِهِمْ
عَلَى الْعَشَا مَا بَيْنَهُمْ ، بِالْمَشْخَرَا ضَرَبُوا الْعُودَ ، عَاوَدَ ثَانِي ضَرَبُوا الْعُودَ
وَيَانَ شَكُونُ اللَّوْلِ أَوْشَكُونُ الثَّانِي ، وَجَا الْعُودَ فَ : التَّيْجَانِي

وَخَرَجَ مَنْ الْكِطُونِ يَنْدُوْزُ نُوْبَتُو ، يَحْرَسُ بِالْجَدِّ رَفَاقَتُو ، بَاشْ يَنْدُوْزُ وَقَتُّو ؟ وَبَاشْ يَتَوَسَّسُ ؟ صَابُ
صَنِيعَتُو ، صَابُ جَدْرَ دَالْعَرَعَارَ غَيْرَ مَرْمِي وَطُولَ مِنْ طُولَتُو ، اجْبَدَ أَنْوَاتُو وَزَادَلُو ، يَنْقَشُ وَيَدَقُّقُ
وَيَمْرِي بِالْمَلَكَيَا ، وَكَانَ مَسْكُونُ مَعَا الصَّنْعَا مُخْلَخَلَاوُ الْاَفْكَارَ ، وَلَا ابْحَالُو صَبَارَ .. صَانَعُ تَقِي
.. وَتَقِي ... وَمُعِيْشَتُو مُعِيْشَا مَرَا .

عَسَّ سَوِيْعَاتُ وَكَامِلِينَ وَنَحَتْ قَامًا تَسْبِي الْعِينِ
مَرَا خُمْرِيَا كَامِلًا وَقَفَّهَا وَقَفَّهَا صَايِلًا

وَمَشَافِقُ مَنْ نُوبِتُو يَعْسُ ، وَتَكَ فَفَرِشُو نَعْسُ وَالْتَاَجَرُ مَنْ حَيْتُ شَافَهَا اجْمَدَ فِيهِ الدَّمُ ،
أَوْفَهَى ، وَتَرَاجَعُ دَغْيَا وَعَرَفَهَا ، دَاتُ مِنَ الْعَرَعَارُ صَنَعَهَا دَاكُ الْجَنُ ، وَبَدَ يَخْمَمُ أَوْ يَتَمَكَّنُ وَيَعْدَهَا
مَشَا كَايَجَرِي لَصَنَادَقُو ، جَبَدَ قَفْطَانُ خَضِرُ دَا الْمُوْبَرُ وَقَمِيصُ مِنَ الْخَرِيرِ وَالسَّبِينِيَا وَزَوَاقَهَا مَشَجَرُ
، وَسَقَلَهَا كَثِيرُ وَالْعَبْرُوقُ أَوْعَصَابَتُو دَا لَوْبَرُ وَالشَّرْبِيلُ الْكَبِيرُ لَبْسَهَا نَبَتْهَا ، وَزَيْنُ لَهَا خَلَاهَا
فِينُ صَابَهَا لِلتَّبْهَارُ ، وَفِيَقُ الْبَاعْمَرُ ، بَنُ الزَّيْنُ يَعْسُ النُّوبَا ، وَيَلْقَى لَمَرَا



فَهَا فِيهَا يَافَاهُمِينَ دَارَتْ بِهِ الدُّنْيَا ف : حِينِ
زَكَ رَاسُو دَغْيَا وَزَادَ لِيهَا وَخَزَرَ فِيهَا مَلِيحُ ، طَيْرُ سَبِينِيَّتَهَا الرِّيحُ وَعَلَى رَاسُو غَادِي تَطِيحُ ،
غُمَاتُو ، فَرَعَاتُو ، وَهُوسَاتُو ، وَقَلَّتْ لِيهِ الرِّتَاجُ زَادَ تَفَاكُمُ لِيهِ الْمَزَاجُ
أَوْ مَنْ هَازِي مُحَالُ وَأَشْ بَاقِي يَفَلَّتْ

اتْلَاحَقَاتُ فِيهِ انْفَاسُو وَطَاحُ ف : الْوُطَا كَايَلَهَتْ
لَوْكَانُ شَاهِدُوهُ وَنَاسُو مَسْكِينُ كَيْفُ كَايْتَمَرَتْ
اشْحَالُ عَادُ عَرَا رَاسُو

وَمَنْ يَنْ شَافُ ف : جَنَابُو صَابُ أَمَامَنْ شَلَاخُ الْعَرَعَارُ الْكِبَارُ أَوْ الصَّغَارُ
ابْحَالُ مَنْ جَاهُ أَوْ مَرْمَقُ لُسُو وَعَرَفُ الْجَرَا

عَادُ وَلَلْ عَنُو لَعِيَا وَعَادُ مَسْكِينُ انْهَارُ وَعَاوَدُ ارْفَعُ الْإِبْصَارُ
بَاشُ يَنْظُرُ هَازُ الْخَشْبَا وَجَبَاتُو حُكْرَا

كَيْفُ حَتَّى يَتَفَرَّغُ بِالْخَوَا وَهُوَ عِيَارُ مَا بَحَالُو عِيَارُ

وَيَاشُ مَنْ كِيدَ يَرَدُّ الصَّاعُ بِأَلْفِ عِبْرًا
 بَدَأَ يَخْمَمُ كَيْفَاشُ وَيَاشُ خَصَّ يَأْخُذُ بِالنَّارِ مَنْ خَسِيسُ التَّجَارِ
 عَلَى اللَّيِّ مَا خَبَرُوا وَتَخَانَفَاتِ فِيهِ الْحَسْرَا
 وَبَعْدَ سَاعَا ضَرْبِ كَفُوفُوا الْأَرْضَ ضَرْبَتْ نَطَهَارُ تَيْمَمُ بِاخْتِصَارُ
 وَدَارُ لِلْقَبَلَا يَرْجَا خَالِقُو عَظِيمِ الْقُدْرَا
 وَغَيْرُ كَبِيرُ وَسَجْدَ سَجْدًا سَمِعَتْ عَطَسًا بِجَهَارُ أَحْيَاتُ بَنَتْ الْعَرَعَارُ
 وَغَيْرُ سَلَمُ طَاحَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ عَذْرَا سَمَرَا
 كَالِ لِيهَا تَبَغِيكَ تَفِيْقِي عَدِيمِ الْيُضْمَارُ أَوِ الدُّيْبُ النُّجَارُ
 وَغَيْرُ فَاقُوا شَعَشَعَ لَحْمَاقُ فَ: الْاِثْنَيْنِ بَمَرَا
 شَكُّونُ مَنْ حَقُّو يَأْخُذَهَا مِنْ اِثْلَاثَا يَذْكَارُ وَاهِيَا هَلِ الْاَفْكَارُ
 يَالْوَدَّ بَايَاهِلُ لَعْلُومُ نَعَمُ الْقُرَا
 قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الصَّغِيرِ وَالسَّلَامُ فَ: الْاِشْعَارُ عَمَّ سَايَرَ الْاِبْرَارُ
 وَالْجَوَابُ يُصَيِّبُوا مَنْ رَادُ فَ: "الْبَيَّاتُ الْعَشْرَا"

اللازمة:

هَـاَذِ هِيْ ، مَا هِيْ غَيْرُ مَنْ جَدَرَ دَالْعَرَعَارُ نَحْتُ مَا هَرَّ عِيَارُ
 تَمَّ وَلَحْمُ رَجَعَتْ وَحِيَّاتٌ وَلَلَّاتُ مُرَارَا

شغل هذا السؤال الكثير من الناس مدة ليست بالقصيرة ، بل وجدتهم في حضيرة الملحن عندما التحقت بها في الاربعينيات ، لا يزالون يرددون . "شَكُّونُ مَنْ حَقُّو يَأْخُذَهَا" تعاما كسؤال من سبقت الى الحياة البيضاء أم الدجاجة ؟ ولقد قال عبد الواحد العصفوري لشيخنا الجليل سيدي ادريس متضاحكا فكر معنا ياسيدي ، من أحق بهذه المرأة من الثلاثة ؟ فقال له سيدي ادريس ولماذا تريدني أن أفكر في شيء ما كان ، ولن يكون ؟ فقال العصفوري والبيضة فالدجاجة ؟ فقرأ سيدي ادريس قوله تعالى : "وجعلنا من الماء كل شيء حي"

وبصرف النظر عن الفكرة التي قامت عليها هذه القطعة الأدبية الدارجية ما دمنا لم نعتز حتى الآن عن الأبيات العشرة التي تحمل الجواب ، بل ولا نعرف حتى هل هي سرابية من عشرة أبيات ؟ أو اعروبي في عشرة أبيات ؟ أو أنها عشرة أبيات من قصيدة ما من قصائده ؟

بصرف النظر عن الفكرة ، يبقى الابداع كمرآة ساطعة تظهر فيها بجلاء مدينة الصويرة على عهد السلطان المقدس ، مولانا الحسن الاول تقمده الله برحمته .

في النحت مَنْ غَيْرِ صَوِيرِي مَا يَطْلُوْغُ اجْدَرَ دَالْعَرَعَارِ الْهَشِيْشِ ، كَمَا يَصْنَعُ بِالْعَرَعَارِ شَيْءٌ عَجَائِبُ تَبْهَرُ جَمْعُ الْعُقُولِ

الصناعة التقليدية ، الحضارة ، الرواج ، الفرص المتاحة ، الطموح الذي لا تضيق معه الفرص

كَانَ مُجَادِلِي بَوَفِ كُلِّ افْرَاحٍ مَوَاوِلِي ، وَتَجَرَ دَغْيَا دَغْيَا غَنَاهُ أَتَايَ وَصَارَ مِنَ اللَّبَابِ ، يَبِيْعُ وَيَشْتَرِي فَ : اللَّيَابِ .

وذاك الوصف الجميل النبيل لدعابات أوقات المرح وسويغات الانس ، وذاك التشخيص الدقيق للحظات الفرع المفاجيء والروع المباغت .

اَتَلَاَحَقَاتٍ فِيْهِ اَنْفَاسُوْ وَطَاحَ فَا : الْوُطَاسَا كَايْلَهَتْ

ورحابة الترحيب ، وكرم الضيافة ، ودفء التألف .

يَجِي حَتَّى الْعَنْدَنَا ، أَوْ يَدْخُلُ فِي وَسْطِ جَمْعِنَا ، وَحَدَاةَ نَهْرُوْهُ لِيْه

على كل حال ربما لا يستغني من يؤرخ للصويرة ، أو يترجم لها عن شعر محمد بن الصغير الصويري لأنه يأتي من قلب أحياء الصويرة وأسواقها وبيوتاتها ..

وسوف يأتي معنا ذكر بن الصغير مرة ثالثة ، عندما نعرض للهجاؤنا ونتناول من ضمن ما سوف نتناول فيه ، تراشق فن الرزّون الصويري أما الآن فإلى لمسة أخرى من لمسات الثقافة العالمية في الملاحون إنه الموضوع الذي قامت عليه رسالة الغفران . لابي العلاء المعري ، و "الكوميديا الالهية" ل. دانتي ، موضوع ما بعد البعث ، والحشر والحساب .

وقد سبقنا الإشارة الى أن "الترجمة" لا تكون فقط في "النثر الفني السوسي" وإنما تكون أيضا في الشعر العمودي "لمبيت" وفي "مكسور جناح"

وهذه المرة مع "لمرأى الثلاثي" من الشعر العمودي الموزون المقفى

كَانَ رَاجِلٌ مَعَا مَرْتُوْفَا : الدُّنْيَا عَشْرَ رَآنِي تَابِعِينَ الشَّيْطَانُ

لَا صُلَا لَا رَاكَا لَا صَوْمُ عَائِشِينَ عَلَى الْمُنْكَرِ

ويصف هذا المنكر في أبيات . فيصور بيت الزوجية لهذين الزوجين وقد تحول الى حانة خمر وقمار تقع فيها من القادورات البشعة ما يجعل الشرفاء من الناس يتمنون إحراقهما في الدنيا قبل الآخرة

ونحن نترك كل ذلك الوصف ، لننتقل مع الشاعر الى حيث يقول

نَهَارُ مَا تُؤْهَدُونَ بَزُوجِ يَا الْفَاهِمَ تَمَكَّنْ خَلَّوْصِي عَرِيَّـانَ
كَانَ خَانُو رَجُلٍ مَسْكِينٍ حَايِزُو عَنَدُوفَ : الدَّارُ

وينشأ الطفل اليتيم في بيت صلاح وورع . ويحفظ القرآن الكريم والاحاديث الشريفة ، ويتعلم من العلوم ما يصلح الحال والمال ... ويفتح الله عليه . . فيصير من السبعة بالصفات السبع

اقْرَأَ الْقُرْآنَ تَفَقَّهُ فِي عِلْمِ دِينِ الدِّيَّانِ بُدَا يَقْرَأُ الصَّبِيَّـانِ
وَكَا يَحْدُثُ وَيَوَاعِظُ فَ : الْعِبَادَ وَيُرْتَلُ الاسْوَارُ

وهنا يقف وقفة خاشعة أمام فضائل القرآن ، وأسرار القرآن ، يختتمها بقوله :

نُورُ رَبِّي فَ : قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ سَرُّو رَبَّانِي بِهِ تَصْلَحُ الْأَزْمَانُ
عَزَّتَا فَ : الدُّنْيَا وَفَ : الْآخِرَى اِيْتَجِي فَ : الْمَحْشَرُ

ونفخ في الصور ، وانتهى كل شيء . وقال الله ولا شيء معه : لمن الملك اليوم ؟ ليحيب عن سؤاله بنفسه جلت قدرته وتعالى عظمته : "لله الواحد القهار"

ونجدنا مع الشاعر الفيلالي فيما بعد البيت

جَا انْهَارَ الْمَوْقِفِ لِعَظِيمِ وَالرَّجَالِ اُونَسَوَانِي شَاخَصِينَ بَ : الْاَعْيَانِ
فَ سَايِرُ الْاَنْبِيَاءِ وَتَبَاعَهُمْ شَلَا رَاتِ عِيَانِ

وينتهي يوم الحساب ، وتمتلئ الجنة بأهلها والنار بأهلها . ويحدثنا الشاعر عن الشاب حافظ القرآن الذي نشأ في عبادة الله ، وهو يمرح في الجنة بين الحور :

فَ : حِسِينِ نَادَاتُ حُورِيًّا وَقَالَتْ لَوْ أَيَا تَبَانِي يَا السَّاكِنُ لَجَنَانِي
رَأَاهُ يَمْسُكُ امْعَا بَابَاكَ حَارِقَاهُمْ نَارَ الْحَرِّ

ويضحك الشاب من قولها ، ويشير الى الاسرة التي تبنته ، وهو يحسبها أسرته الحقيقية . وتتفاضى الحورية عن ضحكك وتؤكد :

أَبَاكَ فِي أَشَدِّ الْحَالَا ، أَمَكُ فِي شَرِّ أَمْحَانِي فِي غَمُوقِ النَّيِّرَانِ
وَسُؤْلِ اللَّيِّ رَبَّاوَكْ بِالْأَتْنَيْنِ يَعْطِيوَكْ لَخْبَرِ

ويستفسر عن جليلة الامر ويأتي الجواب مصدقا لما قالت الحورية :

كَالْلُو لَوَاهْ أُولَدِي الْبَاكْ وَسَطِ النَّيِّرَانِ أَمْعَا أَمَكْ فَ : التَّمَحَّانِ
مَا أَحْتَا الْأَرْبَنَّاكَ يَا الْمَحْبُوبُ مِنْ صَغَرِ

وَمَا كَرَمْنَا رَبِّي إِلَّا عِلَّ الْخَيْرِ أَوْ الْإِحْسَانِ ، اللَّيِّ اَعْمَلْنَا بِنْتَانِ
أَنْهَارَ مَاتُو وَحُسْنَايَكْ فِي مَعِيشَتِ دِيكَ الدَّارِ

وتقترح المحسنة على الشاب حامل القُرمان ، أن يتشفع لوالديه عند الله ويتوسل إليه بالقُرمان الكريم

زَاوَكْ فَجُودُ اللَّهِ عَلَى الْبَاكْ وَمَكْ بِأَتْنَانِ بَجَاهِ حَقِّ الْقَرْمَانِ
مَا يَخِيبُ سَايِلُ رَبِّي كَرِيمِ يَسْمَحُ أَوْ يَغْفِرُ

ويتوسل الشاب الى ربه الكريم أن يعتقهما من النار ويدخلهما الجنة برحمته ويقول الله . لك أن تخرج أحدهما . عليك أن تختار . ويمضي الشاب الى حيث النار . ويقترّب منها . فتبتعد عنه . ثم يقترّب منها فتبتعد عنه ، وخازن النار في حيرة مما يجري . لا الشاب تراجع عن النار ، ولا النار التهمته . ويعلق الشاعر على المشهد :

"حَيْثُ مَا شِئِي مَنْ أَهْلُ النَّارِ كَاتِبَعْدُ بَلْعَانِي" ويتساعل هو أيضا فِي حِيْرَةِ لَكِنْ يَا إِخْوَانِي بِأَشْ
عَرَفَاتُو ؟ أَمَرٌ غَرِيبٌ بَايْنِ يَحِيرُ الْفَكْرُ

ويفترض افتراضات :

وَأَشْ شَمَا تَوْصَابَتْ رِيحَتُو رَوَائِحِ الْجَنَانِي ؟ أَوْ هَوْنُودَانِي ؟
غَيْرَ بِالشُّوْفَا عَرَفَاتُو ، وَكَاتَشُوفْ بَغِيرِ بَصَاوِرِ

ويأتي الامر الالاهي بالسماح للشاب بأن يدخل النار ليخرج منها من يختار من أبويه ...

ويبدأ في البحث عنهما . وتثير انتباهه بعض الوجوه من أصحابه ومعارفه كان يحسبها في الدنيا "وَجُوهَ الْجَنَّا" ولكن سرعان ما نسيها في غمرة البحث عن أبويه . وأخيرا يجد الام . ويعرض عليها أن تخرج . لكنها تمتنع .

سِيرُ خَرَجَ بُوكَ أَوْلَدِي اشْحَالَ قَاسًا لَمَحَانِي عِلَّ اللُّقْمَا وَاحْزَانِي
وَالْيَالِي وَهَرِيدَ الْمَا فِ كُلِّ لَيْلٍ وَكُلِّ نَهَارٍ
اشْحَالَ مَنْ مَرًّا كَانَ مَرِيضٌ وَيَمْشِي جَسْمُو فَانِي كَا يِعَانِي وَيَنَانِي
بَاشُ يَآتِي لَنَا بِالْقُوْتِ مَا تَخْلِيْهَشُ فَا : النَّارُ

وينزل عند إرادة والدته ، ويذهب للبحث عن والده ويجده ويخبره بما دار بينه وبين أمه ، ويعرض عليه أن يخرج معه فيأتي هو أيضا :

أَمِيْمَتَكَ يَا وَلَدِي لِيَهَا جَرِي عَلَيْكَ الرُّضْنُوَانِ حَارَقَاهَا النَّيْرَانِي
جَرِي عَتَقَهَا عِنْدِي هِيَ أَوْلَا بَجَنَاتِ الرُّضْنُوَانِ
يَا كُدُوْزَتِي تَسْنَعُ شَهْوَرٌ فَوْسَطُ بَطْنُهَا فَانِي وَالْدَهْرَ عَاوَدَ ثَانِي
وَمَا رَضَعْتِي مَنْ بَزُوْلَةٍ حَلِيْبَهَا صَافِي الْاَعْيَارُ

ويحتار الشاب بين والدته ووالده ، ويلجأ مرة أخرى إلى ربه الكريم ويرحم الله ضعفه ، ويتكرم عليه بعنقهما معا وفي طريقه بهما إلى الجنة يتكره أهل الجنة ، من روائح النار التي تفوح منهما ويأتي الأمر الإلهي بفلسلها في "وَاد الكوثر" سبع مرات ومرة أخرى يقع نظره بالصدفة على أناس كانوا في نظر غيرهم كفرة فجرة لا مال لهم إلا النار

وبعد إذا سلمنا بأن الفكرة التي قامت عليها قصيدة بن الصغير تسربت إلى مدينة الصويرة . من تجار الشواطئ ، الذين كانوا يجوبون البحار المغربية جينة وذهابا . وللفننيين آثار لم تزل قائمة بالجزيرة إلى الآن . أو تسربت من القوافل التي كانت تمر بالصويرة سواء تلك التي تمضي من الشمال إلى الجنوب ، أو تلك التي تأتي من الجنوب إلى الشمال ، أو جاءت مع أفواج اليهود الذين تساكفوا مع المسلمين ، بل فاقوهم عددا في بعض الفترات . إذا سلمنا بشيء من ذلك ، فإننا لا نسلم أبدا بأن الفيلالي بن الفيلالي قد جاءت الفكرة من هذه الجهة أو تلك ، أو بهذا السبب أو ذاك

فهو بالتأكيد ما قرأ "الكوميديا الإلهية" لدانتى . ولا سمع عنها لا ولا أطلع على "رسالة الغفران" للمعري . ولا بلغه خبرها فالسار غير المسار ، والطرح غير الطرح ، والقصد غير القصد ولا أثر فيها لاية أيديولوجية ، وما قلت عنها أنها لمسة من الثقافة العالمية إلا لأن الشاعر الممتاز قد تصل إبداعاته إلى مستويات عالمية ، وهو ما برح قريته أو : "كصره" ، فالإنسان الممتاز ، ممتاز في أي زمان ومكان ، ويكل لغة ولسان .

فلقد كان قصد القصيدة في بادئ الأمر ، ترغيب الآباء في تعليم أولادهم القرآن ، كما تفهم من بيت القصيد ، أي اللازمة أو "الحربا"

يَاللِّي عَنَّاوُ تَرِيكََا حَلَالْ تَقْرَا الْقُرْآنِي رَاهْ فَضْلُو فَضْلَانْ فَضْلْ فَ : الدُّنْيَا وَفَضْلْ الْآخِرَى أَكْثَرُ يَا هَلْ لِفَكْرْ

ولا شك عندي أن هذا البيت هو أول ما خطر ببالي ويشيء من التأمل فيه رأى أن عليه أن يبين بعض أفضال القرآن على أهله في الدنيا ، ففعل وأوضح أنه يصلح الحال والمال ، ويصلح ما فسد في الزمان وييسر العيش النظيف ، ثم رأى أن يوضح بعض أفضال القرآن في الآخرة فحاول فإذا به في هذا السياق فاستمر فيه وانساق معه الى النهاية ولكنتي بالقصيدة كلها ما قامت إلا على تداعي الافكار والفكرة عن الفكرة من بدايتها الى نهايتها ، وهي في مجموعها لا أثر فيها لاي لغم ف : الشاعر مثلاً لم يجد في الجنة أصحابه ، وفي النار خصومه بل وجد العجب ، وجد في النار من كان بعض الناس يعتقدون فيهم الخير ، ويرون أنهم من أهل الجنة ، ووجد في الجنة العكس تماماً

ثم أنه جعلنا في بداية القصيدة نذكره من الابوين ، ونشتمز من مآتيهما وفي نهايتها نتعاطف مع الشاب ونتمنى أن يعتقهما الله من النار بفضلهم ، وأن يدخلهما الجنة ورحمته .

بل وفرحنا له ولهما بالخروج ، ثم فوجئنا معه بتكره أهل الجنة لروائح أهل النار ، وأصبحت القضية وكأنها قضيتنا ، أو على الأقل هكذا تكون مع هذه القصيدة ، ونحن نستمتع إليها بأصوات فيلالية شجية رخيمة ، وبإلقاء معبر يوصل المعنى الى أعماق أغوار النفس ...

حسبنا هذا القدر من الترجمات والحديث عليها ، بل حسبنا هذا القدر من الحديث عن الاغراض ، لان معظم شعر ما تبقى منها ومعظم نثره هو للمتأخرين ، وسوف نفتتح به الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله لنبني حاضر المحون على أسس ماضيه ، ولنتأكد على أن الصلة بين حاضره وماضيه هي صلة وصل لاصلة فصل .





البديعة في فنون الملحون

✧ البديع في فنون الملحون ✧

إن إشغال الفكر بالبديع يكاد يكون ضياعا، لأن عهد البديع ولى وانقضى ولكن هذا لا يعني أن الكتابة عنه وخاصة في الملحون هي عديمة الجدوى، لاسيما إذا علمنا أن البديع، كان إلى الامس القريب قد سجل في الأدب الشعبي من التحف الرائعة ما الله به أعلم، وأرى أن لا أغفلها في هذا الكتاب وأن النقاد العرب قد أسهبوا في الكتابة عن مديعيات الأدب العربي، سواء في المشرق أو في المغرب في حين بقي بديع الملحون في راية النسيان، ولذلك أحببت أن يطلع القارئ ولو إطلاقة قصيرة على هذا الجانب الذي كان في وقت مضى مهما بالنسبة للانداعات الملحونة

ولقد عرف الملحون كل المحسنات اللفظية والبديعية بدون استثناء وسنتناولها جميعا في هذا الفصل، ولو بنحس الاختصار الشديد الذي تناولنا به الجوانب الأخرى

التضمين

ضمن أهل الملحون شعرهم بعض الآيات من القرآن الكريم، يقول مريفق في الحساء التي يرمز بها إلى العرونة، وقد جاعتنا من شبه الجزيرة العربية منتطية صهوة جوادها، تماما كما وصفها بجيوات في قصيدة الضيف

مَكْتُوبٌ عَلَى جَبِينِهَا : "أَلَمْ نَشْرَحْ" وَحُرُوفُ الزَّيْنِ شَرَحٌ وَيَكُلُّ فَصَاحَا
سَعْدٌ اللَّيَّ حَبَهَا بِقَلْبُو . "قَدْ أَفْلَحَ" يَتَامُ أَفْرَحَتْهُ عَلَى جَنْبِ الرَّاحَا

هذا عن التضمين الحرفي . . أما تضمين المعاني، فحدث عن البحر ولا حرج

استرحى السي التهامي من قول الله عز وجل : "وَالْتَفَّ السَّاقُ بِالسَّاقِ قَوْلُهُ :

"وَالْتَفَّ السَّاقُ مِنْ الْفَرَقَا بِالسَّاقِي وَرَجَايَا فَالْجَلِيلُ لَكَرِيمُ الْبَاقِي

ووظف المشهد القرآني للكيفية التي غرق بها فرعون :

رَمَانِي فَ : الْبُحُورُ وَجَمَعَ لَمَلَاقي

وضمنوا شعرهم أمثال سائرة أقرأوا هذا المثل الببوي، وقد تكرر عدد مريفق في أكثر من قصيدة

هَآنُوكُ يَضَايِفُوكُ يَاوَلَدُ الْعَرِيْفُف ؟ مَا فِيهِمْ غَيْرُ : فَمُ صَيْفٌ وَكَلْبٌ خَرِيْفُ

وهذا المثل ... وهو أيضا من البادية ... "الصَّبْعُ لَعُوجٌ مَاوَأَتَاوَةُ الْخَوَاتِمُ"

وقد سبق تضمينه في لامية العلمي بل ضمنوا شعرهم بعض الأمثال العربية وأيضاً مريفق في الحالية

كُلُّ مَنْ قَالَ مَنْ مَطِيرًا مَلَيْتَ لَمْسَ رَأْسِ قُلْ صَدَقْتَ حَسَدَامِي وَلَا تُعْـاَكِسْ

وعند لعميري في أول الاغراض

في " حيصاً بيخراً " ليس نفعاتو حيوياً

التجريد

يجرد الشاعر نفسه من المسألة ، ويتحدث بضمير الغائب ، كما لو أن الواقع ليس واقعاً ، وإنما هو واقع غيره ، فإذا اطمأن الى أنه آثار انبياه المستمع ، وأنه اهتم بالمسألة الى حد أن اندمج معه فيها وافعل بها ، وبدأ يتعجل النهاية حينئذ فقط .. يقول له : "أنا المعني بالامر"

نجد مثل هذا التجريد عند الناهي لدغري في "طالوق المسروح مثلاً" ، استعمل ضمير الغائب لا في المقطع الاول ولا في المقطع الثاني :

دِيمَا مَدَامَعُو مَجْرِيَا تَجْرِي عَلَى الْخُدُودِ سَخِيَا
أَلِيَعْتُو وَتَزْلَعُو وَدَمُوعُو وَكَيْتُو وَوَجَاعُو وَفَرَايَحُو وَسَهَرُو ، وَمَحَانُوفُ : الْهَوَى وَعَشَقُو
، وَأَشْوَاقُو وَالشَّغَابُ .

وَالْتَلَّاحُ أَوْتَقَطِيعُ خَاطِرُو ، وَلَهِيْبُو وَمَحَاوِرُو وَفَقْدُو ، وَغَرَبْتُو وَالسَّوَاخُ وَخَدُو مَثَلُ الْمَلِيُوحِ بَيْنَ
الْعَدَا ، مَنْ تَحْمَامُو ... مَعَا غَرَامُو .. طَارُ مَنَامُو .. مَنْ نِيَامُو .

هَائِمُ مَهْمُومُ مَنْ هَجَرْتُو نَائِحُ ، يَشْفِي السَّنْصَارَا وَلَا مَثَلُو حَمَامُ فَ السَّوَاخُ مَنْ فَقْدُ لَا مَثُو
مَجْنُوحُ فَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَغْرُدُ مَسْكِينُ مَا يُصِيبُ الصَّبْرَا مَنْ اللَّيْ تَقَاطَعُو الْارْيَاحُ

☆☆☆

نَارُو افخَاطِرُو مَكْدِيَا فِي قَلْبِ مَهْجَتُو مَكْمِيَا
وَحَدُو عَلَى اجْمَرَ يَتَكَلَّبُ ، فَاِنِي عَلَى اللَّهِيْبِ مَصْلَبُ ، بِمَحَاوِرِ الْجَفَا مَتَعَذَّبُ قَلْبُو هَمِيمُ
هَائِمُ وَالْهَ عَطَشَانُ مَنْ فَرَاقُ احْبَابُو وَلَهَانُ حَالَتُو عِدَاتُ الْيَرْقَانُ ، مَا يَطِيقُ صُدُودُ الْهَجْرَانُ
وَقَتُّ مَا يَتَكَلَّبُ ، يُوقِعُ فِي غِيَارُو مَنْ تَمَرَّارُو قَوَا كَدَارُو فَوْقَ اسْتِبَارُو
مَا يَحْنُ وَلَا يَشْفَقُ مَا يَرُوفُ ، وَمَصْنَمُ يَا لَطِيفُ مَا يَطْلُقُ سَرَاحُ مَا دَارُ دُونُ : دُونُ الرُّوحِ
قَلْبُو مَنْ الْحَجَرِ وَالْهَنْدِ وَصَمَّ اَوْحَدِيْدُ زَادَ قَصَاخُ

فإذا كان المقطع الثالث يباعنا بقوله شللا نصيف صاير شي أي أنه يصف حاله هو وليس حال غيره ونجد مثل هذا التجريد عند الحاج ادريس ، في مثل قصيدة زينب :

أَهْ عَلَى مَنْ شَافَ وَنَكَوَى بِالْجَمْرِ اللَّهَّابُ مَنْ نَارَ الْخَدِّ الْمُنِيرِ كَيَّ عَلَى
جَرَحِ صَنِيبِ

جَرَحِ بَسِيفِ سَقِيلِ عَنَتْرِي مَسْقُولِ مَهْدَبِ
أَهْ عَلَى مَنْ كَانَ شَوْفَ عَيْنُو لِبْلَاهِ سَبَبِ
طَبِيبِ

وَالهَاجِرُ خَلَاةَ رَايِحٍ وَقَايِمٍ يَتْعَذَبُ
أَهْ عَلَى مَجْرُوحِ جَايِحٍ وَتَايِحٍ عِنْدَ الْبَابِ
مِثْلُ الْمَطَرِ سَكِيبِ

يَشْبَهَ قَيْسُ فَا : حَالُ غُرْبَتُو مَفْقُودُ مَغْرَبُ

فهو حتى الآن لا يتحدث إلا بضمير العائف ، وأن الآهات الثلاث التي افصح بها الابيات الثلاثة كانت وكأنها عن غيره ، فإذا ما اطمأن إلى أن المستمع بدأ يهتم بالقضية وبدأ يتساءل من هو هذا المعس الذي عاش هذا الواقع ، سارع إلى القول في البيت الرابع :

حَالِي مِنْ حَالُو وَلَا يَشْصَابُهُ إِلَّا فَا عَذَابُ مَنْ مَكَّدَ اللَّيِّ حَبَّتَهَا تَرْكَسِي بَخَصَرِ وَنَعِيبِ
ضَبِيئًا تَلْعَبُ بَ : الْأَسَدُ لَعَبُ الْخَمْرِ رَ : اللَّبِ

هذا هو التجريد كما تعارف عليه شيوخ الملحون الأوائل بل وكما عرف به ناقد عربي كان كثير في كتابه "المثل السائر" وهو- في نظر شعراء العصر من أمثال عبد المجيد وهبي ، وبوشعيب محبور وأماليهما - تجريد شكلي محاوِر إذ التجريد الحق هو تجريد معنى الصورة من الصورة نفسها ، وعرضه للناس على حدة تجريد المضامين من أشكالها وطرحها بمفردها تجريد الاحساس من الاحساس ، تجريد المشاعر من الشعور ، تجريد الخلجات من الاعماق التي تخلق فيها ، ومحاولة استخراج كل ذلك من قلب ظلمات أغوار النفس ، ونشره في العراء ، تحت أشعة الشمس

والحق أن بعض شعراء العصر - وسنتعامل معهم في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله - نفذوا إلى المرنديات وعادوا

الحساس ويعرف في أهل اللغون، بمعنى: هو الحاضر، مشهور، أو بعد، أو صريح. إنك الحاضر، احداً، والمعنى مختلفاً.

فأصبحت "غور" الايام مشرقه

باليَمِينِ تَضْحَكُ مِنْ أَيْـَامِكَ "الْفَرْدِ"

مَا شَفَكَ تَعَذُّبِي وَلَا "مُحَانِي"

سيف الجفاني

تكون "مخاني" الأولى جمع محنة ، و "مخاني" الثانية ، لم يترك لي أثر
وعندما يقول الباحثون :

إذا "العين" راحت وهي "عين" على الهوى

فليس يسر ما تسو الاضـالم

نكون "العبر" الأولى العبر المعروفة ، العبر الثانية الحاسوب ، وكذلك عندما نقول شعرا امعرد .

كُفَّاهِي مِنْ النَّهْرِ يَا شَارَةَ الْعَفَا خَفَّ حَمْلُ الْحَقِّ الَّذِي هَذَا الْكُفَّاهِي

وَانْعَمْ لِي بِالسَّوَّاحِ مِنْ قَيْدِ "اَكْتَفِي"

تكون "كتافى" الاولى بمعنى : كفاك ، والثانية بمعنى : كتفاى أما الثالثة فتعنى قيدي

وهكذا أشيرا الحبلالي امبرود ثلاث معان في لفظة واحدة لم نسمعها، استعارة من أصل هي الانسان بالامثلة والمناذج
اذ خير الكلام ما قل ودل

★ ★ ★

وَيَحْذَرُ النَّاسُ حَذْرَكَ

الذئبة مضرب

وَبِهَآكَ لَيْسَ يَسْتَدْرَاكَ
لَا زَلْتُ أَرْتَجِي بِشَأْرِكَ
يَأْنِي لِمَنْزَلِي بِخَبْرِكَ
وَيَفِيدَنِي بِصَحِّ امْرَارِكَ

وهكذا يعضي بالقصيدة من بدايتها الى نهايتها الكاف هو الكاف والحرف الثاني ، الذي يلزمه يعوض بأخر في كل مقطع ومنهم من يلتزم بحرفين اثنين لا يتغير أي حرف منهما في كل القصيدة ، وذلك ما فعله أحد المتأخرين في قصيدة القلب

الْيَوْمَ أَقْلِبِي رَأَيْدَ نَسَاكَ
تَسْأَلُ مَنْ تَعَذَّبَ بِغَدَابِكَ يَا قَلْبَ وَرَيْتَ لِي لَهْلَاكَ
لَلَّهِ أَحْكِلِي شَايِنَ جِرَاكَ
وَرَوِي قَصِيَّتَكَ يَا قَلْبِي نَصْغَاكَ لَا يَنْبِي مَا عَنِّي إِلَّاكَ
أَنَا الْمَمْلُوكُ أَنْتَ اللَّيِّ مَالِكَ
إِلْسِي سَعْدَتِي نَسَعَدُ وَإِلَّا نَبْلِي لَا غَنَا نَبْلًا بِبِلَاكَ
شَوْفَ لَجْسَمِي مَنْ حَرَّقَتْكَ هَالِكَ
وَالْعَقْلُ يَا قَلْبِي سَاكَنَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ أَوْ الْإِنْجَمِ أَوْ الْإِفْلَاقِ
وَالْدَمْعُ فُ : خَدْيِي شَاقَ مَسَاكَ
هُوَ أَدَّ مَنْ جَفَوْنِي غَلِيَانُ تَقُولُ طَابَ عَنْ صَهْدٍ لَهَيْبِ صَلَاكَ

ومن بديعيات الشعر الملحون كذلك "النشْب" ، وهو أن يكون أول الشطر يبتدى بأخر الشطر الذي قبله كما فعل بوزيان في قصيدة المحبوب

أَمِنْ تُلُومِنِي شَعَلْتُ نَارَ ادْخَالِي ادْخَالِي كَاوِي بِفَرْقَةِ الشَّمْلَالِ
شَمْلَالُ مَنْ فَرَّاقَهُ لُعْقِيلُ مَشَالِي مَشَالِي وَالنُّومُ ضَجَّ مِنَ الْإِنْجَالِ
الْإِنْجَالُ عَلَى الْخَدِّ دَمَعَهَا سَلْسَالِي سَلْسَالِي يَهْوَى كَمَا الْمَطَرُ هَطَالُ

أو أن يكون أول البيت يبتدىء ، بأخر شطر من البيت الذي قبله أو ما قبل الآخر . مثل ما فعل التهامي لدغري في قصيدة فارحة :

سَأَلْتُكَ بِهَذَاكَ يَا لِرَأَيْحٍ مَالَكَ سَكْرَانَ دُونَ رَاحٍ
وَنَبَاً عَقْلِي مَعَاكَ رَاحٍ بِبَايَتٍ مِّنْ لِّعَةِ الْقَرَايِحِ
سَاهِرًا وَالنَّاسَ رَايِحَةً
"بَبَايَتٍ مِّنْ لِّعَةِ الْقَرَايِحِ"
عَقْلِي بِهِ تَوَاكَ مَا ارْتَوَاخٍ
وَنَبْرَدٌ غَيْرُ بَاحٍ أَحٍ
"بَيْنَ التَّهَادِ وَالْجُودِ وَأَيَّاحٍ"
كَأَوِي بِجَمَارٍ لَّافِحَةٍ
بِالشُّبُوقِ نَكَمَدَ الْجُورَاحِ
وَنَصْرَاكَ دَقَّةَ اللَّمَّاحِ
وَالْفَالِبِ مَا أَبْقَا يَسَامَحِ
وَلَا يَدْرِي أَمْسَامَحَةٍ

وَالْقَالِبِ مَا أَبْقَا يَسَامَحِ .. وهكذا .. سلسلة أبيات متصلة الحلقات من أول القصيدة الى آخرها .

أما التصريح لا من ناحية الشكل ، ولا من ناحية المضمون ، لا يحرم منه أية قصيدة من قصائد الملحون على الإطلاق أقول التصريح من ناحية الشكل ومن ناحية المضمون لعلمي إن التصريح من ناحية الشكل ، هو أن يكون القافية من البيت في الصدر والعجز معا وعلى هذا قامت قصائد الملحون جميعها ، وليست هي مطلع القصيدة فقط . كما هو الشأن في الشعر العربي ، وإنما في القصائد كلها . ومن أولها إلى آخرها ، ومن دون أدنى تكلف أو تصنع وهذه وحدها إن دلت على شيء ، فإنما تدل على سعة القدرة في أفانين الكلام عند جميع شعراء الملحون .

أما التصريح من ناحية المضمون ، ففيه مراتب منها :

أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه في فهم معناه ، غير محتاج إلى صاحبه الذي يليه .

مثال ذلك ، قول امرئ القيس :

أفأطم مهلاً بعد هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرماً فأجملني

فإن كل مصراع من هذا البيت مفهوم المعنى بنفسه ، غير محتاج الى ما يليه ومثله قول "عبد القادر العلمي" يناجي خالقه

بِسَاءِ الْجَبَابَةِ عِنْدَكَ مَا تَسْدُ بِقِفَالِ

مُخَارِثَكَ مَفْتُوحَةً لِلْسَّاعِي بِخَالِ

ومنها أن يكون المصراع الاول مستقلاً بنفسه ، غير محتاج الى الذي يليه ، فإذا جاء الذي يليه كان مرتبطاً به

كقول المتنبي مثلاً :

الرائي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

أو كقول المدغري :

يَا الْفَرَصَةَ صَوْلِي ، صَوْلِي بِطَيْبِ الْأَطْيَابِ سَاكِنَكَ سَيِّدِي وَلَدَ السَّاكِنِينَ طَيِّبَةَ

فالمصراع الاول في كلا البيتين ، غير محتاج للثاني في فهم معناه ، لكن لما جاء الثاني ، صار مرتبطاً به

على العموم ، التصريح بكل مراتبه المعروفة في الشعر العربي ، له نماذج كثيرة في الشعر الملحون ، بل ان قصائد الملحون

جميعها نماذج له

وهذه القصيدة لعبد القادر العلمي خير دليل :

يَا لَلِّي قَلْبُهُ بَعْدَ زَيَانٍ عَاوَدَ شَيْئَانِ يَا لَلِّي عَدَّتِي مَن شُورِي حَذَرَ نَكَافِرِ
يَا كَمَا دَخَلُوا مَا بَنَانَا الْعَدِيَّانِ يَا كَمَا عَوَّلْتِي مَن جَانِبِي تَسَافِرِ
قَصَدَتْ شَاطِئاً نَهْرَكَ زَعَمًا نَعُودَ رِيَّانِ مَشَارَبَكَ نَذِيرَهَا وَنَعُودَ بِكَ ظَلَامِرِ
أَحْسَنْتَ فَيْكَ السَّبَّةَ وَقَرِيتَ فَيْكَ الْأَمَانَ حَيْثُ كُنْتُ نِي تَاتِيَنِي كُلَّ يَوْمٍ زَايِرِ
إِلَيْكَ حَزَنٌ أَكْمَافِي وَحَيِّيتُ بِكَ فَرَحَانَ عَلَّ الْكَلِمَةَ وَالطَّاعَةَ مَا نَخَالَفَ أَمْرَ
حَاجَتِكَ نَقْضِيهَا دَغِيًّا بِشُوفِ الْأَعْيَانِ مَعْنَتِكَ نَفْهَمُ دُونَ الرَّمْزِ وَالْأَشْيَاءِ أَيْرِ
إِلَى حُضْرَتٍ تَحْصِرُ لِي مَعَاكَ الْأَدْهَانَ إِلَى نَغِيْبٍ نَذْهَلُ وَيَغِيْبُ لِي الْخَطَايِرُ

بَاشْ نَطْفِي نِيرَانِكَ مَنْ صَمِيمُ الْاَكْثَانِ
نَارُ حُبِّكَ مَا تَطْفِئُهَا مِيَاهُ وَيْـدَانِ
مَحَبَّتِكَ يَشْهَدُ لِي بِهَا الْإِنْسُ وَالْجَانِ
جَيْتْ نَكْتَمُ حُبُّكَ مَا فَادَ فِيهِ كُتْمَانِ
لَيْعَةُ الْقَلْبِ سَفُورَتُهَا فِي الْوَجْهِ تَبَانِ
تَرُودُنِي حَتَّى يَشْرِقَ مِنْ ضِيَاكَ الْمَكَانِ
تَرُوفُ حَتَّى يَبْدَأَ حَالِي مَعَكَ بَرِيَانِ
إِلَى هَذَاكَ عَلَى الرَّحْمَانِ يَا الْغِيْضَانِ
إِلَى اخْطَاطٍ ، أَوْ اغْلَطْتَ مَعَكَ يَا الْفَتَانِ
دَرْتُ مَذْحِكَ مَا بَيْنَ بَدْرُو أَرْضِنَا شَانِ
فَرَحْتُ سَاعَةً زَرْتَنِي يَا هَلَالُ الْمَكَانِ
نُكِدْتُ سَاءَ شَرِيْقَتِي الْكَوْدُسُ هَجْرَانِ
يَاكَ الْوَفَا الْعَقَّةُ مِنْ شَرْوْطِ الْاِحْسَانِ
يَا اَللَّهُ مَا مَيَّا لِي مَنْ مَذِيْحَكَ لِسَانِ

هذه واحدة عشرات الالاف ، من قصائد الملحن المبعثرة هنا وهناك فماذا في هذه القصيدة يا ترى ؟

لا حدال في أن فيها عاطفة صادقة ، وحرارة الأعمال حد مرتفعة ، وتغيرا عر هذا ، لا قوى ما مدبر

الى ذلك التصريح الرائع الذي يتجلى في كل شطر من أشطارها

أعدوا قراءتها يا أعزائي القراء ، للاختصاص أن ليس من بين أشعارها شطر واحد لا يحضر معناه كما لا يحضر

يليه أو كل الذي يليه كما هو الشأن مثلاً في هذا البيت للمعري :

ينازع ظني رمل في كـ
بغادر غابه الضرعام كيمـ

يعتبر في عرف أهل الملحون رديء التصريح ، وأرد أمته في فهمهم هذا البيت لبشار :

حـــــوراء ان نظرت اليك سقتـــــ
ك بالعينين خمـــــرا

ويعلقون عليه بقولهم : "ماكفاه تمزاق المعنى قطع الكلمة"

وخلاصة القول ، هي أن فن القول قد خضع لشعراء الملحون ، ودان لهم بالطاعة دون غيرهم ، فاستعملوه وأحسنوا استعماله لكن بالدارجة إنما ماذا يضير الشعر والادب اذا كان بالدارجة أو بالسوسية ، أو بتمازيغت الشعر والادب ، هو الشعر والادب في أي زمان ومكان ، وبأي لغة ولسان ... هو :

هَبْهَ مَاذَا الشَّعْرَ لِلْعِبَادِ وَهَبَهَا مَوْلَاهُمْ رَوْحَ وَرَحْمَةٍ لِلْقُلُوبِ وَضِيَاءَ نُورِ الْإِفْهَامِ
بَرْدَ وَسَلَامٍ أَوْتُسِيمٍ فِيهِ لِلْأَرْوَاحِ دَوَاهُمْ فِيهِ الرَّاحَةُ لِلنَّفُوسِ لَا تَحَاسِبُوهُ وَهَامِ

رحم الله السي اسماعيل ، لقد عرف كيف يعرف بالشعر ، في بيتين اثنين فقط أنها قصيدته "لمزركشة" تلك التي اعتبرها شخصيا لوحات رائعة من معرض الكون الهائل ، تحدث فيها عن البحر ، والليل ، والمطر والشعر ، والحب ، والحياة ، والناس والشقاء والنوس ، وعن السعادة والهناء والامل ، واليأس و أشياء كثيرة ، لابد أن أطلع القراء عليها عند تناولي للشعر المعاصر إنشاء الله .

بقي أن أقول عنها أنها من لزوميات السي اسماعيل ، ولكأن التلزم ما خلق الالهيا . وأن تصريح أبياتها في منتهى الروعة .. وبها وبأمثالها من القصائد الخالدة ، كتب الخلود للشعر الملحون.

ومن بديعيات الشعر الملحون "السجع" أو التسجيع على حد تعبير أهل الملحون .

يقول التهامي المدغري في قطعة : "طالق المسروح" وهي قطعة من أدب السجع الملحون" كما سبق القول زخمية ، وسألي فيه . عَالِجِي ، وَدَاوِيَّةٌ وَسَاعِغِيَّةٌ كَافِيَّةٌ ، لَا تَحَاقِيَّةٌ ، تَعَالِي لِيهِ ، مَعَ الطُّفْلَاتِ لِلرَّسَامِ وَيَقِفُ هُنَا ، وَأَحْسُ بِهِ يَلْهَثُ مِنْ كَثَرِ مَا هَرُولٌ ، وَيَبْطِئُ الْجَرَسُ الْمَوْسِيقِي وَيُطِيلُ جَمَلَ السَّجْعِ شَيْئًا مَا .

تَعَالَوْا إِلَيَّ بِجَمِيعِكُمْ ، نَتَوَصَّلُ بَيْنَهَا زِينَتُكُمْ حُرْمَةُ مَوْلَاكُمْ مَنْ أَنْشَأَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
وَأَخَذَنِي فِي عَشْقٍ هَوَاكُمْ ، وَدَرَانِي يَسِيرُ بِهَاكُمْ إِلَى آخِرِهِ .

ويقول بلقاسم في "مينة" وهي أيضا قطعة من أدب السجع الملحون

مِينَةٌ فِي رِيَاضِي كُلِّ أَنْ ، تَتَمَازِلُ مَا بَيْنَ الْأَغْصَانِ ، فِي حَرَائِجِ بَلْعَمَانِ

بَيْنَ دَرْدِ وَيَاسٍ وَسُوسَانِ ، وَالْأَغْصَانِ بِتِيهَوَاتِيهَانِ ، بِأَهْتِيْنِ أَحْدَاهَا

تَجْمَعُ الْأَلْوَانُ ، فَاقْتِ بِأَلْقَدِ الْخَيْرِزَانِ ، وَالْبَانِ أَمْنِيْنِ ثَبَانِ ، وَسَطِ

يُسْتَتَانِي بَيْنَ أَغْصَانِ ، كَايْتُنْدَقُ لِيهَا .. إِلَى آخِرِهِ .

الاشتقاق في الشعر الملحون أو التشقيق كما يسمى عندهم ومثال ذلك قصيدة مسعودة للبهامي المدعري

قُولُوا لِمَسْعُودَةٍ يَا ظُلُوعَ كَوَاكِبِ الْأَسْعَادِ

أَنَا مِنْ سَعْدِي سَعَادَتِكَ وَنَتِ مَسْعُودَةٍ وَنَتِي سَعْدُ السَّعُودِ وَنَتِ هِلَالُ السَّعُودِ

فهو يشتق من اسم المحبوبة "كواكب الاسعاد" وسعداء أي حظه من ساعاتها ثم أنها مسعودة أي محظوظة ، وبالتالي هي "سعد السعود" الذي يبشر بالربيع ، وهي هلال السعود .

وهكذا يمضي في شحذ قصيده بمعطيات هذه المشتقات ، وهو لا يعدو التغزل في حبيبته ، والتغني بمحسنتها ، ومفاتيدها ، فهو من مواليد لبالي كواكب الاسعاد ، ولهذا مسعودة من "سعداء" أي من حظه ، وحيث أنها "مسعودة" أي محظوظة ، كان من نصيبها هو ومن هو ؟ وهنا يمضي في التعريف بنفسه كشاعر مبدع وكانسان خلاق ، وكعقري ملهم

يرى أن الشعر والحسن توأمان وأن التغزل بمحاسن الجميل ، تعويذة لتلك المحاسن ، وهكذا إلى أن يسهي التصيد

كذلك فعل المدعري في قصيدته "مسعودة" وكذلك أيضا فعل أحد المتأخرين في "فاطمة" اشتق من اسمها "القطام"

وذهب يقول إذا ما أفطموا الطفل عن لبن ثدي أمه ، عوضوه له بشيء آخر وأنا أنا الذي ليس لي سواك ، ولا أستطيع أن أحب غيرك ، فبماذا يا ترى أعوض هواك ؟

أَنَا قَطْمُونِي عَلَى هَوَاكَ أَبَاشَةَ الْأَرْيَامِ

وَنَتِي مَقْطُومَةٌ عَلَى عَذَابِي يَا فَطِيمَا وَيَلَا كُنْتُ أَذْنَبْتُ قَائِنَ عَفْوِ صِيْلَةٍ لَكْرَامِ ؟

كان هذا هو فن البديع كما اتفق النقاد العرب على تسميته منذ القدم ، ومن الفنون البلاغية أيضا ، تجسيم مالا يجسم ، أو تجسيد ما لا يجسد ، وسوف نكتفي بأغنية ملحونة واحدة "سرابا" كنموذج للدلالة على وجود هذا الفن في الملحون كثيرا من سائر فنون البلاغة ... ما ذكرت منها وما لم أذكر .

فَصَلَ الرَّبِيعَ أَقْبَلَ وَالْوَقْتَ زَيَّانَ وَعَلَامَاتِ الْخَيْرِ لِلْوَرَى بَانُو

جَادَ الزَّمَانُ وَضَحَكَ ثَغْرُ السَّلْوَانِ

من هنا نبدأ "وضحك ثغر السلوان" أو "السلوان" أو "السلوا" أو "السلوى" ماهي الاحالة شعورية مريضة جسدها الشاعر ، وجعل لها الثغر وتركها تضحك تماما كما تعامل البحتري مع "الربيع الطلق" في هذا البيت

"أتاك الربيع الطلق يَخْتَالُ ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلم" ، فهنا جسم البحتري الربيع الطلق وجعله ضاحكا ووضحك ، هناك جسم رجل الملحون "السلوان" وأكسبه الثغر ، وجعله يضحك ، وكلاهما لا يجسم لا السوار ولا الربيع

جَادَ الزَّمَانُ وَضَحَكَ ثَغْرُ السَّلْوَانِ وَالنَّكَدُ تَفَاجَأَ وَزَالَتْ أَحْرَارَانُو

وَبَطَّيْحَ الزَّهْرِ عَلَى كُلِّ الْأَلْوَانِ تَسْنِي مَنْ رَأَاهَا بِشَوْقَتِ اعْيَانِهِ
وَالْأَرْضَ غَيْرَ حُورِيًّا مِنْ رَضْوَانِ لَيْسَتْ مِنْ ثُوبِ الدِّمَاخِ حَبِيبَاتُهُ
تَصِبَحَتْ بَارِزًا فَ كَسَاوِي حَسَانِ دَامَ اللَّهُ جَمَالَهَا وَحُسْنَ

وهنا أيضا يحفل من الارض العروس الحسباء ، وقد برست ما فخر الارباء ، وبرست ما تمس الحبي و أصبحت باررا لفظ أصبحت لا علاقه له بالطرف الرماني على لاطلاق بل هو اصطلاح يطلق على هذا الصبحي أو الصباح هو الحفل الذي يعام للعروس البكر المصور وقد جهر منها زوجها امرأة ربما لا يفاء حفل الصباحي أو الصباح إلا بعد السهر ويقر اسمه الصباحي وبعد أن سائي المظور " من رار العروسة وبعد أن قدم المصاح لزمته هذا الصباحي " .. يبدأ الاستعداد ل " البرزا " أو أبراز وهو تقليد آخر من تقاليد العرس المغربي

وشان من باررا في البيت الاحمر وبين تفرحت في هذا البيت لابر الرومي والارض هي الارض لا بعد شائرا ولا عند ابن الرومي

تبرجت بعد حياء وخفر تبرج الانثى

المعروف المعروف "الفلات" لوربات إلا أن العروس عندما تكون باررا في حياء وخفر إمام حياء الروح لينظر إليها وهي في أكمل زينتها ... لا تنظر إليه ، لا تحببه ، بل لا تنقسم له حتى مجرد ابتسامة

لشها عند ابن الرومي تبرجت بعد حياء وهذا كله لا يهم المهم هو أن شاعرا جسد الارض ودهها العروس المصور مصور حياء .. راف كساوي حسان وابن الرومي جسد الارض وخبره عروسه العروبي بعد ان راف حياء حياء وخفر والشعر يقبل هذه الصورة كما يقبل تلك والمعول ليس إلا على صورة العروس ودار العروس حياء صورة في إطارها الحقيقي

مَهْمَا نَظَرْتُ مَا عِيَانِي فَ كَمَالُ زِينَتِهَا وَمُحَاسِنُهَا مَا حُكْمُ مَكْنُونِ
طَنَعِي مِنَ الصَّغَرُ فَمَآنِي وَقَتِ الرَّيْعِ تُوَحِّدُنِي مَا بَيْنَ الْمَرَاخِ مُسْتَطَوْنِ
تَسْنِي الْفَاطُ وَمَعَانِي وَأَهْلُ الْهَوَى يَغْرِقُونِي مَا هَرُّ مَنْ أَصْحَابُ الْقَوْنِ
وَأَتَوُّهُ هَرْتِي سَلْطَانَ الْعِيَانِ وَبَطْوُ مُوَلَايَ الرَّيْعِ يَلْقَى

لاشك قد لاحظ القارئ الكريم عند السجري قوله عن الربيع حياء كان أن سلككم تكن الربيع قد سلكم بل اصل في الكلام .

دَوَاؤُهَا لِي عَوْلٌ يَا إِنْسَانَ تَقْطَفُ وَرْدًا رِيًّا ضَنَا وَسُوسَامُو

وأطال في الكلام :

شَوْفُ الرِّيَاضِ فَاحٌ وَزَهَرَتْ الْأَغْصَانُ كُلُّ غُصْنٍ يَهْجِي بِ : رِيحَتْ أَفْئَانُو
وَأَطْيَارُ نَاطِقًا فَ : دَوَّاحُ الْبُسْتَانِ وَكُلُّ عَشِيْقٍ أَفْشَا سَرَّارُ كَتَمَآنُو
لَلَّهِ كَيْفَ مَآ تَزَّهَا يَا حَسَنَ يَأْمَنُ سَاكِنُ ف : الْأَسْيَارُ غِيَوَانُو

كل ذلك قاله الربيع ، واستمع إليه شاعرنا ووعاه ... ونقله إلينا بالحرف الواحد قاله بلسان حاله ، أو لنقل ... يعطر زهوره ، بزقزقة عصافيره ، برنين نمله بتراقص فراشاته ... ولن يقول كل ذلك مولاي الربيع ؟ للانسان ... والانسان في نظر مولاي الربيع هو الرقيق الشعور ، المهف الاحساس :

"اللَّي سَاكِنُ ف : الْأَسْيَارُ غِيَوَانُو" هذا نموذج من الابداعات الملحونة التي استعمل أصحابها هذا الفن من فنون البلاغة وأجادوا استعماله ... تجسيم ما لا يجسم ، أو تجسيد ما لا يجسد .

ولعمري أن مثل هذه الابداعات ، جعلت العوام من هواة الملحون ، يجيدون الاستماع الى القراءن ، وهذه وحدها فضيلة وأنعم بها من فضيلة .

استمع بنعيسى اسوآيني في مقهى بلفيلالي بسلا ... الى مقرر الاذاعة يقرأ قوله تعالى : "والليل إذا يسري" فضحك وقال : "أَبْحَالُ إِلَى اللَّيْلِ عَنَّا الْاِخْتِيَارُ إِلَى بَقَا يَسْرِي يَسْرِي ، وَيَلَا مَا أَبْقَاشِي مَا يَسْرِي ... الله يرحم البري :

يَسْرِي لِي ف : الْأَسْفَاقُ سَرَى اللَّيْلُ ف : الْأَفْـَاقُ

تفطن البستاني الامي الى ما في الآية الكريمة من جمال ... بل واستحضر من محفوظاته التي جعلته يتذوق هذا الجمال النموذج المناسب ، وبسرعة فائقة استمع لكحيلتي وأنا معه في "الفرناتشي" الذي يعمل فيه . الى قوله تعالى "حمر مستفرة فرت من قسورة" فقال : "وَاللَّهِ إِلَى اتَّخِلْتَهُمْ مُطَنِّشِينَ فَرَارِزَهُمْ وَمَقْلَشِينَ وَذَنِبَهُمْ ، وَكَأَيُّ عَرَطُوا وَالسَّيِّعَ وَرَأَهُمْ" واللّه إنه مجرد "قطاب ف : الفرناتشي" ولا يقرأ ولا يكتب .

ودخل علينا ابن الفيلالي مرة . ونحن بدار الحسن بن زايرا . يقول : علمني هذا الشطر الازموري : "أَنفَاسُ الصُّبْحِ أَشَامُ مَنْ عَیْرِ الْجَنَّةِ" كيف أتدق وتلدق قوله تبارك وتعالى "والصبح إذا تنفس"

أما الاستعارات ، والتشبيهات ، والتعبيرات المجازية

أما الرؤى و الاخيلة والصور ، فكل "الربيعيات" و "العشاقيات" و "الضمريات" وكل قصائد الاصال والبكور ، والصبوح والغبوق ، هي نماذج لها .

وقد أثبتت منها في فصل الاغراض الكثير من النصوص الكاملة .

بقي أن أشير فقط : الى الاسم الذي أطلقه الشيوخ الأوائل على هذا الارث الحضاري الثمين : "الملحون" فما معنى كلمة "ملحون" ؟

ربما كان يتعين علي أن أشير هذه الإشارة الى الاسم منذ البداية ... الا أنني فضلت أن أجعل القراء يتعرفون على حقيقة المسمى ، قبل أن أطلعهم على الأقوال التي حاول أصحابها تأويل الاسم الذي يطلق على هذا المسمى والآن وقد تم لي بعض ما أريد ، وتعرف القراء على حقيقة الملحون ولو باختصار شديد ، ترجع الى الاسم : "الملحون" .

ذهب بعضهم الى القول : أن كلمة "ملحون" تعني الخطأ اللغوي ... فما دام غير خاضع لاصول النحو وقواعد الصرف ، فهو القول "الملحون" أي القول "المغلوط" أو القول "المخطوء" ... وأنا أرى أن "الخطأ اللغوي" لا يمكن أن يظهر إلا من خلال الصواب اللغوي . نقرأ قصيدة شعرية فصيحة ، أو قطعة أدبية فصيحة ويكون في القراءة بعض الخطأ .. فذلك هو اللحن أما الملحون فلهذا الخطاب فيه هي الدارجة المغربية ، وتلك طبيعتها .

نعم أن الدارجة المغربية هي الابنة البكر - أي الاولى - للعربية الفصحى ولقد ورثت عن أمها سائر مقومات التعبير العربي ، وقيمه ، وخصائصه وخصوصياته .

إلا أنها تحررت وبصفة نهائية من كل قيود النحو ، وأصبحت لا يحكمها إلا "المنطق" الذي ينبثق عنها في الاستعمال اليومي السريع ، والذي يمكن أن نعتبره "فقه الدارجة المغربية" ولغة هذه طبيعتها ... لا يستساغ أبدا أن نعتبر آدابها مغلوبة أو مخطوءة .

وذهب البعض الآخر الى القول أن كلمة "ملحون" أصلها من "اللحن الموسيقي" فهو القول الملحون ... أي الملحن بتشديد الحاء ...

ولا أنكر أنني سبق وأن اقتنعت بهذا الرأي بل وروجت له في مستهل حياتي العملية ... يوم أن كنت لا أزال اخذ المعلومات من أفواه الشيوخ ، وأعمل بها دون أن أجرو حتى على مناقشة أصحابها ، لكن الآن ، وأنا أستجوب القصيدة ، فتبوح بأسرارها ، واستنطق السرابية فتفصح عن مكنوناتها ، تتعين علي أن أعيد النظر في كل المعلومات التي أخذتها من هنا وهناك على ضوء المعلومات التي بدأت أجدها في الإبداعات نفسها .

فمثلا أول من وجدنا كلمة "ملحون" في بعض آثاره الشعرية ... هو مولاي عبد الله واحساين ... ويرجع عهده الى العصر السعودي ... نقرأ له "الهدونا" فنجدده يقول في بعض أبياتها :

وَالْكُـوْلُ كُلُّ مَلْحُونٍ أَوْفَ : النَّظَامِ مَوْزُونٍ

ويقول في ختام ومبة له

"مَلْحُونٌ" فَ : الْمَعَانِي مَوْزُونٌ عَلَا نِظَامَتِ النَّظَامِ

وكلمة "ملحون" في البيت الاول كما في البيت الثاني لا تشير أبدا الى الالحن الموسيقية ، وإنما تشير الى ما في هذا القول من فصاحة وبلاغة وبيان .

وهكذا فإن القول الملاحون هو القول البليغ ، الواصل المقنع .

ومولاي عبد الله واحساين الذي ثبت أنه كان يفصل بين الناس في قضاياهم اليومية ، وأنه كان يفتيهم في شؤون دينهم وديناهم ... لا أظنه كان يجهل معنى الحديث النبوي الشريف :

"لعل أحدهم يكون "الحن" بحجته من أخيه فاقضى له"

صلى الله على الصادق الأمين ، وعلى اله وصحابه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .





مطبوعات **الكتاب** الجديدة
الطبعة الأولى

الإيداع القانوني رقم 1993/982